محمد كوراني

الجذور التاريخية للمقاومة الإسلامية

في جبل عامل

الله



دار الوسيلة

الجذور التاريخية
للمقاومة الإسلامية



الجُذُورُ التَّاريخيَّة للمقَاوَمَة الإسْلاميَّة

في جَبَل عَامِل

تأليف

محمد كوراني

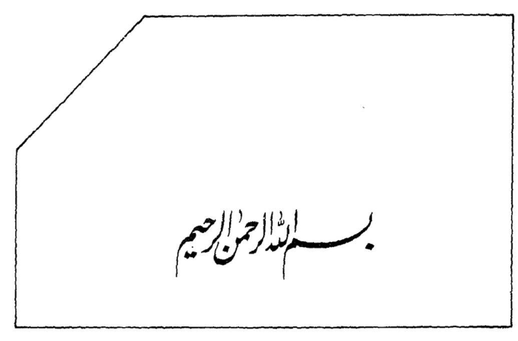
دار الوسيلة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف : ٨٢٣٥٨٠/١ - ص.ب. : ٢٧٥/٢٥ - حارة حريك - بيروت



﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ ؟ فَالله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

(التوبة : ١٣ ـ ١٤)

الإهـــداء

إلى الأرواح والأجساد التي بُذلت في سبيل إعلاء راية « لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله » .

إلى شعلة الحق التي لا تنطفىء ، إلى سيدنا ومولانا الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا له الفداء) وأنصاره البررة .

إلى روح مفجّر ثورة العصر الحديث سليل صاحب العصر والزمان الإمام الخميني (قدس سرّه) .

إلى روح العلاّمة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس سرّه) .

إلى روح سيد شهداء المقاومة الإسلامة السيد عباس الموسوي (أعلى الله مقامه) .

إلى روح شيخ الشهداء الشيخ راغب حرب (أعلى الله مقامه) .

إلى أرواح مقاومي التسلّط الفرنسي على جبل عامل : صادق الحمزة وأدهم خنجر ومحمود أحمد بزي .

إلى أرواح شهداء المقاومة الإسلامية في أربع رياح الأرض .

إلى الذين أضاؤوا لنا طريق الجهاد في ليالي الديجور والخنوع والذلّ والاستسلام .

إليهم جميعاً ، وإلى أرواحهم . أهدي هذا الكتاب .

مُقــــدَّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أريد الاستفاضة في شرح الدوافع التي دعتني إلى هذا البحث المتواضع ، في « الجذور التاريخية للمقاومة الإسلامية في جبل عامل » . ومع أن البحث في تاريخ جبل عامل بوجه خاص ، عمل شاقّ يكتنفه الغموض ويحيط به الإبهام ، لقلّة المصادر والمراجع والمستندات ، التي اندثرت أو ضاعت أو أخفيت أو أُحرقت ، من جراء توالي النكبات على هذه البقعة . فعلى الباحث أن يحلّل الحوادث ويستنبطها من بين السطور ومن خلال بعض الحوادث التاريخية الأخرى وأحياناً من بعض القصائد الشعرية أو المراسلات أو الأخبار الصحفية . ومع هذا كلّه ، دفعني شعور بالواجب والمسؤولية أن أكشف ما خبيء من بطولات الأسلاف والأجداد من العامليين ، وما ضُيِّع قهراً ، وما أهمل عمداً من بطولات وصمودٍ ومقارعةٍ وإصرار على البقاء في هذه البقعة ، متحدّين أعداءهم مهما كثروا ، ومدافعين عن وجودهم وكيانهم وإن قلّ عددهم .

لقد رجعت إلى العديد من المصادر والمراجع في أمهات الكتب لأخرج ما يمكن استخلاصه من تاريخ المقاومة في جبل عامل ، فركّزت في

البداية على المرحلة الوسيطة من تاريخ المنطقة منذ عهد الاحتلال الصليبي لبلادنا الإسلامية ، وما رافقه من حروب واحتلالات وسقوط مدن ومعارك وغيرها ، وما رافق تلك المرحلة من أهمية ، وما آلت إليه المنطقة من تمازج واختلاط بشري وانفتاح الغرب على الشرق ، والشرق الإسلامي على الغرب . ووجدت نفسي مضطراً لأن أذكُر نكبة الشيعة في منطقة كسروان وما رافقها من نشوء معالم جديدة في التوزيع السكاني ، حيث أقفرت مناطق بأكملها من سكانها الأصليين ، ليحلّ محلّهم سكان من أعراق وأديان ومذاهب أخرى ، ومن بروز مناطق كانت في طيّ النسيان فعادت إليها نظارتها وأهميتها وكلمتها ، بفضل علماء مجاهدين عاملين ، وحكام عادلين . ولعلّ هذين العنصرين كانا من الأهمية بمكان إذ جعلا من جبل عامل أمة موحّدة متماسكة حفظت نفسها ودفعت الغوائل عنها .

وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب ، أي مرحلة السيطرة العثمانية على بلدان المشرق العربي الإسلامي ، برز نظام الإقطاع الذي كان سائداً في عهد المماليك ، حيث كانت التركيبة الاجتماعية في بلادنا ، مبنية على أساس الارتباطِ بالولاية ، ثم المقاطعة أو الإمارة . وهكذا ، وعلى هذا الأساس ، كان مجتمع بلاد الشام . وبما أن جبل عامل جزء من هذه البلاد ، فإنّ هذا النظام كان سارياً عليه ، أسوة ببقية المناطق ، وقد التزمه أمراء محليون ، كالمعنيين والشهابيين والحرفوشيين وغيرهم . وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن النظام الإقطاعي كان نظاماً سيئاً ومجحفاً في أكثر الأحيان ، وقد عزّ على سكان جبل عامل هذا الظلم ، فكثيراً ما كانوا يثورون ضد ظالميهم وسالبي أموالهم وأرزاقهم وحقوقهم حتى وصلوا إلى مرحلة لم يعد لديهم همٌّ سوى شحذ السيوف والتعلم على الفنون الحربية ، ومقارعة الأعداء الذين أحاطوا بهم من كل الجهات . وبفضل تضحياتهم ونجدتهم وتماسكهم حافظوا على بقائهم ووجودهم . وسوف تلاحظون في هذا الكتاب تلك الأمجاد المشرقة التي تبعث على الاعتزاز والتقدير لهؤلاء

السلف الصالح المجاهد .

. . وعندما شاخت الدولة العثمانية ، وعجزت عن التطوّر والوقوف في وجه التمدّد الاستعماري الغربي ، وبدأت رياح الاحتلالات تعصف في بقاع العالم الإسلامي ، استفاق العالم على حرب عالمية ضروس استمرّت أربع سنوات ، ثم تمخضت عن واقع عالمي جديد ستشهده بلاد المسلمين ، وخصوصاً المنطقة العربية ، وسوف يرافق هذا الواقع النوعي حروب من نوع آخر : هي الحروب النفسية والثقافية والفكرية الهادفة إلى تحطيم الإسلام كعقيدة ، بعد أن تمّت تصفية الوحدة الإسلامية للمسلمين ككل ، والتي كانت متمثلة بالخلافة العثمانية .

وفي الفصل الثالث ، مرحلة ثورة سنة ١٩٢٠ ضد الاستعمار الفرنسي ، حاولت الاستعانة بما تيسّر لي من مراجع مكتوبة ، ومحكيّة على ألسنة من عاصروا تلك الفترة ، وما زالوا أحياء . وركّزتُ على أهميتها في تاريخ المقاومة الإسلامية العاملية ، ودور العلماء المجاهدين والرجال الذين شاركوا في الأعمال العسكرية الحربية ضد الغاصب الجديد . وأمام تراجع وانحسار هذه المرحلة التاريخية في بلاد المسلمين ، وظهور مرحلة المدّ الاستعماري المتغطرس الذي يستهدف الكيان والشخصية والثقافة والعقيدة والمبدأ والأرض والثروات وكل المقومات .

في ضوء هذه الاستهدافات الخطيرة ، لا بد أن يُحدّد دور الأبطال ومهماتهم في الدفاع عن وجود الأمة وقيمها ومفاهيمها من أجل ضمان استمرارها .

لقد وضعت بين يدي القارىء في الفصل الثالث كل ما توفّر لديّ من معلومات حول الأعمال العسكرية الجهادية لصادق الحمزة وأدهم خنجر ومحمود أحمد بزي وأخوانهم المجاهدين ، لأثبت أن الأمة التي تقدم رجالها في الوقت المناسب ، تكون قادرة على المقاومة والاستمرار وبعيدة

عن الضعف والوهن والانحلال . لقد تركت الحكم للقارىء على هؤلاء الرجال الذين صوّرهم المغرضون ، أنهم لصوص وقطّاع طرق ، وخارجون على القانون !!! وأخرج رجالاً آخرين على أنهم أبطال حقيقيون . لم نقرأ عن هؤلاء الثوّار في كتاب تاريخي مدرسي ولم نسمع عنهم شيئاً ، إلاّ ما حكاه رجل مسنّ في ساحة ضيعة من ضياع جبل عامل ، أو رواه مجاهد عتيق ، أحنت السنون ظهره وكادت ذاكرته تموت ، فعلقت في مخيلته بعض الذكريات . وقد رواها خائفاً مترقباً .

إن المحنة التي أصابت الأمة بعد الحرب الأولى قد طالت وجودها ووحدتها وعقيدتها أمام الغزو الاستعماري الغربي الذي كان يملك كل الوسائل المادية إلى جانب وسائل القهر الثقافي . فوضعها كلها في تحقيق أهدافه التي بدأها منذ الحروب الصليبية ليحقق غرضه بالسيطرة التامة على كل المقدرات ، إضافة إلى دعم القوى الغربية آنذاك لتيار العلمنة ، مدّه بالقوة ووسائل تعزيزه بالمؤسسات والمعاهد والمناهج ذات الطابع العلماني .

في الفصل الرابع ، أخرجت الواقع الذي فرضه المستعمر بعد القضاء على الثورة وأحلام الوحدة والاستقلال ، وتشريده للعلماء والثوّار وقتلهم ونفيهم وتدمير القرى وإفقارها .

وقد ركّزت في هذا الفصل على السياسة الغاشمة الحمقاء التي اتبعتها فرنسا في جبل عامل ، وانحيازها لطائفة معيّنة ، وإذلالها لهذا الجبل ، وإغراقه في أتون الفقر والجهل . كما حاولت إلقاء الضوء على المشاريع اليهودية الهادفة إلى الاستيلاء على جبل عامل ، والاتصالات التي تمّت بين زعماء الصهيونية العالمية آنذاك وبعض الزعماء اللبنانيين ، والتعاون الثقافي السياسي للقضاء على ثقافة المسلمين ، واستبدالها بالثقافة الغربية العلمانية ، ووجدت نفسي مضطراً لأن أبيّن العلاقة : بين ثورة الشيخ

عز الدين القسّام وتأثيرها العقائدي ، وعلاقتها بالعامليين وعلماء جبل عـامـل . وبينـت مـواقـف العلمـاء الأجـلاّء فـي تلـك المـرحلـة ، وبعـض الانتفاضات الرافضة للسيطرة الفرنسية والتائقة إلى الوحدة الإسلامية العربية ، وجمع بلاد الشام في دولة واحدة . وقد ختمت الفصل الرابع هذا ، بما انتهى إليه الاحتلال الفرنسي من هندسة الأوضاع في لبنان ، بعد الاطمئنان إلى أن المسلمين لن تكون لهم الغلبة بعد أن يمنح هذا البلد استقلاله ضمن الصيغة التي عرفت بميثاق سنة ١٩٤٣ م .

أما الفصل الخامس . فقد بيّنت فيه ، ضياع فلسطين ، وتأسيس دولة إسرائيل ، حيث تحققت الأحلام الغربية واليهودية بعد تمزيق أوصال العالم الإسلامي ، وأنشئت دولة لليهود على أرض فلسطين ، وطرد شعبها المسلم خارج أرضه ، وبما أن جبل عامل أرض متصلة بفلسطين ، لا بدّ أن يتحمل النصيب الأوفر من هذا العبء ، حيث بدأت مرحلة جديدة مع عدو همجي حاقد ، طامع في الاستيلاء على أرضنا وخيراتنا . وقد ألمحتُ إلى الأهداف اليهودية في جبل عامل ، كما جاءت على لسان كبار الساسة اليهود . ثم بيّنت أيضاً محطتين هامتين في التاريخ اللبناني هما ثورة سنة ١٩٥٨ م وهزيمة سنة ١٩٦٧ م وأثرهما على جبل عامل ، وما تمخضت عنهما من أحداث ومواقف .

وفي الفصل السادس الأخير ، ألقيت الضوء على الأحداث الحاضرة ، وخصوصاً ما قام به العامليون من تضحيات في سبيل فلسطين والمقاومة الفلسطينية وما قدموه من حماس وإخلاص لنصرة هذه القضية ، وما فعله المتضررون ، أنصار المشروع الأميركي ـ الغربي في لبنان وبلاد الإسلام من تفجير للأوضاع سنة ١٩٧٥ م ، وما عرف بالحرب الأهلية .

وعندما وجد الغرب المتمثل بأميركا نفسه أمام تحدّ خطير ، وضع اللمسات الأخيرة مع ربيبته إسرائيل سيناريو الاجتياح ، فكان الغزو اليهودي

العسكري عام ١٩٧٨ م وعام ١٩٨٢م ، وأربك الساحة الإسلامية باقتطاع جزء من أرض جبل عامل وأقام فيه متاريس بشرية عميلة ، مستأجرة ، يختبىء خلفها . وبرز الصراع صِراعاً حضارياً ، فكرياً ، وجودياً ، وبالتالي عسكرياً . وخرجت المقاومة الإسلامية من بين هذا الزحام تقارع العدو بتكليف إلهي واجب كالصلاة والصيام متعلق بذمم المسلمين ، من أجل البقاء في الأرض والديار ومن أجل حرية ممارسة الشعائر والعقائد : ﴿ **أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله . . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز** ﴾[1] .

وأخيراً ، أرجو أن أكون قد حققت ما كنت أصبو إليه ، في تقديمي لهذا البحث المتواضع ، معتذراً من القارىء العزيز ، إذا كنت قد قصّرت بشيء ما ، شاكراً كل الذين تعاونوا معي وأفادوني وأتحفوني بما لديهم من معلومات وملاحظات ومشاهدات ، كما وأرجو المولى عزّ وجلّ أن يعينني على كتابة الجزء الثاني من هذا الكتاب المتعلق بمقاومة العدو الصهيوني منذ العام ١٩٨٢ م وحتى اليوم .

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلت وإليه أنبت ، وإليه المصير .

انتهيت من كتابته بعون الله في ٢٨ ذي القعدة ١٤١٢ هـ الموافق ٣١ أيار ١٩٩٢ م .

محمد كوراني
ياثر(*) ـ جبل عامل ـ لبنان

---

(١) سورة الحج ـ آية ٣٩ ـ ٤٠ . .

(*) ياثر هو الاسم الحقيقي لبلدة ياطر ، وقد حرّفت سنة ١٩٢٠ م ، زمن بداية الاستعمار الفرنسي من ياثر إلى ياطر لأنّ اللغة الفرنسية ليس فيها حرف الثاء ، وسجّلت في دفاتر الإحصاء باسم : ياطر .

تمهيد

كان التاريخ في الماضي تاريخ الملوك والحكّام.، وأحوالهم ومآثرهم ومأكلهم ومشربهم ، وما يؤول إليهم وما يتعلق بهم . ثم أصبح التاريخ بعد انتشار الثقافة والمعرفة والوعي عند الناس ، تاريخ الأمم والشعوب ، تاريخ البلاد والحوادث والعادات والتقاليد ، تاريخ العلماء والأبطال والمضحين والمجاهدين ، تاريخ الطبقات بكل شرائحها وأنواعها واتجاهاتها ، وبعبارة مختصرة انتقل التاريخ من الإطار الفردي إلى الاجتماعي .

. . وما المنطقة الإسلامية العربية الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى البحر الأحمر وحدود البادية جنوباً ، ومن البحر المتوسط غرباً حتى حدود العراق شرقاً ، أعني بها بلاد الشام ، إلاّ تلك البقعة التي كانت وما تزال ، منذ القدم حتى اليوم منطلقاً للموجات البشرية ، ونقطة هامة في التاريخ والاقتصاد العالمي ، منذ بدء الحضارات القديمة : الأكادية والبابلية والآشورية والكلدانية والفرعونية والفارسية والفينيقية واليونانية والرومانية إلى الحضارة الإسلامية ، مروراً بالغزو الصليبي حتى عصرنا الحاضر ، عصر الهيمنة الاستعمارية الغربية والتسلّط الأميركي الحاضر على مقدّرات شعوب المنطقة ، مع ما تثيره من فتن بالتنسيق مع ربيبتها إسرائيل الغاصبة .

مازالت هذه المنطقة محطّ أنظار العالم وموضع اهتمامه ، وسوف تبقى هكذا ، حتى يبعث الله عباده أُولي البأس الشديد الذين سيملأون الأرض عدلاً وقسطاً بعدما يكون الاستكبار العالمي قد ملأها ظلماً وجوراً وفساداً .

. . وجبل عامل ، تلك البقعة المباركة من بلاد الشام ، المترامية على تلال وهضاب ، تفصل جبل لبنان عن جبل الجليل من فلسطين . هذه البقعة الصغيرة بمساحتها ، الكبيرة بمكانتها ، أعجزت الفاتحين والغزاة وجرعتهم كؤوساً مرة المذاق حتى غدت رقماً صعباً يحسب له ألف حساب . فمن ميزات هذا الجبل الأشم : طيب هوائه ونقاؤه وعذوبة مائه وطيب تربته ، وامتياز سكانه بالذكاء واعتدال القرائح ، وكثرة النبوغ من أوائل الفتح الإسلامي حتى عصرنا الحاضر . أضف إلى هذا كون أهله قديماً وحديثاً هدف الكوارث والمحن والعداوات ، فمازالوا في الأعصار السالفة في حروب وغارات . ولعلّ العداوة الدينية كانت من أعظم البلايا على أهل جبل عامل : فيها استُحلّت دماؤهم وقتل علماؤهم ظلماً وعدواناً كما جرى للشهيد الأول محمد بن مكّي الجزيني مفخرة عصره . . وللشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي .

ويعدّ علماء جبل عامل من الصنف المتفوّق نظراً لعلو همّتهم وصبرهم وجلدهم وإصرارهم على بقر العلم ، يدل على ذلك هجرة الكثير منهم إلى بلاد إيران والهند والعراق في الأعصار السالفة ، وتقلدهم المناصب العالية كالتدريس ومشيخة الإسلام ، ويكفي افتخاراً ما كان للشيخ البهائي وأبيه المحقق الكركي وصاحب الوسائل وغيرهم من الذين تولّوا مشيخة الإسلام في أصفهان وطهران وخراسان وهراة وحيدرآباد وغيرها . ومما امتاز به العامليون أيضاً ، محافظتهم ومن جميع الطبقات على الطاعات والعبادات والشعائر الإسلامية وثباتهم على العقائد الحقّة واتصافهم بالتقوى والورع ،

إلاّ ما ندر . وقد اتصف العامليون منذ زمن بعيد بتمرين أطفالهم منذ الصغر على إقامة الشعائر كالصلوات الخمس وصيام شهر رمضان . وكان الحارث يحرث والمطر على رأسه والبرد قد أيبس يديه ، فإذا فرغ من عمله يبادر بصلاته وهو في أشقّ حال ولا يترك الصلاة . وكان الحاصد يحصد في شهر تموز وهو صائم حتى يكاد أن يهلك من العطش ولا يفطر . ولم يجترىء أحد من أمراء جبل عامل على ترك دينه ومذهبه من أجل منصب الأمارة ، كما حدث في مجاوريهم من أمراء جبل لبنان .

وعندما سيطرت دولة فرنسا الاستعمارية على هذه البلاد سرت عدوى المدنية الزائفة والحضارة الممسوخة ، فمالت النفوس إلى الانحلال والتخلص من القيم الأخلاقية الدينية السمحاء . وقد جاء في الحديث النبوي الشريف : « **الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة** » .

وخلال فترة زمنية تراوحت منذ بداية عهد الإنتداب الفرنسي حتى بزوغ فجر الثورة الإسلامية في إيران ، لم تخل البلاد من علماء مصلحين رفعوا أصواتهم عالياً يطالبون بإقامة العدل وإرساء الحق ، أو من مفكرين وأدباء وشعراء ومثقفين يذكرون بالماضي المجيد المشرق ويدعون للعودة إلى الأصالة وطريق الصواب .

ولما انبلج صبح الثورة الإسلامية في إيران ، تسرب ضياء الإيمان والهداية إلى نفوس الشباب المؤمن الواعي ، وتبدلّ كل شيء . فالعدو الصهيوني راح يكيد ويتربص ويراقب . وحملة السلاح وأبطال الساحات وتجار السياسة والزعماء انكفأوا ، لما أصابهم من فشل ذريع وإحباط قاتل .

ووسط السكوت العربي والتواطؤ الدولي استباح العدو الصهيوني أرضنا الطاهرة وتدفقت جيوشه الجرارة وآلياته المدمرة تزرع الرعب والدمار والقتل ، وأبطال الساحات الداخلية فروا مذعورين . وبقيت الفئة المؤمنة الواعية الداعية الراشدة التي تضم في صفوفها فتية أشداء ، نهضوا من بين

الركام يضمدون الجراح وعاهدوا الله بعزيمة راسخة وإصرار كبير على قتال أعداء الله والإنسان قتالاً شرساً . وكانوا أوفياء للعهد وملتزمين بأوامر الولاية وضحوا بالنفس والحرث والنّسل ، فإذا العمل الجهادي المضمخ بدم الشهادة ، على أيدي كوكبة من الشهداء المقتدين بأبي عبد الله الحسين (ع) ، يصنع المحطة التاريخية الجديدة : شهيد تلو شهيد ، يطبع نصراً بعد نصر ويسطر ملحمة أثر ملحمة ، فشعشع سماء عاملة بأحمد قصير والشهيد الشيخ راغب حرب وأبي زينب وبلال فحص وشهيدي مركزي المارينز والفرنسيين وحسن قصير والحرّ العاملي وعلي صفي الدين والشيخ أسعد برو وهيثم دبوق وأخيراً وليس آخراً سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي ، والقافلة تتبع القافلة حتى يأذن الله لوليّه بالخروج المظفر والنصر المبين لعباده الصالحين المجاهدين المضحّين . وما النصر إلاّ من عند الله ينصر من يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

الفصل الأول

العهود الأولى من تاريخ جبل عامل حتى عام ١٥١٦م

« هذا الجبل الذي جنى عليه الجانون فاهتضموه ولا يزالون ، هذا الجبل كان من أفظع ما جنوا عليه أن بدّلوا إسمه ، فأطلقوا عليه اسم (الجنوب) وتركوا اسم جبل عامل ليحولوا بينه وبين تذكُّر الخوالي من الأيام »

« السيد حسن محسن الأمين »

(من مقدمة كتاب تاريخ جبل عامل ص ١٠)

جبل عامل : التاريخ والجغرافيا

أصل التسمية :

جبل عامل ، إسم لمقاطعة من الأرض الواقعة جنوبي الشام ، وقد سميت هذه البقعة جبل عامل أو عاملة في الكتب القديمة ، وأطلق عليها (بلاد بشارة) في الكتب الحديثة ، ودعيت بجبل الخيل وجبل الخليل وجبل الجليل في العهود السالفة . وقد أوردت المراجع التاريخية الكبرى في أماكن متفرقة من مجلداتها وصفحاتها ما يؤكد ذلك كالكامل في التاريخ لابن الأثير وتاريخ أبي الفداء وتاريخ اليعقوبي ومعجم البلدان .

« ولا ريب أن لجبل عامل حدوداً طبيعية كغيره من بقاع الأرض فأفضل تحديد له هو : يحده جنوباً نهر القرن الجاري قرب ترشيحا وشرقاً أرض الخيط والأردن والحولة وقسم من جبل لبنان وشمالاً نهر الأولي . وغرباً البحر المتوسط . وتدخل في هذا الحد صيدا ، وجزين ، وقسم من قرى عكا »[1] .

---

(١) العرفان م ٢٧ ـ ج ١ ـ والجزء الخامس من أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين .

وقد أورد ابن قتيبة في كتابه المعارف في الصفحة ٤٨ ، عن سبأ وأولاده العشرة وعن عاملة وهو أحد أولاده العشرة الذين تفرّقوا ، وأن عاملة سكنوا بعض جبال الشام المعروفة باسم أبيهم إلى اليوم فإنها تسمى جبال عاملة . وكلمات المؤرخين مختلفة في تحديد دخول العرب إلى جبال عاملة ومتفقة على أصل دخولهم إليها كما أنها متفقة على أنهم عرب ينتسبون لعاملة .

وإن من يراجع فتوح الشام يجد أنَّ جبَل عامل كان مأهولاً بالروم والعرب ، وأن الروم كانوا يسكنون الحصون والقلاع وأن العرب كانوا يقيمون في الضواحي .

أدوار التاريخ السياسي لجبل عامل :

ينقسم تاريخ جبل عامل إلى أربعة أدوار : قديم ومتوسط وحديث ومعاصر . فالدور القديم الأول الذي يبتدىء من العصر الذي هجرت فيه القبيلة (عاملة بن سبأ) وطنها الأول بلاد اليمن في حادثة السد إلى سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) . وهو نهاية سيطرة دولة المماليك . والدور الثاني المتوسط يبتدىء من سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وهي السنة التي دخلت فيها بلاد الشام تحت حكم الدولة العثمانية المباشر ، وكانت السلطة في أكثر الأحيان لأمراء محليين من أهالي جبل عامل . وقد استمر هذا الدور حتى سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م . والدور الثالث الحديث من سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) إلى سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وفي هذا الدور حكم الأتراك جبل عامل حكماً مباشراً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ؛ والدور الرابع المعاصر ، هو الدور الذي دخلت فيه بلاد الشام سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية والإنكليزية .

الأهمّية التاريخية

اكتسب جبل عامل أهميته التاريخية ، انطلاقاً من الماضي البعيد الذي كان فيه هذا الجبل العظيم مهداً لدعوات الأنبياء والصالحين ولقربه من فلسطين مهد الأنبياء أيضاً . وجبل عامل أرض مقدسة وبلاد مباركة خرج منها جهابذة العلماء والنوابغ . فأغنوا المكتبات بمؤلفاتهم وتصانيفهم وحملوا دعوة العلم والفكر والصلاح فنشروها حيث حلّوا ، ولا نغالي إذا قلنا أنهم من الأركان التي قامت عليها نهضات الشعوب الإسلامية ، ناهيك عن الماضي المجيد والتاريخ المفعم بالحوادث ، الحافل بالعظائم . وبالرغم من ضيق مساحته وصغر حجمه فقد جرت فيه حروب دامية ومعارك مريعة ، وأنبت أبطالاً أشداء ورجال حرب وجلاد . وقد تميّز جبل عامل عن غيره من البقاع المجاورة بمجموعة اعتبارات أهمها :

١ ـ الأرض المقدسة والبلاد المباركة :

إن جبل عامل داخل في الأرض المقدسة أو متصل بها كما يظهر من أقوال المفسرين لقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ **ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله**

لكم ﴾ (المائدة : ٢١) روى العياشي في تفسيره أنها الشام[١] . وروى الكليني عن الباقر (ع) في حديث قال : « أوحى الله إلى موسى أن أحمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها إلى الأرض المقدسة بالشام »[٢] .

ويبدو أنّ جبل عامل بلاد مباركة ، كما يظهر من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾ (الإسراء : ١) . « وجبل عامل متصل ببلاد بيت المقدس »[٣] .

٢ ـ تقدمهم في التشيع :

يبدو أن تشيّع أهل جبل عامل هو أقدم من تشيع غيرهم . فقد رُوي أنه لما مات رسول الله (ص) لم يكن من شيعة علي (ع) إلاّ أربعة مخلصون هم : سلمان والمقداد وأبو ذرّ وعمّار . ثم في زمن عثمان لما أخرج أبو ذر إلى الشام بقي أياماً فتشيّع جماعة كثيرة ثم أخرجه معاوية إلى القرى ، فوقع في جبل عامل ، فتشيّعوا من ذلك اليوم ، فظهر أنه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيع ، إلاّ جماعة من أهل المدينة . وكان أكثر الشيعة في ذلك الوقت أهل جبل عامل »[٤] والذي يغلب على الظن أن انتشار التشيع وكثرته في جبل عامل وسائر بلاد الشام « كان ابتداؤه من أوائل المائة الثالثة للهجرة وازداد ذلك فيما بعد »[٥] ويظهر من خلال كتابات المؤرخين أن جزين كانت منبت علماء الشيعة في جبل عامل دهراً طويلاً ومنها خرج جماعة من أكابر

(١) الحر العاملي ـ محمد بن الحسن ـ أمل الآمل ـ تحقيق أحمد الحسيني ـ مكتبة الأندلس بغداد ـ سنة ١٩٦٥ . ص ١١ .
(٢) المصدر نفسه ـ ص ١٢ .
(٣) المصدر نفسه ـ ص ١٤ .
(٤) المصدر نفسه ـ ص ١٣ .
(٥) الأمين ـ السيد محسن ـ خطط جبل عامل ـ ص ٦٧ ـ مطبعة الأنصاف ـ بيروت ـ سنة ١٩٦١ م .

علمائهم ، ولكن مجاورتها لجبل لبنان وظلم حكّامه وتسلّط سكانه على أهلها بالظلم أوجب هجرتهم منها »[1] .

٣ ـ جبل عامل بلاد العلماء :

ومما يميز جبل عامل كثرة من خرج فيه من العلماء الفضلاء وأرباب الكمال ، مع ما امتازوا به من غزارة العلم وسعة الإطلاع والتضلّع بأنواع العلوم ، ولا يكاد يوجد من أهل بلاد أخرى من علماء الإمامية أكثر منهم ، ولا أحسن تأليفاً وتصنيفاً ، « وقد ذكر أنه ما من قرية في جبل عامل إلاّ وقد خرج منها جماعة من علماء الإمامية وفقهائهم »[2] . أما مرجع القضاء والفتوى الحقيقي في جميع المراحل والأدوار فهم العلماء المجتهدون العدول ، سواءً في ذلك زمن قضاته الشيعة والمفتين الرسميين في العهد الإقطاعي وفي زمن امتياز لبنان القديم وفي عهد قضاة الأتراك الأحناف وفي عهد الاحتلال الفرنسي . « وإن الشيعة الإمامية الجعفرية تعتقد حسبما رسمه لها أئمة أهل البيت (ع) أن منصبيْ الفتوى والقضاء مختصان بالفقهاء المجتهدين الثقات العدول القادرين على استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الأربعة : الكتاب والسنّة والإجماع ودليل العقل »[3] . وقد كتب صاحب الزمان الإمام المهدي المنتظر ـ أرواحنا له الفداء ـ إلى بعض شيعته ما يؤكد الرجوع إلى رواة الحديث والفقهاء والمراجع المجتهدين العارفين بأصول الدين وفروعه وأحكامه : « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله »[4] .

---

(١) المصدر نفسه ـ ص ٧٢ .
(٢) الحر العاملي ـ أمل الآمل ـ مصدر سابق ، ص ١٥ .
(٣) الأمين ـ السيد محسن ـ الخطط ـ مصدر سابق ص ١١٣ .
(٤) الطبرسي ـ الاحتجاج ـ ص ٢٦٣ ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ سنة ١٩٨١ م .

٤ ـ جبل عامل على لسان الأئمة الأطهار (ع) :

نظراً لما لهذه البلاد من قدسية ظاهرة ، ومكانة شريفة عالية ، واستناداً إلى فطرتهم في الاستقامة والذكاء والتدين ، وإقبالهم على العلوم والمعرفة ، وكفاءة علمائهم وتفتق قرائحهم ، وصفاء نفوسهم ، وتعلقهم بأمور دينهم ، فإنه وُجد بخط الشهيد الأول كما أورد الحرّ العاملي (رضوان الله تعالى عليهما) في كتاب أمل الآمل مخطوطة منقولة عن ابن بابويه عن الإمام الصادق (ع) : « أنه سئل كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم (ع) وفي حال غيبته ؟ ومن أولياؤه وشيعته ؟ ومن المصابين منهم المتمثلين أمر أئمتهم والمقتفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم ؟ قال (ع) : بلدة بالشام قيل : يا ابن رسول الله إن أعمال الشام متّسعة ؟ قال بلدة بأعمال الشقيف أوتون(*) وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . قيل : يا ابن رسول الله هؤلاء شيعتكم ؟ قال (ع) : هؤلاء شيعتنا حقّاً ، وهم أنصارنا وإخواننا والمواسون لغريبنا والحافظون لسرّنا ، واللينة قلوبهم لنا والقاسية قلوبهم على أعدائنا ، وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا ، تمحل البلاد دون بلادهم ، ولا يصابون بالصواعق ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرفون حقوق الله ويساوون بين إخوانهم ، أولئك المرحومون المغفور لحيّهم وميّتهم وذكرهم وأنثاهم ، ولأسودهم وأبيضهم ، وحرِّهم وعبدهم وإن فيهم رجالاً ينتظرون ، والله يحب المنتظرين »[1] .

وفي جبل عامل ظاهرة مميزة ينفرد بها عن بقية الأقاليم المجاورة وهي ، كثرة قبور ومشاهد الأنبياء والأولياء والصالحين والعلماء ، المنتشرة في قراه وهضابه منذ أمد طويل .

(*) أوتون : قد تكون آرنون ، إنما حرّفت بالنقل والنسخ من تناقل النساخ والله العالم .

(١) الحرّ العاملي ـ أمل الآمل ـ مصدر سابق ـ ص ١٥ ـ ١٦ .

التاريخ المطموس

كانت المناطق اللبنانية في زمن الدولة العثمانية موزعة بين متصرفية جبل لبنان وولاية بيروت وولاية دمشق وولاية صيدا. ولم يكن للبنان كيان سياسي ولا حدود سياسية واضحة . وقد نجم عن هذه الحقيقة ، أنه لم يكن للبنان تاريخ سياسي متسقل عبر العصور الوسيطة أو الحديثة .

إهمال المرحلة الوسيطة من تاريخ لبنان :

إن المرحلة الوسيطة من تاريخ لبنان الممتدة من الفتح الإسلامي الأول إلى الفتح العثماني (٦٣٥ م ـ ١٥١٦ م) والتي تشمل حوالي تسعة قرون من الزمن أهملت الكتابة عنها إهمالاً مستغرباً ومستهجناً إذا ما قسنا ذلك بما كتب عن تاريخ لبنان الفينيقي وما كتب عن تاريخ لبنان الحديث .

لقد تركزت معظم الدراسات والكتابات التاريخية على المنطقة الوسطى من لبنان التي هي جبل لبنان وأهمل تاريخ المناطق اللبنانية الباقية : كالبقاع والشمال وبيروت وجبل عامل . ولكن ولادة لبنان الكيان سنة ١٩٢٠ م بحدوده الحاضرة لم تغير من هذا الوضع شيئاً ، لقد كان الإتساع جغرافياً ، أما من حيث التاريخ فقد فرض على المناطق الملحقة

بالمتصرفية تاريخ جبل لبنان فقط ، وحرمت الملحقات من تاريخها أو من درس التاريخ المشترك ، فنشأت أجيال لا تعرف شيئاً عن مناطقها وعن تاريخها ، لكنها تعرف كل شيء عن تاريخ جبل لبنان .

التاريخ الطائفي :

إن معظم الكتابات التاريخية (خاصة ما في الكتب الرسمية المدرسية الابتدائية منها والمتوسطة وحتى الجامعية) اعتمدت التاريخ الطائفي ، إذ كتبوا تاريخ طائفة واحدة من الطوائف لإبرازها ممثلة للوطن كلّه وغامطة حق بقية الطوائف وكأن هذا الوطن الصغير هو كيان مميّز ، وأن الطائفة الأولى هي شعب يتمتع بحقّ إلهي في الأرض .

جبل عامل يتصدى للصليبيين

إعلان الحروب الصليبية :

بدأت هذه الحركة في جنوبي فرنسا منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، واستمرّت في القرن الرابع الهجري ، وكانت موجّهة في البداية ضد الأندلس والممالك الإسلامية الأوروبية ، ففي عام ٩٧٠ م ـ ٣٦٠ هـ كان النصارى قد بدأوا يحاربون المسلمين حرباً نشيطة واحتلوا صقلية وأجزاء من أرمينية واستمرّت هذه الحملات الشعواء حتى سقطت الأندلس عام ١٤٩٢ م .

وفي عام ١٠٨٨ م اعتلى العرش البابوي ، « أربانوس الثاني » وهو من بابوات الحي اليهودي ، وفي أحد أيام تشرين الثاني الباردة اعتلى « أربانوس » إحدى المنصّات في مدينة « كليرمونت » في فرنسا ليزف للجماهير إعلان الحروب الصليبية . وقد ابتدأ بالقول : « انهضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضد إخوانكم ووجّهوها ضد أعدائكم ، أعداء المسيحية . . . قاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس » . وهنا علت أصوات الألوف من الهمج الرعاع الذين رددوا كلمة : « هذه

مشيئة الله » . ثم تقدم بطرس الناسك وركع أمام البابا واستلم بركته ليقود هذه الحركة الاستعمارية ، وهكذا بدأت الحملة الصليبية الأولى »[1] .

وبعد أن ألهب البابا صدور المحتشدين بالحماس طالب جميع النصارى بحمل السلاح من أجل الضريح المقدس والتوجه لإنقاذ المسيحية من المسلمين .

مرور الصليبيين بالساحل اللبناني :

اجتاحت الحملة الصليبية الأولى بلاد الشرق الإسلامي بعد أن اجتازت القسطنطينية وهزمت السلاجقة المسلمين وأسست أول إمارة صليبية في الرها ، ثم خرجوا إلى انطاكية واحتلوها وأسسوا فيها إمارة صليبية ثانية ، واندفعوا بعد ذلك نحو بلاد الشام ومروا بالساحل اللبناني الشمالي . . « ووجدوا متطوعين من الموارنة في جهات البترون فمشوا في ركابهم . . . ثم توجهوا نحو بيروت بإرشاد أدلاء مسيحيين من منطقة طرابلس »[2] .

ويستفاد مما أورده ابن الأثير في تاريخه أن الصليبيين لم يتمكنوا أثناء زحفهم على فلسطين من احتلال أي موقع لبناني ، لكنهم وجدوا معونة من مسيحيي الشمال ومهادنة من طرابلس وبيروت ومخاصمة من صيدا والقرى التابعة لها .

سقوط صيدا والقرى المجاورة :

كانت مدينة صيدا والقرى المجاورة لها قد اعترضت طريق الصليبيين أثناء زحفهم على فلسطين في صيف ١٠٩٩ م ـ وكان ذلك في زمن الحكم

---

(١) برنر ـ يواكيم ، بابوات من الحي اليهودي ـ ترجمة خالد عيسى ـ دار حسان للنشر ـ دمشق ـ ١٩٨٣ م ـ ص ٢٤٤ .

(٢) ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ـ الكامل في التاريخ ـ م ١٠ ـ ص ٣٤٤ ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٩٦٦ م .

الفاطمي ـ وقابل الصليبيون ذلك بإتلاف المزارع والقرى وظلّت صيدا تنعم بعدها بالهدوء والاستقرار بحماية الأسطول الفاطمي من البحر وقوّات طغتكين أتابك دمشق السلجوقي من البر حتى سنة ١١٠٦ م . « وحين قرر الملك بودوان احتلال المدينة . . . أسرع الفاطميون فأرسلوا أسطولهم الذي تمكن من إيقاع الهزيمة بالسفن الصليبية ، فارتفع بذلك الحصار البحري عن المدينة . وفي الوقت ذاته وصلت قوة كبيرة من دمشق أرسلها الأتابك طغتكين تلبية لطلب حاكم صيدا »[١] . فانسحب بودوان ونجت صيدا مرة ثانية . ولكن سقوط طرابلس في صيف ١١٠٩ م وبيروت ١١١٠ م دبّ الذعر في صيدا . وقد ذكر ابن الأثير في أخبار سنة ٥٠٤ هـ : « . . . عمل الإفرنج برجاً من الخشب ، وأحكموه ، وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة ، وزحفوا به ، فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم ، وأشفقوا أن يصيبهم مثلما أصاب أهل بيروت . وبسقوط صيدا في ٤ كانون الأول ١١١٠ م تكون المنطقة الجنوبية من لبنان قد أصبحت ، ما عدا صور ، بمعظمها في أيدي الصليبيين . وبعد سقوط صيدا ، أخذ الناس في صور وغيرها من مناطق جبل عامل يتعلقون بطغتكين أتابك الشام . « كما أنا سقوط صيدا نبّه طغتكين أن الساحل أصبح بيد الفرنجة وفي ذلك تأثير كبير على الحركة التجارية مع الداخل ، فابتدأ طغتكين بالاهتمام الجدي بصور وهي آخر مدن الساحل بيد المسلمين »[٢] .

سقوط جبل عامل :

أما في جبل عامل فقد بنى الصليبيون قلعة كبيرة في تبنين لمراقبة حصار صور وقد تولى أمر تشييد هذه القلعة الأمير الصليبي « هيوفا لكنبرغ »

---

(١) ابن الأثير ـ مصدر سابق ـ م ١٠ ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ـ م ١٠ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

حاكم طبريا والجليل سنة ١١٠٥ م . وقد قتل هذا الأمير على يد طغتكين سنة ١١٠٨م .

« وتولى بعد « هيوفا لكنبرغ » في الجليل وجبل عامل الأمير الصليبي (جرفيه) فقتل بدوره على يد طغتكين سنة ١١٠٨ م وبقيت منطقة جبل عامل بعد سنة ١١١٠ م المنطقة الوحيدة التي تربط دمشق بميناء بحري هو صور ، لذلك كان طغتكين يهتم كثيراً بإبقاء المنطقة خارج الحكم الصليبي ، بينما كان الصليبيون يرون في المنطقة نقطة ضعف مستمرة ، وأصبح تاريخها بعد سقوط صيدا مرتبطاً بمعركة وبمصير مدينة صور »[1] .

مقاومة أهالي صور :

اتّخذ الفاطميون مدينة صور مركزاً لأسطولهم البحري يغيرون على المراكز الصليبية المختلفة « لكن الصليبيين عمدوا إلى بناء قلعة تبنين ، ثم عمد بودوان سنة ١١٠٨ م ـ ٥٠١ هـ إلى بناء حصن آخر خارج صور عند تل المعشوق لتشديد الحصار على المدينة . ولكن حاكم صور عمد بدوره إلى مهاجمة المركزين . ولم يجد بودوان مجالاً للوصول إلى المدينة . . . وشعرت صور أن الحماية الفاطمية ليست كافية بعد سقوط صيدا وبيروت وطرابلس ، فعمدت إلى الاتصال بطغتكين طالبة منه المساعدة ، لأنّ أهالي صور لاحظوا أن دور السلاجقة في دمشق في محاربة الصليبيين هو دور فعّال أكثر من دور الفاطميين . ففي سنة ٥٠٥ هـ ـ شهر تشرين الثاني سنة ١١١١م ضرب بودوان الحصار على المدينة من البرّ ، أما من جهة البحر فكانت بعض السفن البيزنطية تحاصر المدينة حصاراً ضعيفاً »[2] .

وقد وصف ابن الأثير هذا الحصار في أخبار سنة ٥٠٥ هـ : (أقام

---

(١) المصدر نفسه ـ م ١٠ ـ ص ٤٨٤ .

(٢) ابن الأثير ـ مصدر سابق ـ م ١٠ ـ ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩ (بتصرف) .

بودوان ثلاثة أبراج خشبية متحركة على المدينة ، وفي كلّ برج ألف رجل ، وإن رجلاً شيخاً من أهل صور استعمل سائلاً ووقوداً أحرق به الأبراج . وأرسل أهل البلد إلى طغتكين يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد إليه ، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس ، وسيّر إليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم ثم إن عزّ الملك ، صاحب صور أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من الرجال ، ويقصدهم ليملك البلد ، فأرسل طغتكين طائراً فيه رقعة ليُعلمه وصول المال . . . وسار إلى صيدا وأغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية (الصليبية) وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل ، وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر ، والفرنج يلازمون قتالهم . وقاتل أهل صور من يئس من الحياة . فدام القتال إلى أوان إدراك الغلّات ، فخاف الفرنج أن يستولي طغتكين على غلّات بلادهم ، فساروا عن البلد عاشر شوال سنة (٥٠٥ هـ) إلى عكا ، وعاد عسكر طغتكين إليه ، وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها . ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها ، وكان الفرنج قد طموه »[١] وهكذا نجت صور بفضل ثباتها ونجدة السلاجقة من دمشق بعد حصار دام أربعة أشهر ونصف الشهر . « وقد ساعد طغتكين في نجدته لصور أهالي جبل عامل بالرغم من وجودهم تحت السيطرة الصليبية »[٢] .

وتلا هذا الانتصار لصور ولطغتكين ، أن أهل المدينة طالبوا تسليمها لطغتكين بالرغم من التباين المذهبي لأن مصلحة الإسلام والبلاد اقتضت هذا الأمر الملحّ ، « فقبل طغتكين وعيّن عليها حاكماً من قِبَله هو الأمير مسعود »[٣] .

(١) ابن الأثير. الكامل في التاريخ ـ مصدر سابق ـ م ١٠ ـ ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .
(٢) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ـ مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠٨ ـ ص ١٨٠ .
(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ مصدر سابق ـ م١٠ ـ ص ٦٢٠ .

صيحة الجهـاد :

بدأ طغتكين يتصل بالأمراء المسلمين من شمالي سوريا والعراق للقيام بهجوم كبير على الصليبيين . شعر بودوان بخطر التجمع الإسلامي ، « لذلك أسرع يفاوض طغتكين على أن يتخلى عن جبل عامل وقلعة تبنين ، وعدم التعرض لأمارة دمشق . لكن طغتكين رفض ، واجتمعت قوات الأمراء المسلمين فاندفعت عبر البقاع إلى وادي التيم وبانياس . وبعضها هاجم قلعة تبنين . وتوغلت هذه القوة في فلسطين حيث وقعت معركة الأقحوانة في حزيران سنة (١١١٣م) »[١] .

وعلى الرغم من توفّر جميع أسباب النصر للمسلمين ، فقد فشلوا في القضاء على الصليبيين بسبب اختلاف الأمراء المسلمين فيما بينهم .

سقوط صـور :

كانت صور مدينة مشهورة ، سكنها خلق كثير من الزهاد والعلماء « وكان من أهلها جماعة من الأئمة ، ونسب إليها طائفة من العلماء ، وكانت من ثغور المسلمين المهمة »[٢] . لذا عمد بودوان معتمداً على تفسخ صفوف المسلمين ، إلى بناء قلعة جديدة لتطويق صور وتضييق الحصار عليها وذلك من جنوبها وهي قلعة اسكندرونة (شمالي الناقورة اليوم) وذلك سنة (١١١٦ م) . وكان آخر ما قام به بودوان من أعمال بالنسبة إلى صور ، إذ توفي بعد ذلك ليخلفه ابن عمه بودوان الثاني في الحكم . « واستمرت صور صامدة حتى وصل إليها أسطول فاطمي سنة (٥١٦ هـ ـ ١١٢٢م) فألقى القبض على الأمير مسعود وأعيدت المدينة إلى الحكم الفاطمي

---

(١) ابن القلانسي ـ مصدر سابق ـ ص ١٨٢ .

(٢) الأمين ـ السيد محسن ـ خطط جبل عامل ـ ص ٢٥٣ ـ مطبعة الأنصاف ـ سنة ١٩٦١ ـ بيروت ـ المطبعة الأولى .

المباشر »[١] .

قال ابن الأثير في تاريخه في أخبار سنة (٥١٨ هـ) : « . . . ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها ، وحدثوا نفوسهم بمُلكها ، وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها . فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم أن لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها ، لقلة من بها من الجند والميرة ، فأرسل إلى الآمر بذلك ، فرأى أن يرد ولاية صور إلى طغتكين ، صاحب دمشق ، فأرسل إليه بذلك ، فملك صور ورتّب بها من الجند وغيرهم ما ظنّ فيه الكفاية .

وسار الفرنج إليهم ونازلوهم في ربيع الأول من السنة (٥١٨ هـ) وضيقوا عليهم ، ولازموا القتال ، فقلّت الأقوات ، وسئم من بها القتال ، وضعفت نفوسهم ، وسار طغتكين إلى بانياس ليقرب منهم ، ويذبّ عن البلد ، ولعلّ الفرنج إذ رأوا قربه منهم رحلوا ، فلم يتحركوا ، ولزموا الحصار . فأرسل طغتكين إلى مصر يستنجدهم ، فلم ينجدوه ، وتمادت الأيام وأشرف أهلها على الهلاك ، فراسل حينئذٍ طغتكين صاحب دمشق وقرر الأمر على أن يسلم المدينة إليهم ، ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج عنها بما يقدرون عليه من أموالهم ورجالهم وغيرها ، فاستقرّت القاعدة على ذلك ، وفتحت أبواب البلدة وملكه الفرنج ، وفارقه أهله وتفرّقوا في البلاد ، وحملوا ما أطاقوا ، وتركوا ما عجزوا عنه . ولم يعرض الفرنج لأحد منهم ، ولم يبق إلاّ الضعيف الذي عجز عن الحركة . وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جمادى الأول سنة (٥١٨ هـ) وكان فتحه وهناً عظيماً على المسلمين »[٢] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل ـ مصدر سابق ـ ص ٦٢١ ـ م١٠ .
(٢) المصدر نفسه ـ ص ٦٢١ ـ ٦٢٢ ـ م ١٠ .

وبذلك تكون صور قد صمدت أمام الصليبيين ربع قرن من الزمن . وبسقوط صور كملت السيطرة الصليبية على الساحل اللبناني .



. . . وهكذا اجتاح الصليبيون مدينة القدس.

جذور المقاومة

الحركات الرافضـة :

مع بداية الإنحراف عن مسار الخطّ الصحيح للدعوة الإسلامية ، بدأت القوى والجماعات الأصولية الرافضة لهذا الإنحراف تتصدّى وتجابه هؤلاء المنحرفين والواهنين والمتخاذلين . وقد اتخذ هذا التصدي أشكالاً عديدة من المجابهات : الفكرية والتعبوية والاحتجاجات والمصارحات ، وفي أكثر الأحيان كان يصل إلى حدّ المجابهة العسكرية ، فيعكس حينئذٍ الوجه الصحيح والمسلك المستقيم للحركات الرافضة . فمن صفين والنهروان مروراً بكربلاء والتوّابين وامتداداً إلى حركة زيد بن علي والحركات الرافضة للحكم العباسي الجائر والثورات والحركات المتلاحقة ضد الحكام المحليين وضد الأعداء الخارجيين الطامعين بمقدرات البلاد الإسلامية والحاقدين على الإسلام ، والساعين دائماً للقضاء عليه . هذا الدين الذي غيّر مسار التاريخ وأوجد شريعة عادلة قويمة سوية ، لا يفرق بين العبد والسيد إلاّ بالتقوى .

المقاومة في التشريع :

. . وبما أن بعض الفرق الإسلامية ـ الشيعة ـ تشترط في الحاكم الذي يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية أن يكون معصوماً من الخطأ والزلل في علمه وعمله أو من يرتضيه المعصوم لكفاءته العلمية والخلقية الجامعة المانعة ، ومتى فقدت هذه الكفاءة فلا يحق أن يحكم باسم الله والدين . وقد كتب صاحب الزمان ـ أرواحنا له الفداء ـ إلى بعض شيعته : « **أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجّة الله** » . وفي هذا بيان واضح يؤكد إطاعة أولياء الأمر منّا : المراجع الأعلام ، أصحاب السلطتين الزمنية والدينية (ولاية الفقيه) . لذلك نجد موقف الحكّام عبر التاريخ من هؤلاء المحافظين على دينهم ، المتمسكين بأصوله وفروعه ، أشدّ وأقسى ، تقابله المواقف المتسمة بالتضحية بالأرواح والعيال والأملاك والأرزاق . وهذا ما زعزع أركان الظالمين وأودى بعروشهم وقضى عليهم . وجبل عامل الذي كانت ميزة تاريخه الأولى ، أنه كان على طول العصور مدرسة خالدة لم تنقطع حتى في أحلك الظروف عن تخريج الفقهاء والأدباء والشعراء .

صفحة النضال المشرق :

ولعلّ من أروع صفحات التاريخ العاملي العلمي هي صفحة النضال أيام الاحتلال الصليبي ، حيث أحكم الصليبيون سيطرتهم على البلاد والعباد ، وإذا كانوا قد استطاعوا إضفاء الطابع الصليبي على المدن فخلت من أهلها الذين إما أنهم قتلوا أو أنهم تشردوا ، فإنهم لم يستطيعوا ذلك في الأرياف التي ظلّت محتفظة بأهلها المسلمين ، وذلك لأن الصليبيين المحتلين كانوا بحاجة لهؤلاء الأهل ، « فلم يكن بإمكان الصليبيين حراثة الأرض وزراعتها واستنباتها حبوباً تؤمن حاجتهم من القوت ، لذلك اضطرّوا

لضمانة سكان القرى وإبقائهم في قراهم ليقاسموهم نتاج أرضهم ، وهكذا ظلّت القرى الإسلامية في كل المناطق المحتلة عامرة بسكانها ، ومنها قرى جبل عامل »[1] .

قتال الظلمة واجب إلهي :

لقد أثبتت المقاومة الإسلامية عبر التاريخ ومازالت أنها وحدها ، القادرة على الثبات والصمود ، نظراً لانطلاقها من المبدأ العقائدي والتشريع ، وما يوجبه الضمير الإنساني الحي ، حتى لو أدّى ذلك إلى أن تدفع رؤوس مجاهديها ثمن صمودها . ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم . وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم** ﴾ (البقرة : ٢١٦) وما مقارعة أعداء الأمة المرتبطين بالعلاقات الوثيقة مع أعداء الله والأمة عبر التاريخ وخصوصاً في بلاد الشام محور أحداث المنطقة منذ الغزو الصليبي إلاّ خير دليل على نصاعة هذه المقاومة واستمراريتها والتي تجلّت بمقارعة الأعداء الداخليين زمن الحكم الإقطاعي والاستعمار الفرنسي في جبل عامل في الربع الأول من هذا القرن ومازالت مستمرة في جهادها ضد الصهاينة والمتصهينين . وإذا ما تتبعنا المراحل التاريخية منذ الغزو الصليبي ، فإننا نتفاجأ بالمواقف الثابتة لهذه النخبة من المؤمنين المجاهدين والتي جاهرت بالرفض للأساليب الانحرافية ، ممتشقة حسامها لتقويم الإعوجاج وإعادة الحق إلى نصابه . وقد لاحظنا سابقاً كيف أن مدينة صور قد امتنعت من السقوط بأيدي الصليبيين أكثر من عشرين عاماً بعد سقوط جاراتها صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وذلك بفضل ثباتها ونجدة السلاجقة المسلمين من دمشق ونجدة أهالي جبل عامل بالرغم من وجودهم تحت السيطرة الصليبية .

---

(١) ذيب ـ يوسف ـ فهرست جبل عامل ١٩٠٩ ـ ١٩٨٦ ـ ص ١٠ ـ المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والإعلام ـ بيروت (من مقدمة السيد حسن الأمين) .

النشاط العسكري ضد الغزو الصليبي :

منذ أن سقطت صور بأيدي الصليبيين عام (١١٢٤م) خلا لهم الجو ، إلاّ من دمشق التي ظلّ حكامها يناوشون الصليبيين في منازلات تتسم بالدفاع الوقائي تارة وبالهجوم طوراً . وبعد سقوط عسقلان على الساحل الفلسطيني سنة (١١٥٣ م) بأيدي الصليبيين ، « هاجم الأسطول الفاطمي ببحارة ألبسوا ثياب الصليبيين مدينة صور فاحتلوا ميناءها ثلاثة أيام ونهبوا وأحرقوا ثم رجعوا ، كما هاجم الأسطول الفاطمي مرة ثانية بيروت بعد صور سنة (١١٥٤م) (٥٥٢ هـ) فأوقع بالفرنجة خسائر كبيرة . ثم هاجم سنة (١١٥٥ م ـ ٥٥٣ هـ) السواحل الشامية فدوخ ساحل الشام وظفر بمراكب الفرنجة »[1] . ثم مرت فترة من الركود العسكري تخللتها مناوشات محدودة تبعتها فترة من التدهور في الأوضاع السياسية عند المسلمين والصليبيين . انتهت بانتزاع صلاح الدين الأيوبي الحكم في مصر من أيدي الفاطميين ، « ثم بدأ العمل على توحيد البلاد الإسلامية الشامية لمنازلة الصليبيين ، فهاجم الشمال اللبناني والوسط وحاصر حلب وانتزع بعلبك وجمّد تحركات الصليبيين في أنطاكية ، ثم انفرد بالقوات التابعة لمملكة القدس الصليبية ، وأرسل عساكره ومعها القبائل العربية إلى جبل عامل فحصدوا غلال منطقتي صيدا وصور (الصليبيتين) ، فجرت المعركة عندئذٍ في سهل مرجعيون وانتصر صلاح الدين ثم راح يهاجم مناطق صور وصيدا وبيروت ووجّه أسطوله من مصر فهاجم عكا »[2] .

---

(١) كرد علي ـ محمد ـ خطط الشام ـ ص ٣٣ ـ دمشق سنة ١٩٢٥ .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل ـ مصدر سابق ـ م ١١ ـ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ (باختصار وتصرف) .

موقعة حطين :

دعا صلاح الدين الأمراء المسلمين من مختلف المناطق إلى الجهاد المقدس ثم هاجم طبريا ، فاجتمع الصليبيون للدفاع عنها ، فوقعت بين الفريقين معركة حاسمة ، هي معركة حطين (قرب طبريا) في ٤ تموز سنة ١١٨٧ م . « ووقع الملك الصليبي غي دي لوزينيان ، وأرنولد دي شاتيون ومعظم القادة الصليبيين في الأسر . وتلقى دي شاتيون عقوبة الإعدام بيد صلاح الدين . ثم تدهورت أوضاع الصليبيين إثر معركة حطين ، فقد فقدوا عشرين ألف جندي بين قتيل وأسير . فاندفع صلاح الدين يحتل شمالي فلسطين فسقطت عكا في يده في ١٠ تموز سنة ١١٨٧م ثم ضرب الحصار على تبنين فأخذها في ٢٩ تموز ، وأثناء الحصار سيطر على مناطق جبل عامل ما عدا قلعة الشقيف وقد سقطت صرفند وصيدا سلماً بعد أن سلّمها الأمير الصليبي (رينو) وانتقل إلى قلعة الشقيف ، ثم سقطت بيروت وجبيل ومنطقة عكار حتى ضواحي أنطاكية شمالاً ولم يبق في أيدي الصليبيين من لبنان سوى : طرابلس المدينة وصور وقلعة الشقيف . وبالرغم من أن صلاح الدين لم يطرد الصليبيين من المدن والقرى ، إلاّ من القدس فقط ، فقد أخذ الصليبيون ينزحون إما إلى صور وإما إلى طرابلس »[1] . . . وكان لتدفق النازحين الصليبيين إلى صور ووصول نجدة صليبية من أوروبا بقيادة (كونراد دي مونتفرا) تأثير على امتناع مدينة صور على صلاح الدين ، فلم يعد باستطاعته السيطرة على المدينة « مما اضطره في السنة التالية سنة ١١٨٨ م أن يطلق سراح الملك الصليبي (غي دي لوزينيان) لتنظيم ترحيل الصليبيين من صور ولكنه غيّر تعهده وتزعم جموع النازحين إلى صور ثم سار بهم إلى عكا ، وأثناء حصارها عمد صلاح الدين إلى محاصرة قلعة الشقيف ، وقد اتخذ مركزاً له في مرجعيون فسقطت القلعة

---

(١) المصدر نفسه ـ م ١١ ـ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ (باختصار وتصرف) .

بيد صلاح الدين في نيسان ١١٩٠ م وبذلك أصبح لبنان بكامله ما عدا طرابلس وصور في يد السلطان الأيوبي »[1] .

صلاح الدين يحاصر صور :

بعد أن افتتح صلاح الدين البيت المقدَّس ، سار إلى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير ، فوصلها تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب من البلد (منطقة البص حالياً) بحيث يراه ، حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار في الثاني والعشرين من رمضان ، فنزل على تلٍّ يقارب سور البلد بحيث يرى القتال . وقسم القتال على العسكر ، كل جمْعٍ منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه ، بحيث يتصل القتال على البلد . على أن الموضع الذي يقاتلون منه قريب المسافة ، يكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد لحفظه ، وعليه الخنادق التي قد وصلت من البحر إلى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها . . . فزحف المسلمون مرة بالمجانيق والعرادات والجروخ والدبابات . . . وكان للفرنج شوانٍ وحرّاقات يركبون فيها في البحر ، ويقفون من جانبي الموضع الذي يقاتل المسلمون منه أهل البلد ، فيرمون المسلمين من جانبهم بالجروخ ، ويقاتلونهم ، وكان ذلك يعظم عليهم لأن أهل البلد يقاتلونهم من بين أيديهم ، وأصحاب الشواني يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفد من أحد الجانبين إلى الجانب الآخر لضيق الموضع ، فكثرت الجراحات في المسلمين والقتل ، ولم يتمكنوا من الدُّنو إلى البلد ، فأرسل صلاح الدين إلى الشواني التي جاءته من مصر ، وهي عشر قطع ، وكانت بِعكّا ، فأحضرها رجالها ومقاتلتها وعدتها ، وكانت في البحر تمنع شواني أهل صور ـ الصليبية ـ من الخروج إلى قتال المسلمين ، فتمكن المسلمون حينئذٍ من القرب من البلد ، ومن قتاله ، فقاتلوه برّاً وبحرّاً

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ مصدر سابق ـ م ١١ ـ من ص ٥٣٢ ـ حتى ص ٥٤٢ (بتصرف واختصار) .

وضايقوه حتى كادوا يظفرون ، فجاءت الأقدار بما لم يكن في الحساب ، وذلك أن خمس قطع من شواني المسلمين باتت ، في بعض الليالي ، مقابل ميناء صور ليمنعوا من الخروج منه والدخول إليه ، فباتوا ليلتهم يحرسون . . . فلمّا كان وقت السحر أمنوا فناموا ، فما شعروا إلاّ بشواني الفرنج قد نازلتهم وضايقتهم ، فأوقعت بهم ، فقتلوا من أرادوا قتله وأخذوا الباقين بمراكبهم وأدخلوهم ميناء صور ، والمسلمون في البر ينظرون إليهم . ورمى جماعة من المسلمين أنفسهم من الشواني في البحر ، فمنهم من سبح فنجا ، ومنهم من غرق . . . ولما رأى صلاح الدين أن أمر صور يطول ، رحل عنها . . . ولما رأى هو وأصحابه شدة أمر صور ملُّوها ، وطلبوا الانتقال عنها ، ولم يكن لأحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين . . . »[1] .

ويستفاد من أخبار ابن الأثير في تاريخه أنه ما أن فكَّ صلاح الدين الحصار عن صور حتى تنبه الصليبيون إلى خطورة أعماله العسكرية ، فأرسل الملك الصليبي (كونرادي مونتفرا) رئيس أساقفة صور جوسياس إلى البابا والدول الأوروبية لطلب النجدة وذلك في صيف سنة ١١٨٧م . وبالفعل بدأت النجدات تصل تباعاً .

الحملة الصليبية الفاشلة :

تألفت حملة صليبية جديدة في ألمانيا بقيادة (فريدريك بربروسا) ، « واعتقدوا أنهم سيحتلون بلاد الشام بكاملها ، فأقدم صلاح الدين على هدم أسوار المدن الساحلية التي كانت بحوزته . لكن حملة الألمان فشلت بعد غرق فريدريك بربروسا في نهر في كيليكيا فعاد القسم الأكبر منها ، ووصل قسم ضئيل منهم إلىٰ بلاد الشام ، وهم بحالة مزرية طمعت المسلمين بهم

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ مصدر سابق ـ ج ١١ ـ ص ٥٥٣ حتى ص ٥٥٥ .

فنهبوهم وأسروا كثيراً منهم »[1] ، « وكانوا حملة عصي وركاب حمير ، وأن الناس كانوا يأسرون منهم ، وهانوا في الأنفس ، بعدما كانوا قد تهيبوا هيبة عظيمة ، وبيعوا في الأسواق بالثمن البخس »[2] .

---

(١) المصدر نفسه ـ ج ١١ ـ ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) ابن واصل ـ مفرج الكروب ـ ج ٢ ـ ص ٣٢٢ ـ وزارة الثقافة والإرشاد ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦١م .

التفسّخ الأيوبي والصليبي

لم يعمر صلاح الدين طويلاً إذ توفي في ٤ آذار سنة١١٩٣ م وله من العمر ٥٨ عاماً . فقد كان أرهق نفسه بالحروب منذ معركة حطين سنة ١١٨٧ م . . . فتوزعت السلطنة على أولاده وأخوته وبذلك تفككت وعادت مصر منفصلة عن سوريا . كما أن المدن الشامية أصبحت ممالك أيوبية صغيرة . . . وسادت الاختلافات بين هذه الممالك منذ وفاة السلطان صلاح الدين .

استغل الصليبيون تفسخ الأيوبيين فتوسعوا في بعض المناطق واستعادوا مدينة بيروت ، وبعدها دخلت البلاد في دوّامة من الفوضى والحروب بين الصليبيين والمسلمين ، وبين الصليبيين أنفسهم ، وبين المسلمين فيما بينهم .

وإزاء الكرّ والفر ، والانتصار والإنكسار ، وسقوط المدن واستردادها من قبل هذا الفريق أو ذاك « سارت العساكر الإسلامية إلى صور فقطعوا أشجارها ، وخربوا ما لها من قرى وأبراج ، فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا

من بيروت إلى صور وأقاموا عليها »[1] .

تجدد الحروب الصليبية ضد المسلمين :

دعا البابا هونوريوس الثالث إلى حملة صليبية جديدة لاستعادة بيت المقدس وفي سنة ١٢١٧ م وصلت إلى عكا « وقد اجتاح هؤلاء الصليبيون منطقة الجليل ومنطقة جبل عامل وأوقعوا بالقرى والمناطق الإسلامية خسائر كبيرة . . . ثم جاؤوا إلى صور وقصدوا بلد الشقيف ، ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين ، فنهبوا البلاد : صيدا والشقيف وعادوا إلى عكا . . . يقول ابن الأثير المعاصر لتلك الحقبة : . . . ولقد بلغني أن الملك العادل لمّا سار إلى مرج الصفّر رأى في طريقه رجلاً يحمل شيئاً ، وهو يمشي تارة ، وتارة يقعد ويستريح ، فعدل العادل إليه وحده فقال له : « يا شيخ لا تعجَل ، وارفق بنفسك ، فعرفه الرجل ، فقال : يا سلطان المسلمين أنت لا تعجل فإنا إذا رأيناك قد سرْت إلى بلادك وتركتنا مع الأعداء فكيف لا نعجل ؟ »[2] .

وأمام تدفق الفرنجة على مملكة عكا حاول الملك المعظم ملك دمشق مهاجمة الصليبيين في هذه المملكة للتخفيف من ضغطهم على أخيه الملك الكامل في مصر « وقد اعتمد الملك المعظم في محاولة صد الصليبيين على تخريب المدن والقرى والقلاع الموجودة بين يديه والمجاورة لمملكة عكا حتى لا تقع في أيدي الصليبيين ، ومن الحصون التي هدمها : حصن تبنين ، وحصن بانياس ، وكاد يهدم أسوار القدس وقلعتها »[3] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ ج ١٢ ـ ص ١٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ـ ج ١٢ ـ ص ٣٢٢ .
(٣) أبو شامة ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ـ ص ١١٥ .ـ المؤسسة المصرية العامة ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦٢م .

نقمة المسلمين على سلاطين الأيوبيين :

بسبب صراع الأيوبيين فيما بينهم وصراع الصليبيين فيما بينهم أيضاً وبسبب الاضطرابات المتواصلة واهتزاز الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية كثرت الفتن وانقطع حبل الأمن وافتقر الناس . وقد ابتدع الأيوبيون سياسة جديدة اتجاه الصليبيين وهي تدمير المدن والقرى والقلاع التي لا يتمكنون من المحافظة عليها . فكانت إذا تعرضت للخطر عمدوا إلى هدم أسوارها وقلاعها وأبنيتها حتى لا تعود صالحة . وعلى هذا الأساس هدم الأيوبيون بيروت وصيدا وقلعة تبنين وقرى صور . . . وقد أدّت عملية الهدم هذه إلى تنقل السكان من مكان إلى آخر وعلى جعل السواحل اللبنانية منطقة صراع دائم وجعلت الجبال تعمر تدريجياً بالسكان . وقد تغيرت نظرة السكان في لبنان نحو الأيوبيين ، فلم يعودوا يطمئنون لحمايتهم ولا يشعرون بجدية الدولة الأيوبية في الحكم للصالح العام . ومما زاد في نقمة المسلمين على الأيوبيين أنهم عمدوا إلى تسليم العديد من المدن والقرى والقلاع إلى الصليبيين بدون قتال ، بينما جمعوا قواهم لمحاربة بعضهم البعض . . . وقد وصل الأمر ببعض الملوك الأيوبيين ، وهو الصالح اسماعيل ، أنه حاصر قلعة الشقيف في جنوب لبنان لأن حاميتها المسلمة رفضت تسليمها للصليبيين ثم احتلها وسلمها لهم وعاقب أفراد الحامية »[1] .

أما الجانب الصليبي فلم يكن أوفر حظاً من المسلمين حيث انتشرت الحروب بين الجاليات التجارية الإيطالية ، والمؤسسات العسكرية الصليبية ووصلت هذه الحرب إلى ذروتها في صيف سنة ١٢٥٨ م بين الجنويين والبنادقة ، وبين صليبيي جبيل وطرابلس ، وفي غمرة هذه النزاعات فيما بين الصليبيين أنفسهم ، وفيما بين الأيوبيين أنفسهم وصل المغول إلى بلاد

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ مصدر سابق ـ م١٢ (من أخبار سنة ٥٩٣هـ و٥٩٥هـ و٦٠٠هـ بتصرف) .

الشام »[1] .

الغزو المغولي وهزيمتهم في عين جالوت :

كان المغول يؤمنون بالمسيحية على مذهب نسطور . « فحالفهم المسيحيون الشرقيون والأرمن واجتاح هذا الحلف - المغولي - الأرمني - المسيحي الشرقي النسطوري - الصليبي ، بلاد الشام فأسرع الأمراء الأيوبيون يستسلمون للمغول خوفاً منهم ويحالفونهم »[2] .

لم يعد في الساحة الإسلامية سوى المماليك في مصر ، « فعبروا بقيادة قطز وبيبرس سواحل عكا والتقى المماليك بقوات المغول التي قادها كتبغا في عين جالوت في ٣ أيلول سنة ١٢٦٠م حيث كان الانتصار الساحق للمماليك وتدمير قوة المغول ومقتل قائدهم كتبغا »[3] .

وكانت النتيجة الفورية لهذا الانتصار الهائل تراجع المغول عن سوريا ، وسقوط دمشق بيد المماليك وبذلك توحدت مجدداً مصر وسوريا . وقد انتقم المماليك من تخاذل الأيوبيين وخيانة بعضهم فقضوا على حكمهم . وقامت سلطنة المماليك في مصر والشام على أنقاضهم لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع المملوكي - الصليبي الذي انتهى بتصفية الحكم الصليبي في الشرق .

---

(١) عاشور - سعيد - الحركة الصليبية - ج ٢ - ص ١١٠٧ - الطبعة الأولى - سنة ١٩٦٣ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
(٢) المقريزي - السلوك - ج ١ - ص ٤٢٦ .
(٣) المصدر نفسه - ج ١ - ص ٤٣١ .

بيبرس يحاول اجتثاث الصليبيين :

عندما توفي هولاكو المغولي سارع الظاهر بيبرس بمهاجمة المراكز الصليبية مستغلاً المنازعات العميقة القائمة بينهم فابتدأ منذ سنة ١٢٦٥ م بهجماته على أرصوف وعكا وقيسارية . ثم احتل صفد وهونين وتبنين والرملة . وأرسل قائده قلاوون إلى الشمال فاحتل حلبا وعرقة والقليعات .

وقد اصطدم بيبرس مراراً بموارنة الشمال عندما كان يقترب من طرابلس ، فتركها وانتقل إلى أنطاكية سنة ١٢٦٨ م فاحتلها بالقوة وسبى أهلها . كما كان قبلها قد انتزع يافا واحتل قلعة الشقيف ١٢٦٨ م . ولم يبق في يد الصليبيين سوى الساحل اللبناني من طرابلس إلى عكا »[1] .

سقوط الصليبيين وطردهم من الشرق :

بعد وفاة الظاهر بيبرس تجدد القتال بين المماليك والمغول سنة ١٢٨١ م في منطقة حمص ، « وظلّ الصليبيون في خلافات دموية

---

(١) المقريزي ـ السلوك ـ ج ١ ـ ص ٥٥٠ ـ (مصدر سابق) .

وتحولوا إلى مناطق منفصلة عن بعضها البعض سياسياً وراحت تتناحر على المكاسب التجارية بين الجنويين والبنادقة وتجار بيزا »[1] .

وقد استفاد قلاوون بعد انتصاره على المغول من هدنة مع الصليبيين « فقام سنة ١٢٨٣ م باحتلال المناطق المارونية المحيطة بطرابلس والتي كانت تساعد المدينة (الصليبية) دائماً ضد المماليك . ولم يتحرك الصليبيون لنجدة حلفائهم الموارنة ، مما سمح له باحتلال المنطقة المارونية والتنكيل بقرى إهدن وبشري والحدث بعنف بالغ ، نظراً لعلاقة الموارنة بصليبيي طرابلس ومساعدتهم لهم ضد السلطان الظاهر بيبرس »[2] .

وبعد وفاة قلاوون خلفه ابنه الأشرف خليل فتابع تجهيز الجيش الذي كان يعده والده لتحرير ما تبقى من مدن ومواقع على طول الساحل اللبناني والفلسطيني . « وفي ٥ نيسان ١٢٩١ م ضرب المماليك الحصار على عكا . ودامت المعركة حتى ٢٨ أيار حين سقطت المدينة بكاملها في قبضة الأشرف خليل فأمر بهدمها تماماً حتى لا يفكر الصليبيون بالعودة إليها »[3] .

أما صور فقد سقطت أثناء حصار عكا في ١٩ أيار من السنة نفسها . وفي صيف سنة ١٢٩١ م اكتمل الجلاء الصليبي عن الشرق ، فقد أرسل الأشرف خليل قائده سنجر الشجاعي إلى بيروت فأخذها سلماً وأجلى سكانها الصليبيين عنها إلى دمشق ثم إلى مصر وبعدها أرسلهم إلى قبرص وهدم المماليك صور وصيدا وتحصينات بيروت . أما جبيل فأبقوا أهلها فيها »[4] .

---

(١) عاشور ـ سعيد ـ الحركة الصليبية ـ (مصدر سابق) ـ م ٢ ج ٢ ـ ص ١١٦٧ .

(٢) الهمذاني ـ رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ ـ ج٢ ـ ص٨٥ ـ(نقله من الفارسية إلى العربية ـ محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد) ـ القاهرة سنة١٩٦٠م .

(٣) المقريزي ـ السلوك ـ (مصدر سابق) ـ ج ١ ـ ص ٧٦٤ ـ ٧٦٥ .

(٤) المقريزي ـ السلوك ـ ج ١ ـ ص ٧٦٥ ـ ٧٦٦ (مصدر سابق) .

التأثيرات الصليبية في لبنان :

نقل الصليبيون خلال قرنين من الزمن (١٠٩٨ ـ ١٢٩١ م) كثيراً من ركائز التراث الشرقي والحضارة الإسلامية . هذه الركائز التي أثرت فيما بعد بما عرف باسم النهضة الأوروبية . ولم يكن للصليبيين أدنى تأثير في الشرق لأنهم كانوا على العموم أقل رقياً من المسلمين ، ولأن العداوة بينهم وبين المسلمين جعلت الشرقيين بوجه عام لا يتأثرون بهم . ورغم هذا كله فقد ترك الصليبيون في لبنان بصمات تبين بعض التأثيرات الهامة التي أدّت إلى خلق تغييرات ومناخات جديدة أهمها :

أ ـ **التمازج العرقي** : حدث تزاوج بين كثير من الصليبيين والمسيحيين الشرقيين خلال الحكم الصليبي . « ولكن التمازج الكبير حدث عند نهاية الحروب الصليبية ، إذ بقيت أكثرية السكان الصليبيين غير المحاربة في الشرق وخاصة في لبنان . . . وقد تحولت هذه الجاليات الصليبية إلى مذهب المنطقة المتواجدة فيها ، حماية لأنفسهم . فالجاليات الصليبية في جبل عامل تحوّلت إلى مذهب الشيعة المسيطر هناك ، ومع الوقت استعربوا وتشيعوا وذابوا في بتوتقة الأقليم بالرغم من بقاء ملامح السحنة الأوروبية . وتحوّلت الجاليات الصليبية في الشمال إلى مذهب الموارنة واندمجت فيهم ، كما تحوّلت جاليات الصليبيين في عكار وبلاد العلويين إلى النصيرية وامتزجت فيهم . كما حدث امتزاج آخر بين الجاليات الصليبية والدروز »[١] .

ب ـ **الأثر الديني** : لم يكن للصليبيين أهداف تبشيرية ، لذلك كان أثرهم محدوداً في التعاطف مع الموارنة فقط ، الذين ساعدوهم في معظم

---

(١) مكي ـ محمد علي ـ لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ـ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ دار النهار للنشر ـ بيروت .

حروبهم . وكان من نتائج هذا التعاطف الصلة الحميمة والوثيقة التي قامت بين الموارنة وفرنسا منذ عهد لويس التاسع . وقد وجّه هذا الأخير رسالته إلى البطريرك الماروني يعتبر فيها أن الموارنة جزء من الأمة الفرنسية : « أما نحن وكلّ الذين يخلفوننا على عرش فرنسا ، فنتعهد بأن نوليكم أنتم وشعبكم نفس الحماية التي للفرنساويين أنفسهم وبأن نعمل على الدوام كل ما هو ضروري لسعادتكم »[1] .

لقد استاء الموارنة من انتصار المسلمين على صليبيي أوروبا فجمعوا فلولهم وقواهم « واجتمعوا من جديد تحت قيادة بطريركهم دانيال الحدشيتي الذي بعث إلى البابا نقولا الثالث ببراءة التثبيت مع بعض الهدايا طالباً نجدتهم ضد المسلمين لمنعهم من تحرير بلادهم »[2] .

ج ـ **الأثر العمراني** : لم يبق من الآثار العمرانية المدنية الصليبية شيء « لأنّ المماليك هدموا القصور والمباني على اختلاف أنواعها وردموا الموانىء ومبانيها وأسوارها المختلفة . وكان الصليبيون عند مجيئهم سنة ١٠٩٨ م قد هدموا معالم مدن الساحل اللبناني العائدة إلى الفترة الإسلامية الأولى »[3] .

د ـ **الحقد الاجتماعي** : ترك الصليبيون نظاماً إقطاعياً مختلفاً عمّا كان عليه المسلمون في المناطق الداخلية غير الصليبية . . . لذلك « كان على المماليك فيما بعد أن ينظموا الإقطاع وأن يستفيدوا من التجارب الصليبية دون أن يعتمدوها ، كما اعتمد المماليك في علاقتهم الاجتماعية على أحقادهم ضد الصليبيين . كما أن الصليبيين فشلوا في التبشير المسيحي

(١) نفس المصدر ـ ص ٢٠٧ .

(٢) خاطر ـ لحد ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٦٢ ـ المخلصية ـ لبنان سنة١٩٦٦ م .

(٣) مكي ـ محمد علي ـ لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ـ ص ٢٠٨ ـ مصدر سابق .

في صفوف المسلمين ، فإنهم فشلوا كذلك في توحيد المذاهب المسيحية وربطها بالكاثوليكية الغربية . وكان من أثرهم أنهم أوغروا صدور المماليك بالحقد على بعض الطوائف الإسلامية ، وخاصة الشيعة »[1] .

وهكذا نستطيع القول بأن العامليين تغلبوا على محنة الاحتلال وعلى ما حملتهم إياه تلك المحنة من ضيق وتضييق ، وقدروا أن يؤسسوا مدارسهم ، وأن يحتفظوا بوجودهم كاملاً ، لا ينقصه الجهل المؤدي إلى الذوبان والإنحلال ، وأن يظلوا أمناء على رسالتهم الفكرية الأصيلة ، « فحرسوا اللغة العربية وصانوا علومها في ذاك البحر الفرنجي الطامي ، وحرسوا علوم الشريعة وحفظوها وأورثوا ذلك للأجيال التالية أمانة خالدة »[2] .

---

(١) المصدر نفسه ـ ص٢١٠ ـ ٢١١ .

(٢) ديب ـ يوسف ـ فهرست جبل عامل ـ مصدر سابق (من مقدمة السيد حسن الأمين) ص ١١ .

التعصب المذهبي عند المماليك :

تميّز المماليك بسياستهم المتشددة في محاربة المذاهب الإسلامية غير السنية ، « وكان الناس إذا أرادوا أن يكيدوا لشخص دسّوا عليه من رماه بالتشيع ، فتصادر أملاكه وتنهال عليه العقوبات والإهانات حتى يظهر التوبة من الرفض »[1] . وعندما تكون القضية كبيرة وتشمل منطقة كبيرة بأكملها كانت الدولة المملوكية تتستر وتحتج حججاً مختلفة كالاتصال بالصليبيين ، أو الاتصال بالمغول والأيوبيين لإسقاط الحكم المملوكي وأبرز مثال على هذه الحجج معارك كسروان وما رافقها من العنف والبطش ، بالإضافة إلى فتاوى ابن تيمية في هدر دماء الكسروانيين »[2] ـ المسلمين الشيعة ـ ولما اكتمل الاحتلال المملوكي لجميع المدن الساحلية اللبنانية وانتزاعها من أيدي الصليبيين بدأ المماليك بتصفية كل معارض لدولتهم . فقد تردد

(١) ابن حجر ـ الدرر الكامنة ـ ج ٧ ـ ص ٦٦ .
(٢) السلوك ـ مصدر سابق ـ ج ١ ـ ق ٣ ـ ص ٧٧٩ .

الشيعة في كسروان بالخضوع الكامل للسلطة الجديدة وعمل التنوخيون على تحريض المماليك ضد شيعة كسروان طمعاً بالسيطرة الإقطاعية عليهم وبسبب الخلاف المذهبي بين الفريقين »[1] . ولمّا جرّد المماليك حملتهم الأولى على كسروان بدافع الانتقام وليس الاحتلال ، اعتقلوا عدداً كبيراً من سكّان المنطقة بِتُهم مختلفة ، منها الإساءة إلى جنود المماليك الذين هربوا من وجه المغول سنة ١٢٨٧ م إبان اجتياح البقاع ووادي التيم . والظاهر أن التنوخيين هم الذين دبروا هذه التهمة ضد جيرانهم ، فتفهم نائب السلطان هذه القضية وغيّر خطة الهجوم ، فأدى ذلك إلى نقمة كبيرة عليه لدى الأمراء ولدى السلطان حتى وصلت التهمة إلى حدّ أنه ارتشى من شيعة كسروان »[2] .

الانتقام التنوخي :

نتيجة العداوة التي استفحلت بين التنوخيين والكسروانيين شنَّ المماليك حملتين أخريين سنة ١٢٩٩ م وسنة ١٣٠٢ م ، وكان المماليك قد أقطعوا منطقة كسروان للتنوخيين فأرهقوا الناس بالضرائب الباهظة ، فتمرد الكسروانيون على سلطة المماليك ، مما دفع هؤلاء إلى توجيه حملة رابعة سميت بفتوح كسروان سنة ١٣٠٥ م . حيث وجه آقوش نائب الشام بعثة في البداية لإصلاح الأمر بين الشيعة والتنوخيين ولكنها لم تحقق غايتها ، ثم عاد آقوش وأرسل بعثة ثانية برئاسة أحمد بن تيميّة وبصحبته بهاء الدين قراقوش محاولين إرغام الشيعة في كسروان التخلي عن مذهبهم والدخول في طاعة السلطان المملوكي ، وفي هذه الأثناء جهز آقوش جيشاً كبيراً بلغ خمسين ألف محارب وعمد ابن تيميّة إلى إصدار فتوى بهدر دماء الشيعة الكسروانيين

---

(١) نفس المصدر ـ ق ٣ ـ ص ٧٧٩ .
(٢) مكي ـ محمد علي ـ لبنان من الفتح العربي ـ ص ٢٢١ .

وهدم بيوتهم وحرق أشجارهم »[1] .

فتوى ابن تيميّة تطيح بشيعة كسروان :

أورد القلقشندي في صبح الأعشى ما يلي : « كان شيخنا ابن تيميّة . . . يرى أن قتالهم (أي شيعة كسروان) وقتال النصيرية أولى من قتال الأرمن ، لأنهم عدوّ في دار الإسلام ، وشرُّ بقائهم أضر »[2] .

وبناء لهذه الفتوى اجتث آقوش بمساعدة التنوخيين المناطق الكسروانية من الشمال فعرفت بالفتوح ، وسقطت كسروان بعد أحد عشر يوماً من القتال ، فخرب آقوش الضياع وقطع الكروم وفرّق الأهالي وملك الجبل عنوة ووضع في أهله السيف . ومن نجا منهم التجأ إلى منطقتي بعلبك وجزين »[3] . وعندها أخذ الموارنة يتكاثرون في المنطقة التي خلت من سكانها بعد تهجير أهلها .

المذابح المروّعة :

« جاء في الأخبار المحلية الحادثة المروعة التالية : . . . . إن بعض الكسروانيين هربوا بحرمهم وأولادهم وأموالهم ونحو ثلاثماية نفس من رجالهم ، اجتمعوا في مغارة (نَيْبِيْه) فوق انطلياس غربي مغارة البلاّنة فدافعوا عن أنفسهم . ولم يقدر الجيش أن ينال منهم . ثم بذلوا لهم الأمان فلم يخرجوا . فأمر نائب دمشق أن يبنوا على المغارة سدّاً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاّ من التراب ، وجعلوا الأمير قطلو بك حارساً عليهم

---

(١) بن يحيى ـ صالح ـ تاريخ بيروت ـ ص ٢٧ ـ تحقيق هورسو الصليبي ـ دار المشرق ـ سنة ١٩٦٩ ـ بيروت .

(٢) القلقشندي ـ أحمد بن علي ـ صبح الأعشى ـ ج ١٣ ـ ص ٢٤٨ ـ وزارة الثقافة والإرشاد ـ القاهرة ـ سنة١٩٦٣م .

(٣) السلوك ـ المقريزي ـ ج ٢ ـ ص ١٥ ـ ١٦ (ببعض التصرف) .

مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل المغارة »[1] .

وكانت النتيجة الكبرى لتفريغ كسروان من سكانها المسلمين الشيعة أن بدأت الهجرة المارونية إليها على نطاق واسع من شمالي لبنان لتغدو فيما بعد منطقة مارونية إلى يومنا هذا .

« وقد اضطرت الشيعة أمام مذابح كسروان إلى اعتماد التقيّة والتظاهر باعتناق المذهب الشافعي طيلة القرن الرابع عشر . لذلك لم يسجل التاريخ بعد الحملات الكسروانية أي وجود شيعي في لبنان ، لأنّ فتوى ابن تيمية كانت بالمرصاد »[2] .

كان الانتقام المملوكي من كسروان عنيفاً ودموياً لدرجة أن السلطان الناصر بن قلاوون طلب تبريراً لهذه المجزرة فكان جواب ابن تيمية متضمناً التبرير المطلوب »[3] ولما برّر ابن تيميّة هذه المجزرة التي أفتى بها اشترك فيها اشتراكاً فعلياً باسم الدين وباسم الحفاظ على وحدة المسلمين .

بعد المأساة التي عرفتها منطقة كسروان ، ازدهرت بعلبك بالزراعة والصناعة والتجارة والعلم وبدأت تظهر مقدمية الموارنة في الشمال وتمتع بكثير من التنظيمات الخاصة بها في القضاء والتعليم ، بالإضافة إلى حرية المعتقد . كما بدأت تظهر مقدمية أخرى في مشغرة على أيدي عائلة صبح ، ومقدمية غامضة في جزين كانت نواة لنهضة شيعية كبيرة فيما بعد »[4] .

---

(1) بن أيبك ـ صلاح الدين خليل ـ الوافي بالوفيات ـ ج ٩ ـ ص ٣٣٠ ـ نشره يوسف ڤان إس ـ طبعة بيروت ـ سنة ١٩٧٤ .
(٢) تاريخ بيروت ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٥ .
(٣) أبو زهرة ـ محمد ـ ابن تيمية ـ ص ٤٥ ـ دار الفكر العربي ـ بيروت ـ سنة ١٩٥٨ .
(٤) لبنان من الفتح العربي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤٧ .

جهاد العلماء - الشهيد الأول

جزين منبت العلماء :

كانت جزين منبت علماء الشيعة في جبل عامل دهراً طويلاً ، ومنها خرج جماعة من أكابر علمائهم ، « ولكن مجاورتها لجبل لبنان وظلم حكّامه وتسلّط سكانه على أهلها بالظلم أوجب هجرتهم منها »[1] ، « ثم هاجر أهلها منها وتفرّقوا في البلدان بسبب ما توالى عليهم من الفتن والمحن وظلم حكّام جبل لبنان وأهله وذلك قبل قرن واحد تقريباً . وقال السبيتي في الجوهر المجرّد : أظن أن خروجها عن جبل عاملة من أيام فخر الدين بن معن ، وأهلها اليوم كلهم نصارى ولم يبق فيها من آثار الشيعة غير جبّانة وقد درست اليوم وجامع خراب كان بعضه باقياً ثم درس كله وكان حكامها المقدمون الشيعيون ثم نزحوا منها »[2] ولما كانت الشيعة قد ضربت بعنف كما مرّ سابقاً

---

(١) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٧٢ .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٢١٨ .

« إثر معارك كسروان سنة ١٣٠٥ م ومنعت من ممارسة شعائرها الدينية ، فاعتمدت مبدأ التقيّة وأعلنت انتماءها إلى المذهب الشافعي . واستمرّ هذا الوضع حتى قيام الحركة الشيعية سنة ١٣٨٣ م . . . وقد توزعت شيعة كسروان ونُصيْريّتها في مناطق جزين والبقاع ، بالإضافة إلى وجودها السابق في طرابلس وجبال الضنية وقد أصبحت جزين مركزاً هامّاً للتجمع الشيعي المستتر بالشافعية خلال القرن الرابع عشر . وبرز فيها عالم ديني كبير هو شمس الدين محمد بن مكي الجزيني فعمل على قيادة الشيعة وإعادة المذهب ومحاربة المعتقدات والبدع التي سببها النزوح المختلط من مذاهب شتى »[1] مما اضطرّ شمس الدين محمد بن مكي إلى مقاتلة الخارجين عن المذهب « ومنهم الشيخ محمد اليالوشي المتهم بالشعوذة والذي ادّعى النبوّة وكان من تلاميذه »[2] ، « وجرت المعركة بين الفريقين في النبطية الفوقا (معركة الشهداء) انتصر فيها الشيخ شمس الدين وحاولت الشيعة أن تحرك أتباعها في مختلف المناطق بزعامة جزين ، ولكن أخصام الشيخ شمس الدين وشوْا به ودسّوا عليه وقدموا بحقّه العرائض لنائب الشام بيدمر الخوارزمي ، فاعتقل وسجن مدّة سنة »[3] ثم أعدم وصلب وأحرقت جثته ضحى الخَميس تاسع جمادى الأولى سنة ٧٨٦ هـ ١٣٨٤ م وأطلق عليه اسم الشهيد الأول لأنه أول عالم قتل في سبيل الدين والعلم في جبل عامل بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي وكان ذلك في دمشق »[4] .

---

(١) لبنان من الفتح العربي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥٣ .
(٢) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٠ .
(٣) لبنان من الفتح العربي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥٣ .
(٤) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩ و٢١٩ وتاريخ جبل عامل ـ ص ٢٣٥ ـ محمد جابر .

أسباب إخفاق الحركة :

فشلت الحركة الشيعية بسبب انصراف شيعة بيروت والسواحل إلى مذاهب أهل السنة . وقد أوضح المؤرخ صالح بن يحيى صحة ذلك بقوله : « ولما تحركت الشيعة ببيروت ، وأظهروا القيام بالسنة ومعهم مرسوم سلطاني ، وكانوا في الباطن قايمين بمذهب أهل الشيعة ، فجرى في بيروت بذلك حركة رديّة »[١] . ووصفت الشيعة المتخاذلة في السواحل بلقب : « أهل السواحل المتسننين »[٢] .

وبعد مقتل قائد الحركة محمد بن مكي الجزيني لقّب بالشهيد الأول . وقد ترك الشهيد مؤلفات عدّة أهمها : اللمعة الدمشقية وهي كتاب ديني فقهي يبحث بالمذهب الجعفري الذي جعل دستوراً لدولة السلطان علي بن المؤيد في إيران . ويعد هذا الكتاب مرجعاً فقهياً معتبراً لجميع الدراسات الفقهية الشيعية الإمامية . وكان من تلامذة الشهيد الأول الشيخ زين العابدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي الشقراوي ومن أولاده : الحسن ومحمد وعلي وأختهم أم الحسن فاطمة المدعوّة بست المشايخ والشريكة مع أبيها وأخويها في الرواية أجازه عن السيد تاج الدين بن معيّة »[٣] ومن أحفاده مجموعة من جهابذة العلم والفقه .

كان لفشل الحركة الشيعية نتائج عديدة أبرزها : « ظهور الإقطاعيين في جبل عامل وعلى رأسهم ابن بشارة »[٤] . وفي الفترة التي كان فيها الشهيد الأول « يعمل على تنظيم الشيعة وبعثهم طائفة مستقلة »[٥] . وفي

---

(١) تاريخ بيروت ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٥ .
(٢) الخوانساري ـ محمد باقر ـ روضات الجنات ـ ص ٥٩٠ ـ طبع إيران بدون تاريخ .
(٣) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٩ .
(٤) لبنان من الفتح العربي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥٤ .
(٥) تاريخ بيروت ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٤ .

خضم التعصب والتنكر من قبل جهلاء المماليك وسلاطينهم وقوادهم « كان الفرنجة يغزون بيروت بهجوم كبير من السفن الجنوية وكادوا يسقطون المدينة لولا النجدات التي أتت من البقاع »[1] .

---

(١) تاريخ بيروت ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٤ .

١ ـ مقدمية مشغرة الشيعية :

كان الخلاف مستمراً بين الأمراء الشهابيين في منطقة وادي التيم « كما كان الخلاف مستمراً بين الشهابيين وبقية إقطاعيي البقاع كأبناء صبح وأبناء الأعمى مقدمي مشغرة »[١] .

٢ ـ مقدمية جزين الشيعية :

أصبحت جزين مركزاً هامّاً بعد هجرة الشيعة إليها من كسروان ، وقد ازداد سكّانها . ويعتبر القرن الرابع عشر الميلادي العصر الذهبي لجزين . وقد ثارت جزين بقيادة الشهيد الأول كما مرّ . وبفشل الثورة أخذت الزعامة تنتقل إلى الجنوب . كما أخذت جزين تقع تدريجياً تحت السيطرة المعنية ثم تصبح في العصر الحديث تحت السيطرة المسيحية . وكانت مقدمية جزين الشيعية متحالفة مع مقدّمية مشغرة الشيعية بزعامة بني صبح »[٢] .

---

(١) لبنان من الفتح العربي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٨ .
(٢) نفس المصدر أعلاه ـ ص ٢٦٨ .

٣ ـ إمارة بني بشارة الشيعية في جنوب جبل عامل :

على القسم الجنوبي من جبل عامل أطلق اسم (بلاد بشارة) نسبة إلى العائلة التي تولّت المنطقة مدة طويلة حتى مطلع القرن السادس عشر . وقد تأسست هذه الإمارة على يد الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين العاملي . وقد حارب هذا الأمير مع صلاح الدين الأيوبي في القرن الثاني عشر « ويظهر أنه كان من أكابر أمراء الدولة . ومما تتناقله الألسن في جبل عامل ونصّ عليه بعض الباحثين أن قرية زبقين ، كانت مركز إمارته حيث الآثار الفخمة فيها تدلّ على ذلك »[1] .

وقد تتلمذ الشيخ زين العابدين أبو الحسن علي بن بشارة على يدي الشهيد الأول زعيم الشيعة في جزين . ولمّا فشلت حركته بدأ نفوذ عائلة بشارة بالظهور ، « وتذكر أخبار سنة ١٤٠٥ م أن أولاد ابن بشارة محمد وحسن وحسين كان لهم دور في النزاع المحلّي بين الأمراء المماليك وخاصة شيخ ونوروز . ثم أن أحمد بن بشارة عمّر صور بعد خرابها وجعل لها أسواقاً ونقل إليها من الناس وحصّنها وذلك سنة ١٤٢٠ م »[2] .

ويذكر محمد كرد علي في خطط الشام : « في سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥٠ م) إن زهاء عشرين مركباً للفرنج طوّقوا صور ، ونهبوا من بها . فأدركهم ابن بشارة مقدم العشير بالبلاد الشامية . وقاتلهم قتالاً شديداً حتى أزاحهم من البلد ، بعد أن قُتل من الفريقين جماعة . وأمسك من الفرنجة جماعة وقطع رؤوسهم »[3] .

---

(١) جابر ـ محمد ـ تاريخ جبل عامل ـ ص ٢٨ ـ دار النهار للنشر ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ سنة١٩٨١ م .

(٢) ذيل العبر ـ الأسدي نقلاً عن اللمعات البرقية في النكت التاريخية لشمس الدين بن طالون . (وعن لبنان من الفتح العربي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٩) .

(٣) كرد علي ـ محمد ـ خطط الشام ـ ج ٢ ـ ص ١٩٩ ـ دمشق سنة ١٩٢٥ م .

وقد ظلّت هذه العائلة الشيعية مسيطرة حتى سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠١ م) عندما اصطدمت بأمير بقاعي قوي هو الأمير ناصر الدين بن الحنش حيث جهز خمسة آلاف مقاتل وهاجم عبد الساتر بن بشارة في قرية شيحين جنوبي جبل عامل . فقتل من جماعة ابن الحنش نحو ٢٠٠ رجل »[1] . وينتهي دور هذه العائلة مع بداية الفتح العثماني نهاية غامضة . وقد أعطت هذه العائلة اسمها للبلاد الواقعة جنوبي الليطاني فسميت (بلاد بشارة) .

ويستفاد من المراجع التاريخية ، أن المعركة التي حدثت بين ابن الحنش وأمير جبل عامل عبد الساتر بن بشَارة قد أضعفت الفريقين فزالت حكومة آل بشارة وتسلل الأمراء المعنيون إلى جبل عامل ليتزعموا العصبية اليمنية .

---

(١) نفس المصدر ـ ج ٢ ـ ص ١٩٩ .

الفصل الثاني

• عهود الدولة العثمانية
• السيطرة المعنية والشهابية
• جهاد العامليين

« كان الشعب العاملي ، من أسرع الشعوب لحمل السلاح ، ينفرون كباراً وصغاراً في حالة الخطر للدفاع عن وطنهم ، وكانوا لا همّ لهم إلّا شحذ السيوف ، وتسديد المرمى ، والكرّ على ظهور الخيل يعلمونها أولادهم منذ الصغر ، يهزأون بالمنايا ويرون الموت حياة خالدة تحت شفار السيوف »

(محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ـ ص ٨٢ ـ ٨٣)

الإدارة العثمانية

دانت سوريا بأكملها للحكم العثماني سنة ١٥١٦ م ، بعد انتصار السلطان سليم العثماني على المماليك في معركة مرج دابق ، وأبقت الدولة العثمانية النظم التي كانت سائدة في عهد المماليك على حالها ، سواءً في طريقة الحَكم أو في الإدارة .

جبل عامل والحكم العثماني :

لم يكن حال الشيعة في عصر الأتراك بالإجمال أسعد حالاً وأنعم بالاً من بقية الطوائف وأهل المقاطعات ، بلْ كانت وطأة الترك عليهم أشدّ وقعاً ، وظلمهم أعظم أثراً . .

وقد نال الشيعة من أذاهم وأضرارهم الشيء الكثير بسبب الفروق المذهبية والتعصّب الديني « فنكلوا بعلمائهم . واستحلوا دماءهم . وشتتوا شملهم . وصادروا مكتباتهم . وجعلوا مؤلفاتهم طعاماً للنار . وساروا بالبلاد على سياسة الافتقار والتدمير وجمع الأموال »[1] .

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ٧٥ ـ مصدر سابق .

وقد امتد البغي إلى الشيعة المقيمين في سوريا الجنوبية (جبل عامل) فاشتدّ الاضطهاد والضغط عليهم . « وأضرم الأتراك العداوة بينهم وبين أهل السنة ، كما كانت عادتهم (فرّق تسد) . فاستصدروا الفتاوى من بعض علماء دمشق باستحلال قتالهم ، وهدر دمائهم ، ومحو آثارهم ، واستعباد ذراريهم ، وأن لا تقبل لهم توبة . إلى آخر ما ورد من فتاوى الشيخ نوح حكيم الحنفي . . . وكانت هذه الفتاوى التي تصدر تحت ستار الدين ، والدين منها بريء ، سبباً لإهراق دماء طاهرة لا ذنب لها سوى انتسابها لمذهب أهل البيت النبوي (ع) . ولا فرق بينه وبين مذاهب المسلمين إلاّ ببعض الفروع . وبالإجمال فإن الشيعة لم ينلهم من الأذى في عهد الصليبيين مثلما نالهم في عهد الأتراك المسلمين . . وقد أجمع المؤرخون ، أن الإدارة العثمانية طيلة أربعماية سنة كانت شرّ إدارة مُنيت بها الأمصار التي دخلت تحت حكمهم ، فسادت الفوضى ، واختلّ الأمن ، وانتشر الفساد ، وخربت القرى ، وهجرها السكان ، وتلفت النفوس ، وبارت الزراعة ، وداهم البلاد الفقر ، وعمَّ البؤس والشقاء »[1] .

نظام الملل العثماني :

منحت الدولة العثمانية الطوائف الدينية غير الإسلامية حقّ انتخاب رؤساء دينيين لتنظيم إدارة رعاياهم في الشؤون العامة والشخصية ، « وأصبح لها حقّ التمثيل في مجالس دعاوى الأقضية بعضوٍ أو أكثر »[2] . لقد منح هذا النظام « الخصوصيات المذهبية » حرية العمل والتحرك ضمن مؤسسات الدولة العثمانية وقوانينها من خلال الامتيازات الأجنبية التي فتحت للرعايا الأجانب داخل أراضي السلطنة ، وقد استفاد موارنة جبل لبنان من

(١) نفس المصدر أعلاه ـ ص ٧٨ .

(٢) محمد ـ عوض عبد العزيز ـ الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ـ ١٦٨٤ ـ ١٩١٤ ـ ص ٣١٤ : القاهرة ـ دار المعارف سنة ١٩٦٩ م .

هذه القوانين ليلعبوا فيما بعد دوراً مهماً في تاريخ توازنات (إمارة الجبل) ، التي تحولت إلى إمارة مارونية على قاعدة العصبيات العائلية التي ارتكز عليها الأمير فخر الدين وبشير الشهابي .

إنّ تنظيم « الملل » الذي حاول في البدء أن يرى في الخصوصيات (المذهبية) مجالاً لها شيء من الحرية والاستقلالية يمارس في إطار الدولة ومؤسساتها وقوانينها بشكل متوازن »[1] شكل في نهاية القرن الثامن عشر وغضون القرن التاسع عشر الميلاديين منفذاً للدول الأوروبية لتعميق هذه « الخصوصيات » المحلية وتلقيحها « بمفاهيم أوروبية » انفصالية .

مساوىء النظام الإقطاعي ونظام الملل :

أمام السياسة الحمقاء التي اتّصف بها سلاطين العثمانيين ونتيجة للنظام الإقطاعي وشراء المناصب في الولايات بالأموال . كل ذلك أدّى إلى نفور عام في صفوف الأمة ، ومن جرّاء هذا الإعوجاج والتسلّط الأرعن . . كانت تصرفات الحكّام تبنى على حساب ربحهم الشخصي ، فينهبون أموال المسلمين ويستحلّون أعراضهم ويتلفون مزروعاتهم . من خلال ذلك نفهم لماذا أجبر المسلمون الشيعة في عهد الإمارة المعنية والإمارة الشهابية على هجرة مناطقهم وقراهم في البترون وبشري وجبيل ومناطق واسعة من جبل لبنان ، فلم يكن هنالك حكم عادل يحكم الرعية بالقسطاط ، وكثيراً ما كان الأمير يتحالف مع الوالي العثماني ضد سكّان الإمارة من أجل الحفاظ على ملكه .

---

(١) كوثراني ـ د. وجيه ـ الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ـ ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ـ ص ٣٩ ـ بيروت ـ معهد الإنماء العربي ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢ م .

« كان المعنيون والشهابيون حجر العثرة في سبيل راحة بلاد جبل عامل . فهذا الأمير أحمد المعني مثلاً يتحالف مع الأتراك ضد أبناء جبل عامل في معركة أنصار سنة ١٦٦٧ م (١٠٧٨ هـ) ومعركة عيناثا (١٠٧٠ هـ) ١٦٥٩ م ومعركة النبطية (١٠٧٧ هـ) ١٦٦٦ م ومعركة وادي الكفور (١٠٧٨ هـ) ١٦٦٧ م »[1] .

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ٨١ ـ مصدر سابق .

جبل عامل وحكومة المعنيين

من الأسر التي حكمت جبل عامل حكماً مؤقتاً في عهد الأتراك العثمانيين هم آل معن . « وأول من تقدم من آل معن لالتزام إقطاعات جبل عامل من والي الشام مصطفى باشا هو الأمير فخر الدين الثاني »[1] الذي قال عنه الأب لامنس الفرنسيسكاني : « كان الأمير فخر الدين محامياً عن النصرانية وأكبر محسن إلى رهبنتنا وهو الذي وهبنا ديورة الناصرة وصيدا وعكا »[2] . ووصفه الأب أوجين الفرنسيسكاني بأنه « كان مسلماً درزياً في الظاهر ونصرانياً في السرّ »[3] . ولم ينازع الأمير فخر الدين في التزامه هذا سوى الأمير يونس الحرفوشي البقاعي مما زاد في تفاقم الخلاف بينهما . وكان الحرفوشيون على وفاق تام مع مشايخ جبل عامل وكانت الزيارات متبادلة بينهما . « وكان الأمير يونس الحرفوشي يعطف عطفاً شديداً على

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ١١١ ـ مصدر سابق .

(٢) زغيب ـ الخوري جرجس ـ عودة النصارى إلى جرود كسروان ـ ص ٣٩ ـ مؤسسة خليفة للطباعة ـ بيروت .

(٣) زعيتر ـ محمد ـ المشروع الماروني في لبنان ـ ص ١٠٣ .

أبناء طائفته في جبل عامل . . وطالما دفع عنهم الغوائل »[1] . وهذا ما دفع فخر الدين المعني أن يحقد على الأمير يونس الحرفوشي فوقعت بينهما معركة عنجر التي خلدها التاريخ الرسمي اللبناني ، وكأنها معركة أمة مع أمة أخرى أو دولة ضد دولة . ومازال المغنّون والقيّان يتشدقون بها حتى أيامنا هذه .(*) .

صمود العامليين في وجه فخر الدين :

صمد أبناء جبل عامل في وجه مخططات المعنيين خوفاً على المصير الذي لاقاه المسلمون الشيعة في جبل لبنان ، فكانت الاعتداءات المتكررة على أهالي جبل عامل من أجل إخضاعهم وسلب أموالهم وانتهاك حرماتهم . وكان الشيعة في جبل عامل إذا اشتد الضغط عليهم وتعذر التملص من أخصامهم وغُلبوا على أمرهم بوفرة الجند وقلّة الأنصار ، يلجأون إلى حرب العصابات ، والحيل الحربية ، ومفاجأة العدو في سواد الليل . وقد بدأوا بها في عهد فخر الدين الثاني فشمل الدمار البلاد وعمَّ أنحاءها الخراب حتى لم يبق مزرعة أو قرية صغيرة إلاّ هجرها أهلها . وما أن ظهر الوهن في حكومة المعنيين ، نهض زعماء العشائر من بني عاملة ، واجتمعت كلمتهم . وعزموا على تجديد شباب الطائفة واسترجاع حقّها السليب فنظموا صفوفهم « وثاروا في سنة (١٠٧٧هـ) ١٦٦٦ م ثورة رجل واحد وطردوا عمّال أرسلان باشا وفتكوا بهم . فأرسل الوالي حملة عليهم مستعيناً بجنود المعنيين فنازلوهم في النبطية ووادي الكفور . وكان الفوز للشيعيين وفرّ أعداؤهم فلحقوا بهم إلى عين المزراب ودامت المعارك نحو ثلاثين سنة حتى سنة ١٦٩٧م (١١٠٩ هـ) . وفي هذه الفترة نهض الشيخ مشرف الوائلي فقاد صفوف العامليين ورفع رايتهم فساق الوالي على مُشرف

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ١١٢ .

(*) إشارة إلى أغنية لفيروز (بيي راح مع العسكر . . حارب وانتصر في عنجر) .

جيشاً كثيفاً فوقع أسيراً وسيق إلى قلعة صيدا فمات فيها »[1] .

العلاقات المشبوهة لفخر الدين :

لقد صوَّر التاريخ الرسمي اللبناني الأمير فخر الدين الثاني ، أنه رجل استقلال ونعته بصفات شتّى : كالكبير والسياسي الحكيم . وفي كتب المرحلة المتوسطة الثالثة يقرأ التلاميذ تحت عناوين : فخر الدين يبني لبنان المستقل ، وبناء الدولة . وبعد أن استكمل فخر الدين فتوحاته . . . استمرّ في تدعيم جيشه وقلاعه ، ليجعلها قادرة على رد الهجمات الخارجية » ولا يشير هؤلاء المؤلفون إلى مصدر هذه الهجمات التي كانت تنطلق لغزو دولة فخر الدين . . . وهكذا وبمثل هذه الطريقة المشوهة يتعرف أبناء المسلمين في المدارس على تاريخ أوطانهم .

وكان فخر الدين على علاقة وثيقة بدولة البابوية في روما ، وما الفقرات التالية من رسالة البابا بولس الخامس إلى فخر الدين إلاّ خير دليل على مدى ارتباط هذا الحاكم بالغرب الحاقد الذي كان يسعى للعودة إلى الشرق الإسلامي من مختلف المنافذ : « من بولس الخامس إلى فخر الدين . . . سلام أيها الرجل الشريف وليحل عليك نور النعمة الإلهية . . . أُبلغنا عطفك العظيم على أولادنا المسيحيين ولا سيما الموارنة فبتنا مدينين لك كثيراً ، لأن ما تفعله نحو أولادنا كأنك تفعله نحونا . . . وأن تشمل بحمايتك حامل هذه الرسالة وهو يفصح لك عن رغبتنا الشديدة في مناصرتك على أعدائك »[2] ! ولم تكن معاهدة توسكانا التي عقدها فخر الدين مع أمراء إيطاليا ، صدفة عابرة ، بل كانت مشروعاً انفصالياً عن الدولة العثمانية لإعادة الصليبيين إلى البلاد من جديد . ولما افتُضح أمر هذه

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ١١٣ ـ ١١٤ .
(٢) خاطر ـ لحد ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ١٩٠ ـ ١٩٢ ـ مصدر سابق .

العلاقات والخطط والمشاريع أرسلت الدولة العثمانية حملتها القوية سنة ١٦٣٣ م وألقت القبض على فخر الدين وأولاده وأعدمتهم في اسلامبول ، إدانة لهم على علاقاتهم المفضوحة مع الغرب .

مقاومة التسلط المعني في جبل عامل :

أصيب الشيعة في جبل عامل بالبلاء والمحن من جراء الاضطهاد التركي والاستعانة بأهل المقاطعات المجاورة من أنصارهم . فأصبحت بلاد عاملة عرضة للغارات من كل حدب وصوب ، فاشتبك العامليون ـ يقودهم علماؤهم وزعماؤهم ـ مع أعدائهم في حروب دامية رخصت فيها النفوس واستهينت الأرواح .

« لقد كان توالي تلك الحروب الطاحنة ، وتألّب الطوائف المجاورة على أبناء جبل عامل لاختلافهم عنهم عرقاً ومذهباً ، سبباً أولياً لوقوفهم وقفة المستميت دفاعاً عن أوطانهم ، وحفظاً لكيانهم . وقد خلق منهم هذا الإرهاق الشديد شعباً حربياً باسلاً- يهزأ بالمنايا ويرى الموت حياة خالدة تحت شفار السيوف . وانصرف الشعب العاملي كله في ذاك العهد لممارسة فنون الحرب وكان لا همَّ لهم في فترات السلم إلاّ شحذ السيوف وتسديد المرمى والكرّ على ظهور الخيل يعلمونها أولادهم منذ الصغر . لا يعبأون بذهبٍ يُجمع أو ذخر يرفع أو قصر يبنى ، أو غرس يجنى ولم يكن فخرهم إلاّ بعدوٍّ يغلب »[1] .

. . . وكان الشعب العاملي مدرباً على الطاعة . . ينفرون كباراً وصغاراً في حالة الخطر للدفاع عن وطنهم ، والانضواء تحت لواء القادة عند أول إشارة . وكانت قصائدهم وأهازيجهم وشعرهم الزجلي حماسية محضة تكاد تكون مقصورة على التباهي بالنصر والظفر والحث على خوض المنايا

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ٨٣ .

والموت في سبيل الذود عن الوطن والكيان »[1] .

وزادهم عزة في نفوس جيرانهم الظفر الخاطف والسريع الذي كانوا يحققونه في المعارك التي يخوضونها . « وقد لمع من العلماء في زمن فخر الدين العالم الجليل الشيخ حسن الحانيني الذي تولى منصب الإفتاء في إمارة فخر الدين المعني »[2] ولم يصب العامليون بنكسة على يد المعنيين خلى الهجوم الذي تعرضت له قرية أنصار عندما دخلها الأمير ملحم المعني بحجة التفتيش عن خصمه الأمير علي علم الدين وقد استأمنه القوم ثم أمر بذبحهم في المرج المعروف (بمرج الدجاج) وبلغ عدد القتلى ١٦٠٠ قتيل وأباح البلدة ثلاثة أيام »[3] .

وفقدت بلاد عاملة استقلالها ولم تستطع التغلب على حاكميها ، وكان أن خربت الديار ، « وأنّ الأمير فخر الدين المعني بعد أن انتهب قرية الكوثرية في مقاطعة الشومر من جبل عامل وكان محلاً لآل علي الصغير من زعماء الشيعة وترك العسكر يعبث فيها ثلاثة أيام بعد أن قتل المقاتلة وسبى الذرية »[4] .

---

(١) نفس المصدر ـ ص ٨٤ .
(٢) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٢ .
(٣) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق/ص ٨٣ .
(٤) الصدر ـ السيد حسن ـ تكملة أمل الآمل ـ تحقيق السيد أحمد الحسيني ـ طبع قم ـ إيران سنة١٤٠٦هـ (عن مخطوطة الشيخ السبيتي) .

نهضة جبل عامل

نهاية المعنيين وبروز الشهابيين :

انتهى حكم المعنيين سنة (١١٠٩ هـ) ١٦٩٧ م فخلفهم أبناء أختهم (الشهابيون) الذين دانوا بالنصرانية على مذهب الموارنة فحكموا إمارة جبل لبنان وتوابعها وساروا على خطى أسلافهم المعنيين ، لكنهم تخطوهم كثيراً بأعمالهم الإرهابية وإجرامهم وتنكيلهم ، حتى غدا عهد الأمير بشير الثاني عهداً يتصف بالطغيان والتسلّط والخضوع للأجنبي . وعندما تسلم الشهابيون الحكم كان الموارنة قد شكلوا الأكثرية المسيطرة في كسروان ، « وبفضل حماية الشهابيين قدم الموارنة بأعداد كبيرة من الشمال ليستقروا مع الزمن في المناطق الإسلامية في جبل عامل وفي سواها من المناطق اللبنانية »[1] . وقد تزامن استلام الشهابيين الإمارة في جبل لبنان مع قرار سري خطير يقضي بإبادة المسلمين في الإمارة ولا سيما في جبل عامل[2] .

---

(١) زعيتر ـ محمد ـ المشروع الماروني في لبنان ـ ص ١٢٧ ـ الوكالة العالمية للتوزيع ـ لبنان سنة١٩٨٦م .

(٢) نفس المصدر ـ ص ١٤٠ .

قوّة العامليين في اتحادهم :

لم يقع في جبل عامل ما كان يقع في غيره من البلدان المجاورة من جور وتعسّف وبؤس وتجبر « ولم يقع خلاف يذكر بين زعماء جبل عامل أو منافسات على الحكم ، ولم تكن شبّانهم تساق إلى الجندية سوق الغنم إلى الموت المحتم ، جوعاً وهزالاً خارج البلاد . وكانوا يلجأون إلى تحكيم كبار الزعماء في فض كل خلاف يقع بينهم . « وكانوا غير ملزمين برفع علم الدولة الرسمي في اجتماعاتهم بل كان لهم أعلام خاصة من نسيج حريري ـ أخضر وأحمر ـ كتب عليها بالنسيج الأبيض ثلاثة سطور ، الأول : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ـ والثاني : لا فتى إلاّ عليّ ولا سيف إلاّ ذو الفقار ـ والثالث : نصر من الله وفتح قريب . وكانت سلطة الدولة الرسمية لا تتدخل في شؤون البلاد المحلية ولا يهمها إلاّ قبض الضريبة المفروضة على مقاطعات جبل عامل »[1] .

سلطة العلماء وزهدهم :

كان في جبل عامل سلطة عليا تفوق كل سلطة تتطأطأ لها الرؤوس وتحنى لها الرقاب ، وهي سلطة المجتهدين من كبار العلماء . إليهم يرجع القضاء وفصل الخلاف بين الناس ، وكانت فتاويهم حكماً مبرماً لا يقبل النقض يوجب على الحاكم الزمني العمل بنصّه ولو كان ضد الحاكم نفسه . وكانت سيرة أولئك العلماء الأبرار في ذاك العهد خير سيرة اتصف بها عالمٌ أحاط بأسرار الشريعة الإسلامية المطهرة وانصرف إلى التدريس والإرشاد وعاش عيش الزهد والقناعة لا يستهويه مال ولا تغريه زخارف الدنيا »[2] .

وفي جبل عامل روايات تروى عن هؤلاء العلماء الأجلاّء تطيب لها

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٩٠ .
(٢) نفس المصدر . ـ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

النفس وتقرّ بها العين ، يستنتج منها احترام الشعب والقادة لهم . . ومنها :

« أن العلاّمة المقدس السيد علي نور الدين الموسوي الحسيني جدّ السادة آل نور الدين أمسى ذات ليلة وليس في بيته قوت لعياله وأولاده وأتت إليه زوجته تخبره بذلك فأجابها : (الرزق على الله) . وبعد هنيهة طُرق الباب وكان رسولاً أرسله الشيخ علي الفارس حاكم المقاطعة وكان مقيماً في قلعة الشقيف يحمل كيساً فيه خمسماية درهم برسم الهديّة . فنادى السيد زوجته وسألها عن حاجة بيتها فذكرتها له فأخذ السيد قيمتها من الكيس وأعاد ما بقي للرسول . . . وقال له : إنّ الشيخ لذلك أحوج » [١] .

والثانية : أن الزعيم الكبير الشيخ ناصيف النصار « قصد بموكب حافل قرية عيناثا لزيارة العلاّمة السيد محمد الأمين وكان رئيس العلماء في ذلك العهد ، فلقيه الشيخ ناصيف يناول أحجاراً وطيناً لبنّاءٍ يبني جدار منزل السيد . فنزل الشيخ ناصيف عن ظهر جواده وقبّل يد السيد وأخذ يُساعده على نقل الأحجار والطين ولم يقبل أن ينوب عنه بعض رجاله »[٢] .

والثالثة : وفيها الدليل على تواضع الزعماء أمام العلماء وهي « أن العلامة الأكبر شيخ الطائفة الشيخ عبد الله نعمة الجبعي كان إذا زار تبنين نزل دار أحد الأهلين فيهْرع إليه حمد البك أو علي بك حكام ذاك العهد ملتمسين قبول دعوتهما فلا يقبل . ولم يعرف عنه أنه صعد القلعة أو قبل ضيافة حاكم . وإذا قفل راجعاً سار الزعيم أمامه ماشياً مسافة ميلين أو ثلاثة وكذا كانت سيرة ذلك الشيخ المبرور مع أمراء آل الحرفوش والمشايخ الحمادية إذا زار بعلبك والهرمل ونواحيها »[٣] .

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ٩٥ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٩٦ .
(٣) نفس المصدر ـ ص ٩٦ .

المقاومة ضد المعتدين

حرب البقـاء :

كـان العـامليـون يعيشـون حتـى فـي زمـن الحـروب والأهـوال فـي عـزّ ومنعة ، لا ضرائب ترهقهم ولا حكام قساة تظلمهم وتنهب أموالهم وتضيّق أنفاسهم وتستحلّ أضرارهم . . . وكان حكامهم بهم أرفق ، وعليهم أحنّ وأشفق . وكان الشيعي العاملي إذا سار إلى غير بلده يسير معتزّاً لا يجرؤ أحدٌ على تحديه أو احتقاره . « وكان الوفاق بين الزعماء عاماً ، والاتحاد محكماً ، لا سلطة فوق سلطته ، ولا رقيب على أعماله سوى سلطة العلماء . وكانت سلطة الدولة اسمية . . . أما نظام الدفاع عن البلاد ومكافحة المعتدي الدخيل ورد الغارات فقد كان على درجة من الرقي تدهش الباحثين . وكان إذا هاجمهم العدو أو أراد بهم حاكم أجنبي شرّاً ؛ هبّت المقاطعات كلها هبّة رجل واحد ، واتحدت كلمتهم على صدّ المعتدي بقوة السلاح ؛ لا فرق بين كبير وصغير ، وغني وفقير »[1] . وقد فازوا باستقلالهم المجيد نحواً من

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

ثلث قرن بعدما فدوه بالضحايا الغالية ، لذلك لم يجترىء على شرفهم ، أي إنسان مهما بلغ به الغرور ومهما تناهشه الطمع .

مذبحة أنصار الثانية :

تأثر الأمير ملحم الشهابي باختلال التوازن بين الطوائف في أيامه ، « لذلك عمد من أجل اكتساب موالاة هذه الطائفة إلى التنصر على مذهب الموارنة وشجع أولاده على ذلك »[1] . ومع مرور الأيام اقتدى سائر الأمراء الشهابيين واللمعيين بأبناء الأمير ملحم فصاروا موارنة »[2] . وقد توج ملحم هذا مذهبه الجديد بالهجوم على جبل عامل متظاهراً أنه يقصد جهة فلسطين بطريق الساحل وكان ذلك سنة ١٧٤٣ م ولما وصل إلى محاذاة قرية أنصار داهمها يوم الجمعة ، والقوم عزَّل من السلاح ، يؤدون الفريضة في جامع السرايا ، وكان حاكمها (علي سليمان منكر) فذبح منهم ألف وأربعماية قتيل حتى سال الدم في الأزقة . وقد أُخذ الأهالي غدراً »[3] . وفي العام التالي وقعت معركة مرجعيون تبعتها معركة دير قانون سنة ١٧٥٠ م .

حرب العامليين مع ظاهر العمر وانتهائها بالتحالف :

كان الشيخ ظاهر العمر الزيداني الحسني قد لعب دوراً مهماً في تاريخ سوريا وقد وصفه (فولتاي الفرنسي) « أن سوريا لم تر رجلاً مثله ، وكانت أطماعه فوق قدرته وكانت العدالة ضاربة أطنابها في بلاده ، ولا فرق عنده في شمولها أهل المذاهب المختلفة . وكانت له صلات مع علي بك الكبير حاكم

---

(١) المشروع الماروني ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٣ .
(٢) صليبي ـ كمال ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ٤٠ ـ ط٤ ـ دار النهار للنشر ـ بيروت سنة١٩٧٨ م .
(٣) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٨٣ .

مصر . وقد ارتابت الدولة العثمانية من تعاظم نفوذه .

« حاول ظاهر العمر إخضاع جبل عامل لسلطته ، غير أن جبل عامل في ذاك الوقت كان أمنع من عقاب الجو . وقد ساعدهم على ذلك وعورة البلاد ووضعها الجغرافي فنشأوا نشأة حربية رجالاً أشداء وأبطالاً مجربين لا همَّ لهم إلاّ شحذ السيوف وتوفير الذخائر الحربية وتمرين أبنائهم منذ الصغر على الحرب والجلاد »(١) .

تحرّش ظاهر العمر بناصيف النصار عميد العشائر في جبل عامل ، وناهيك بناصيف بطلاً مغواراً وقائداً محنّكاً . جمع إلى الشجاعة والنخوة ، سخاء الكف وحسن التدبير والغيرة على بني قومه والمروءة المحضة . « وكان مركزه في قلعة تبنين . وفي سنة ١٧٥٠ م جدّد بناء الحصون ، في أنحاء البلاد وشحنها بالمقاتلة والسلاح . . . وكانت له هيبة تحنى لها الرقاب »(٢) .

كتب الشيخ ظاهر إلى الشيخ ناصيف أن يتخلى عن قريتي البصّة ومارون الرأس ، فردّ الشيخ ناصيف رسول ظاهر العمر ردّاً عنيفاً : « قل لمولاك أن يتحرش بغيرنا فليس له عندنا إلاّ السيف والنار » . وأصدر أمره حالاً بالتأهب وذهب الصوات يجوب أنحاء البلاد للنفير العام . . . ولما وصل رسول ظاهر العمر ، نهض لاكتساح جبل عامل فصدته خيول الشيخ ناصيف ونشبت بينهما حرب ضروس انتصر فيها الشيخ ناصيف في عدة معارك »(٣) . وقد أسقط في يد ظاهر ورأى نفسه أمام قائد محنك وفرسان مجربين تعوّدوا خوض المنايا ولقاء الحتوف . « وأخيراً توسط بين العميدين الشيخ سعد أخو ظاهر العمر فتصالحا وتصافيا وعقدا محالفة هجوم ودفاع

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١١٧ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١١٧ ـ ١١٨ .
(٣) نفس المصدر ـ ص ١١٨ .

وقّعت في عكا سنة ١٧٦٧ م »[1] .

معركة البحرة (بحيرة الحولة) في ٣٠ آب ١٧٧١ م :

اشتد أزر ظاهر العمر بمحالفته لزعماء المسلمين الشيعة ، واعتزّ جانب المسلمين الشيعة وطمحت نفوس الفريقين بالاستقلال وخلع النير التركي وأبوا دفع الضرائب . وقد أورد محمد جابر آل صفا في تاريخ جبل عامل ص ١٢٣ ـ ١٢٤ المعركة على الشكل التالي : « يقول المؤرخون أن حملة عثمان باشا كانت على الشيعيين لمّا نبذوا طاعة ولده درويش باشا والي صيدا ، ورفضوا دفع مال الميري المقطوع . فجهز عثمان باشا لحربهم ، وعسكر الشيخ ناصيف النصار بجنوده في جوار مقام النبي يوشع الواقع في الشرق الجنوبي من جبل عامل . وعقد مشايخ الشيعة ديوان مشورة ورتبوا خطة بالهجوم وتضرعوا إلى الله أن ينصرهم على العدو الباغي . . . وانتدب ناصيف فرقة من أبسل جنوده وأوفرها شجاعة لا تزيد عن خمسماية فارس فبيّتت العدو وزحفت إليه ليلاً فأحاطت به من جهات ثلاث وأعملت فيه السيف . ولم ينجُ من القتل إلاّ من ألقى نفسه في البحيرة . ولم يقتل من المهاجمين جندي واحد وفرّ الوالي العثماني عثمان باشا منهزماً لا يلوي على شيء » .

وقد خلّد الشعراء معركة البحرة بقصائدهم ، أشهرها قصيدة العلامة الشيخ إبراهيم يحيى الذي عاصر المعركة فقال :

أكـرم بـالخيـل إذا وفـدت	إذ ذاك بنـاصيـف البطـلِ
ولـديـه رجـالٌ تحسبُهـم	أسـدٌ تنقـضُّ علـى حَمَـلِ
سـلْ يـوم البحـرة مـا فعلـت	كفّـاه بفـرسـان الـدّول

(١) نفس المصدر ـ ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

أيـــام أتـــوُنـــا يقـــدمُهـــم جبَّـــارٌ يسجـــد لِلْهُبَـــلِ
وهنـــالـــك فـــرَّ أميـــرهـــم بـــالـــويـــل ينـــادي والثّكـــلِ
وهنـــاك البـــاز يُطـــاردهـــُم والقـــوم كـــأفـــراخ الحَجَـــلِ
وهنـــالـــك شتّـــت شملهـــم ذو الطـــول فعـــادوا كـــالنّمـــلِ
مـّـا أبطـــل حكـــم الجـــور ســوى صمصـــام أبـــي حمـــد البطـــلِ

معركة كفر رمان ـ النبطية الشهيرة :

إذا كان التاريخ الرسمي اللبناني قد خلّد معركة عنجر ، فلماذا لا يذكر وقعة كفر رمان ولو بكلمة واحدة ؟ وهي من الأيام المشهودة التي يجب أن يتحدث عنها التاريخ . فبعد هزيمة عثمان باشا في حرب البحرة اتفق مع الأمير يوسف الشهابي الذي جمع جيشاً يناهز العشرين ألفاً على أقل تقدير ليغزو به جبل عامل ، وبالفعل بدأ الغزو من جهة جباع ، وقد تحدث أحد الشعراء الزجليين واسمه شناعة عن تفاصيل المعركة في قصيدة تبلغ ٩٨ بيتاً ، فصّل فيها سير المعركة ، وتعد بحق ملحمة تاريخية فذكر عدد الأعداء وهزيمة الأمير يوسف وتحصين القوات والكلمات الحماسية والاستغاثة برسول الله (ص) من قبل الشيخ ناصيف النصار والمناداة بأعلى صوته : أين حماة الأعراض ؟ أين الأسخياء في اليوم العصيب ؟ ونوّه بفروسية الشيخ محمود النصار الفارس المغوار شقيق الشيخ ناصيف وببسالة الشيخ علي الفارس ، وبطولة الفرسان الشجعان ، ثم هزيمة الجيش المهاجم ، ثم أسر الأمير يوسف الشهابي . وما إلى هنالك من تفاصيل دقيقة . وتفاصيل المعركة كما أوردها محمد صابر آل صفا في تاريخ جبل عامل ص ١٢٥ حتى ص ١٣١ هـي : « فـي ربيـع الأول سنـة١١٨٥ هـ المـوافـق ٢٩ تشـريـن الأول ١٧٧١ م حدثت هذه المعركة وسببها أن مكاريين من قرية كفر رمان ، مرّا بعنب لهما بقرية نيحا الشوف فاعتدى عليهما بين الكروم بعض أهالي نيحا الشوف وسلبوهما وضربوهما ضرباً أليماً قضى على حياتهما ، فشكى

أهل القتيلين أمرهما إلى الشيخ علي الفارس حاكم المقاطعة . وكان مقيماً في قلعة الشقيف ، فكتب إلى الأمير يوسف الشهابي حاكم جبل لبنان يطلب منه إرسال المعتدين لمحاكمتهم ، وذكر له أسماءهم فكتب إليه الشهابي بعدم إمكان القبض على الجناة وعرض عليه دية القتيلين توزّع على أهالي نيحا . وأصرّ الشيخ علي الفارس على طلبه وكتب للأمير يوسف كتاباً شديد اللهجة قائلاً : إن الشيعة لم تَعْتَد بيع دماء أبنائها بمال ونحن نعرف كيف نثأر لبني قومنا .

واقتحم بعض الشيعة قرية نيحا الشوف فقتلوا أربعة من أهلها بين الكروم في المكان الذي ضُرب فيه الرجلان الشيعيان . واتصل الأمر بالأمير يوسف فاحتدم غيظاً وكان الحقد يغلي في صدره لارتفاع شأن الشيعة واستفحال أمرهم وتطاولهم على أطراف الشوف ووادي التيم ، وإنذارهم لدرويش باشا والي صيدا منذ انتصارهم في معركة البحرة وهزيمة عثمان باشا التي تلكأ الأمير يوسف عن نجدته فيها .

. . فزحف الأمير يوسف لاكتساح جبل عامل بجيش كثيف يزيد على أربعين ألف مقاتل مؤلف من طوائف شتى كما ثبت من تقارير القناصل . ولما دخلوا البلاد من جهة صيدا بدأوا يحرقون القرى ، ويدمرون المزارع ، ويقطعون الأشجار ، ويقتلون من يقع في أيديهم من السكان الآمنين ، ولا يعفون عن شيوخ ولا صبية ولا نساء .

وكتب الشيخ علي الفارس إلى الشيخ ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل يبسط له القضية ويستنجده للدفاع عن البلاد وحماية الطائفة . فهبّ ناصيف للنّجدة وأرسل (الصوات) لجمع الجنود وكتب إلى حليفه الشيخ ظاهر العمر الزيداني صاحب فلسطين يطلب النجدة .

عاقبة البغي والغرور :

وكان جيش الأمير يوسف يسير في أربع فرق . فالفرقة الأولى وهي المقدمة وفيها الأمير يوسف في أول الجيش . والفرقة الثانية ، وهي الجناح الأيمن وكانت تسير في طريق جباع ـ حومين ـ حبوش ـ النبطية ـ والفرقة الثالثة ، وهي الجناح الأيسر كانت تسير في طريق العرقوب ـ الميذنة ـ الجرمق ـ كفر تبنيت ـ النبطية ـ والفرقة الرابعة ، وهي القلب كانت تسير في طريق جرجوع ـ عرب صاليم ـ النبطية . وكانت القوات المتصدِّية للغزو مؤلفة من فرقتين بقيادة الشيخ علي الفارس وأخيه الشيخ حيدر الفارس . فرقة الفرسان وعددها خمسماية من الأبطال المجربين كانت تقيم في قلعة الشقيف . وفرقة المشاة وعددها ألف مقاتل من الشبان المتمرنين على تسديد الرماية . عسكرت الفرقتان في الناحية الشرقية الشمالية من النبطية في أرض تسمى (قلادش) التي دعيت بعد المعركة ـ بعريض القهوة ـ وذلك لأن الجيش الإسلامي الشيعي العاملي شرب فيها قهوة النصر والظفر . ولما وصلت طلائع الجيش المهاجم إلى (جبع) أحرقتها وقطعت أشجارها .

ديوان المشورة ووضع خطة الدفاع :

عقد الشيخ علي الفارس ديوان مشورة من خواصه وكبار رجاله وخيّرهم بين التسليم والحرب ، بل بين الموت الذليل والحياة العزيزة . بين حرب مُجزية أو سلم مخزية وراءها سبي النساء والاستعباد وأخيراً دمار البلاد . فاختاروا الحرب والدفاع إلى آخر نسمة في حياتهم وصلّوا جميعاً صلاة الموت ودعوا الله أن ينصرهم ويخذل العدو الباغي عليهم . وبدأ الاستعراض ودب الحماس في النفوس ، وارتفعت الأصوات بالحداء الحربي .

. . وصلت طلائع المهاجمين صباحاً إلى النبطية وفيها الأمير يوسف الشهابي فاحتل الضاحية الغربية من البلدة ، ونصب الأمير سرادقاً في أعلاه

كرة من الذهب تشع في نور الشمس . واجتمعت فرق الجيش كله في كفررمان واتخذتها مركزاً .

انقلاب خطة الدفاع إلى الهجوم :

رأى القائد الصعبي وهو الباسل المحنك أن الفرصة سانحة فعوّل على الهجوم بالفرسان بعد أن كانت الخطة دفاعية ، وخشي بادرة الحماس من الشبان المشاة فأمر بحجزهم في خان الميري . وأمر قائدهم الشيخ دندش بن أحمد الفارس أن يوصد الأبواب ولا يدع أحداً يتحرك إلاّ بإشارته . . . وعبّأ خيالته تعبئة حربية محكمة . فأحاطت بفرقة يوسف الشهابي من جهات ثلاث من الغرب والشرق والجنوب . . . وبدأت المعركة بإطلاق الرصاص ، فذعر الأمير يوسف ورأى الخطر المحدق به ، فارتبك وتشوشت جنوده ، وضيّق المهاجمون الحلقة ، فالتجأ إلى الفرار راكباً بغلة لا يلوي على شيء . . . ولما سمع الشباب المحصور بالخان أزيز الرصاص اشتدّ هياجه فثقب جدار الخان الشمالي وخرج ، وتعقّب العدو واشتبك معه . وفي هذه الأثناء وصل الشيخ ناصيف النصار بجيشه المؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل متبعاً طريق شوكين فدخل زبدين من جهة الغرب ودهم جيش يوسف الشهابي غربي النبطية ورأى الحرب قائمة على قدم وساق فهجم هجوم المستميت ، ولم يلبث العدوّ أن لوى عنانه متقهقراً إلى كفررمان .

. . وفي اليوم التالي دار القتال بشدة وكان جيش العدو قد فقد حماسته وخمدت جذوته فانسلّ من حيث أتى راضياً من الغنيمة بالإياب . وهجم جيش الشيعة بالسلاح الأبيض ، هجوم المستميت ، فانهزم الجيش الغازي مدحوراً انهزاماً تاماً ، وحراب المسلمين الشيعة تعمل في أقفيتهم وتذبحهم ذبح النعاج . ومات أكثرهم خوفاً وتعباً . وتعقب الشيخ ناصيف النصّار الأمير يوسف الشهابي فأدركه في عقبة جرجوع فقنّع رأسه بالرمح ، وأنزله

عن ظهر بغلته إلى الأرض ، وألبسه الفرو مقلوباً ، وقال له : عفوتُ عنك رأفة بشبابك واحتراماً لأسرتك وأنا ابن نصّار . فأجابه الأمير يوسف : قَدَّهَا أولاد أم علي . أي أنكم أهل للعفو . وأولاد أم علي لقب يطلق على الشيعة وكانوا يفخرون به .

وقد بلغ عدد القتلى ما يزيد على ثلاثة آلاف قتيل » .

معركة الحارة وسهل الغازية :

أوجز المؤرخ محمد جابر آل صفا في كتابه : (تاريخ جبل عامل صفحة ١٣٣ ـ ١٣٤) هذه المعركة على لسان مؤرّخي جبل عامل على الشكل التالي : « حدثت المعركة في ٦ شوال سنة ١١٨٦ هـ ، ١٠ حزيران ١٧٧٢ م بعد انهزام جيش الأمير يوسف وفشله في معركة كفررمان ـ النبطية انضم إلى جيش عثمان باشا والي الشام الذي انهزم في معركة البحرة واتحدوا على حرب ظاهر العمر وحلفائه الشيعة . وكان عدد جيش الأتراك ثلاثين ألفاً ، وجيش الظاهر والشيعة عشرة آلاف . . . وقد تهددوا والي صيدا درويش باشا ابن عثمان باشا فأخلى المدينة ملتحقاً بوالده . واحتلّها الجيشان الإسلاميان : العاملي والفلسطيني بقيادة ظاهر العمر . . . وجهّز عثمان باشا حملة فسارت إلى صيدا لإسقاطها ثم ليتابع الزحف على جبل عامل لسحقه والاستيلاء عليه .

واجتمع في النبطية قواد الشيعة وحكام المقاطعات وعزموا على مداهمة العدو ليلاً والفتك به . فاختاروا من رجالهم خمسماية فارس ولفوا حوافر خيولهم باللبّاد لكي لا يسمع لسنابكها صوت عند المسير وداهموا عسكر العدو في حارة صيدا وكانوا يحاصرون المدينة ، وأحاطت بهم خيل الشيعة في ليلة حالكة السّواد وهم نيام فأصلوهم ناراً حامية فهبوا مذعورين يفتك بعضهم ببعض واختلط الحابل بالنابل لشدة الظلام وهلك منهم خلق

كثير . وفي الصباح نشبت المعركة الفاصلة في سهل الغازية وانجلت عن فوز المسلمين الشيعة وانهزام العدو » .

بروز الجزّار وتحالفه مع يوسف الشهابي :

بعد هروب يوسف الشهابي ، استقدم معه إلى دير القمر أحمد باشا الجزار الذي كان يعمل في خدمة والي دمشق عثمان باشا ، ثم عيّنه الأمير يوسف متسلماً على مدينة بيروت ، فراح يحصّنها ويرمم قلاعها . وكانت سلطة الأمير يوسف قد تزعزعت بعد الهزائم التي أصيب بها على أيدي العاملين ، « ثم ما لبث أنْ شعر بسوء نيّة الجزار وخبث غايته ، فكتب إليه أن يتخلى عن المدينة ويسير إلى دمشق بمهمة انتدبه إليها . فاعتذر عن الذهاب ، وأخذ يحاول ويراوغ ، وأخيراً جاهر بالعصيان »[1] ، واستقل ببيروت فحاصرها الأمير يوسف الشهابي وأبى الجزار الاستسلام إلاّ على يدي الشيخ ظاهر العمر ، فكان له ما أراد ثم جيء به إلى عكا . ثم قلب الدهر ظهر المحن لظاهر العمر فمات قتلاً على يد أحد أتباعه سنة ١١٩٠ هـ ، ١٧٧٦م . وشاءت الأقدار أن يصبح الجزار والياً على صيدا في نفس السنة وضُمّت إليه ولاية دمشق سنة ١٧٨٥ م ، ١٢٠٠ هـ .

معركة يارون :

. . ولما استفحل أمر الجزار ودانت له فلسطين بأكملها ، حوّل نظره إلى جبل عامل يريد أن يخضعه لسلطته ، وكان يومئذٍ أمنع من عقاب الجو ، وكان زعيمه الأكبر الشيخ ناصيف النصار من أشجع رجال عصره ، « فساق عليه جنده وكرَّ على جبل عامل الكرّة بعد الكرّة فلم يتسنَّ له الفوز ، وفي كل مرّة كان يرجع خائباً »[2] .

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٥ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٣٧ .

وقد أورد محمد جابر آل صفا معركة يارون في كتابه (تاريخ جبل عامل صفحة ١٣٧) كما يلي : « هاجم الجزار جبل عامل بجيش كثيف سنة ١١٩٥ هـ ، ١٧٨٠ م من الجهة الجنوبية متظاهراً بأنه يريد اجتيازه إلى وادي التيم لتأديب العصاة . فأدرك الشيخ ناصيف قصده فأسرع لصدّه بشرذمة من خيله لا تزيد عن سبعماية فارس كانت ترابط معه دائماً في حصن تبنين .

وكان الشيخ ناصيف بطلاً مقداماً تعوّد خوض المعارك وممارسة الحروب يهزأ بالمنايا ولا يبالي بالموت . فحملته الجرأة والبسالة على منازلة ذلك الجيش اللجب بخيله القليلة ، ولم ينتظر وصول بقية الجنود والأعوان المرابطة في القلاع . وزلّت قدم جواده على بلاطة يارون وعاجله بعض الجنود بإطلاق الرصاص فخرّ قتيلاً وتشتت جنوده »[1] .

نكبة جبل عامل :

اكتسح جنود الجزار البلاد وأحرقوا القرى ودمروا المنازل ، ثم شحنت المكتبات من جبل عامل إلى عكا حيث أحرقت « وكانت أعظم حادثة ، أتلفت معظم كتب جبل عامل فقد نقلت فيها الأحمال الكثيرة إلى عكا على ظهور الجمال وغيرها أياماً عديدة ومعظمها كان من كتب آل الأمين من شقرا وكتب آل سليمان في مزرعة مشرف وآل خاتون في جويّا ، وكان بين هذه الكتب كثير من كتب الأخبار عن أئمة أهل البيت (ع) النفيسة الخط . . . وكان يكفي سبباً لإتلاف هذه الكتب كونها مختصة بالشيعة بل كونها من كتبهم وإن لم تختص بهم ، فأوقدت الأفران في عكا أياماً ، وسرق الكثير واشترى أهل جبل عامل بعد ذلك جملة منها من أهل عكا وأخذ الذين هربوا إلى العراق وإيران والهند وغيرها ، ما قدروا على حمله منها وكثير منهم

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٣٧ .

سكن هناك فبقيت كتبه في مسكنه . وذهب كثير من كتب جبل عامل في حروبهم مع جيرانهم لبنانيي جبل لبنان التي غلبوا بها فنهبوا وأحرقوا »[1] وقد أسرف رجال الجزار في الشعب قتلاً وذبحاً « وقبض على فريق من الوجهاء فأماتهم خنقاً في سجون عكا »[2] . ولما هاجم الجزار قلعة الشقيف « كان فيها الشيخ حيدر الفارس من الأمراء الصعبية ، حاصره شهرين ثم دخلها بالأمان فقتل جميع من فيها غدراً »[3] . ثم هاجر العلماء وأهل الفضل للبلاد الإسلامية النائية كالهند والعراق وإيران والأفغان وخدموا فيها الإسلام . وقد أقفرت قرى عديدة في جبل عامل ، وخلت من سكانها وأصبحت أثراً بعد عين . ويسمِّي المسنون نقلاً عن آبائهم وأجدادهم أسماء قرى عديدة كانت عامرة بالسكان ، هي الآن أماكن خربة : كالصالحاني وإمِّيْه وشدغيث التي كانت مسكناً « لآل صدر الدين وشرف الدين المشهورين في جبل عامل والعراق وإيران قبل رحلتهم منها في فتنة الجزار »[4] وغيرها من القرى التي لم يبق منها إلاّ الأطلال .

هذه النكبات القاسية ، التي تجرّعها العامليون ضروباً من العسف والشقاء ، حملتهم على الاستبسال والاستماتة في سبيل الدفاع عن حوزتهم ، فثار العلماء والزعماء وأبناء العشائر وألفوا العصابات الثورية . ومما زاد في الأمر سوءاً وحراجة وبلاءً انتقام حكّام جبل لبنان وذلك « عندما أراد الجزار الخروج إلى الحج ، أرسل إلى الأمير يوسف الشهابي أن يقبض على المشايخ المتاولة الذين كانوا في مشغرة ، فقبض على سبعة عشر منهم وأرسلهم إلى عكا . . . فأمر بشنقهم ، ولامت الناس الأمير يوسف على

---

(١) خطط جبل عامل ـ السيد محسن الأمين ـ ص ١٨٥ ـ مصدر سابق .
(٢) تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر ـ ص ١٣٧ ـ مصدر سابق .
(٣) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤٦ .
(٤) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ٢٤٢ .

ذلك لأنه لم يحفظ الجوار ويرعى الذمام »[1] .

حقد الجزار يطال العلماء :

ولما انجلى الفرنسيون بعد حصارهم لعكا واطمأن الجزار في ولايته « اشتدّ على بلاد بشارة (القسم الجنوبي من جبل عامل) وساحل صفد ، ولم يسمع بكبير أو ذي جاه إلاّ أخذه أخذ عزيز مقتدر ، واستصفى أمواله ، وتركه لرحمة زبانية عذابه في سجنه ، ودامت الحال من عام ١٢٠٩ هـ إلى عام ١٢١٩ هـ عشر سنين ، هلك فيها الحرث والنسل »[2] .

.. وضغط على العلماء وتعقبهم قتلاً وسجناً وتعذيباً ، وتشتت من بقي منهم في أقطار الأرض واستصفى آثارهم العلمية ، وكان لأفران عكّا من كتب جبل عامل ما أشعلها بالوقود أسبوعاً كاملاً ، وكانت هذه ضربة كبرى على العلم وأهله وخلت جبال عاملة من رجال العلم بعد أن كانت زاهرة الربوع بالعلماء وأرباب الفضل والتأليف[*] .

« وممن فرّ من العلماء ومن ظلم الجزار العالم الكبير والشاعر المبدع الشيخ إبراهيم يحيى ، قطن دمشق الشام . وبلي بها الشيخ علي الخاتوني الطبيب الفقيه . والعالم بعدَّة علوم ، هاجر في طلبها إلى إيران . وقد صودرت أمواله وضبطت أملاكه ، وحبس مرتين ولم تقبل منه فدية ، ثم أخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون . وكان الشيخ المذكور ولي

---

(١) الزين ـ الشيخ علي ـ فصول من تاريخ الشيعة في لبنان ـ ص ٦٧ .

(٢) العرفان ـ م٢ ـ العدد ـ ٧ ـ ص ٣٣٠ ـ (من مقالة العلامة الشيخ أحمد رضا) .

(*) وممن سجن في لومان عكا وعذّب ، وفرّ من السجن إلى العراق السيد صالح شرف الدين بعد أن استشهد ولده في بلدة شحور وحمل أخوه السيد محمد شرف الدين زوجته وولديه الباقيين السيد محمد علي جد المرجع الكبير السيد حسن الصدر والسيد صدر الدين والد المرجع الكبير السيد اسماعيل (معلومة من السيد جعفر شرف الدين) .

أمرها وكانت تحوي على خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطّية النادرة ، فأمست في عكا طعمة للنار .

وممن فرَّ من ظلم الجزار السيد أبو الحسن ابن السيد حيدر الأمين والشيخ حسن سليمان ، والشيخ محمد الحرّ ، وقد اعتصم بآل حرفوش أمراء بعلبك ، فكان فيهم آمناً مطمئناً حتى أتاه البشير بهلاك الجزار وبمولود جديد له في وقت واحد ، فسمي المولود سعيداً ، ثم رجع إلى بلده جبع وهو مخلى السرب ، إلى غير هؤلاء ممن شملهم ظلم الجزار .

ولم يفق العامليون من هذه الدهشة العظمى إلّا بهلاك الجزار »[1] .

حرب العصابات :

في سنة ١١٩٨ هـ ، ١٧٨٣ م اجتمع في (شحور) جماعة من أعيان البلاد وقد أعياهم أمر الجزار وأرهقهم جوره وما أصاب البلاد من شروره . فأجمع رأيهم على الكفاح وإنقاذ البقية الباقية من وطنهم من الدمار . فألفوا فرْقةٍ من رجالهم الأشداء للفتك بعمال الجزار وجنوده التي كانت ترابط في حواجز عاملة وتحتلها احتلالاً عسكرياً صارماً ، وتلزمها بنفقاتها وعلف خيولها وإعاشتها واحتمال أضرارها وأذاها . وقد جمعهم الجزار من شذاذ الآفاق . « وكان على رأس الثورة الشيخ حمزة بن محمد النصار ، ومدير شؤونها الشيخ علي الزين صاحب شحور . وهاجمت الفرقة حاكم البلاد العام في (تبنين) من طرف الجزار فذبحوه ذبح النعاج ، وأثخنوا بأعوانه وجنده ، ونهبوا الخزينة الأميرية . فأرسل الجزار جنوده وزبانيته تتعقب الثوار فداهموهم في قرية شحور وثارت بينهما حرب دامية استشهد فيها الشيخ حمزة النصار وفرّ أعوانه . وسار الشيخ علي الزين وإخوانه إلى العراق ، وواصل الشيخ علي سيره إلى إيران ، ثم أتى الهند فاستوزره أحد

(١) المظفر ـ الشيخ محمد حسين ـ تاريخ الشيعة ـ ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

ملوكها »[1] .

وذكر محمد جابر في تاريخه نقلاً عن الشيخ السبيتي ما جاء في مجموعته وما مفاده : « كان جبل عامل قد وقع بين نارين : نار زبانية الجزار ، ونار رجال الثورة . فالزبانية التي كان يقذفها الطاغية تعيث في البلاد فساداً ، وتضيق الخناق على الأهلين المساكين والثوار يشنون الغارات . . . متغلغلين في بطون الأودية بين الأحراج والغابات معتصمين برؤوس الجبال » . (وها هو التاريخ يعيد نفسه ، ويذكرنا بمقاومة العدو اليهودي إبان احتلال لبنان وجبل عامل) ولم تهدأ الأحوال في جبل عامل إلاّ بعد هلاك الطاغية الجزار سنة ١٢١٩ هـ ، ١٨٠٤ م . « وكانت حرب العصابات قد اتسعت وامتدت سلطة الثوّار فشملت بلاد عكا وصفد وكانوا يفرضون الضرائب والرسوم على البلاد ويفتكون بمن يخالفهم »[2] .

فوز الثائرين :

بعد هلاك الجزار عُيّن سليمان باشا خلفاً له فاتسعت حرب العصابات فأيقن الوالي الجديد أن جنده سيصابون بالفشل نظراً لاتساع رقعة سيطرة الثوار ، فاستدعى إلى عكا الشيخ علي الفارس ليقيمه حاكماً عاماً على جبل عامل من قِبله ، فأبى الشيخ الصعبي هذا المنصب إلاّ بعد الاتفاق مع زعماء الثورة وإجلاء جيش الأتراك والأرناؤوط عن البلاد وعودتها إلى حالها قبل فتن الجزار . وأخيراً استجاب سليمان باشا لطلب الثوار بعد أن عقد اجتماع بحضور بشير الشهابي ، حضره أيضاً الشيخ فارس الناصيف النصار ممثلاً جبل عامل . وقد تمّ الاتفاق على أن يتم العفو عن الثوّار وعودة الأملاك المصادرة إلى أصحابها ، واستقرّ الوضع في البلاد طيلة حكم سليمان باشا

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٤٠ .

والي عكا ومن بعده عبد الله باشا حتى مجيىء إبراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٢ م . حيث سيطر على كل سوريا وانتزعها من الأتراك »[1] .

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٤٠ .

الشهابيون يرثون المعنيين

. قلباً وقالباً .

السياسة المشبوهة لبشير الشهابي :

تولى بشير الشهابي شؤون الإمارة عام ١٧٨٨ م وهو الملقب في التاريخ الرسمي اللبناني « بالكبير » . وقد انتهج نفس السياسة التي اتبعها أسلافه المعنيين ضد المسلمين اللبنانيين عامة ومسلمي جبل عامل خاصة . « وفي تلك الفترة من الزمن ترددت في أرجاء أوروبا صيحة تهيب بدولها (المسيحية) أن تهب إلى تسيير حملة صليبية جديدة ، فإذا المحور (حملة صليبية) جديدة تشترك في تمويلها وإعدادها وتنفيذها الدول الأوروبية . والهدف هو غزو (الدولة العثمانية) »[1] . وقد نشطت فرنسا لتكمل أشواط التآمر الصليبي الغربي ابتدأته بأول حملة صليبية سنة ١٠٩٦ م في مدينة (كليرمونت) . ومن خلال تطلعات سياسة فرنسا ومشاريعها الاستعمارية ، استطاع اليهود أن يتسللوا إلى عقل (فرنسا الثورة) ويشتركوا

---

(١) عبد المقصود ـ عبدالفتاح ـ صليبية إلى الأبد ـ ص ٢٣٦ .

في صنع القرار . ولهذا ما أن وقعت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م حتى هرع اليهود لاغتصاب حقوق الإنسان المسلم وإنشاء وطن قومي يهودي لهم بقرار فرنسي .

« وهذا أحد أباطرة دولة المال اليهودية (توماس كوريت) اليهودي الإيرلندي يكتب إلى (بول باراراس) عضو حكومة الديركتوار طالباً منه أن تغزو فرنسا بلاد المشرق ، ويغريه بمعونة مالية (للجمهورية الفرنسية) . على أن يتم إقتطاع أرض فلسطين كوطن قومي لليهود وبعدها يتم إقتطاع لبنان كوطن قومي ماروني ، ثم توزّع بلاد المسلمين كغنائم حرب »[1] ، ثم يدعو قائد الحملة نابليون بونابرت كبار اليهود إلى مؤتمر سرّي للتدارس بشأن وطنهم القومي ، ثم يشاورهم ويضع وإياهم أسس التنفيذ . . . ثم يصدر المؤتمر نداءً طويلاً إلى يهود العالم . . ومما جاء فيه : « إن المطلوب هو الوجه البحري من مصر ، والمنطقة الممتدة من عكا إلى البحر الميت ، فمن جنوبه إلى البحر الأحمر »[2] . وهكذا تكرّم نابليون على اليهود وعطف عليهم .

وعند وصول الزحف الفرنسي إلى المنطقة لتحريرها من المسلمين ، تأهّب بشير الشهابي لمؤازرة الغازي الجديد ، واعداً أتباعه بالعمل العسكري إلى جانب نابليون . ولما وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر حاولت تحويل القاهرة إلى باريس جديدة ، ثم احتلّ نابليون يافا وقتل الأسرى . « وكان بشير الشهابي يزود الجيش الفرنسي بالمواد الغذائية . وأصبح يتبادل الهدايا والرسائل مع نابليون ، وقد تلقّى منه سيفاً ، ثم حاصر نابليون عكا وأهلك

---

(١) نفس المصدر ـ ص ٢٣٦ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٣٦٥ .

فيها خلقاً كثيراً ، لكنها امتنعت عليه »[1] . ثم عاد إلى فرنسا وانهارت أحلام المتآمرين .

بشير الثاني وجبل عامل :

كان بشير الثاني يتحين الفرصة للإنقضاض على مسلمي جبل عامل ، وقد متّن علاقاته مع البابا . وقد أثبتت متانة هذه العلاقات من خلال الرسائل المتبادلة . ومنها رسالتان بعث بهما الباب بيو السابع إلى بشير الشهابي يوصيه فيهما بالسهر على مصالح الأقليّة المارونية ورعاية أمور الكاثوليكية . وقد جاء في الرسالة الأولى المؤرّخة في ١٨ نيسان سنة ١٨٠٧ م : « أيها الابن الحبيب والرجل الشريف . الأمير بشير شهاب الكلّي الاقتدار . فليوهب لك السلام . . . نتوسل إليك بأعظم نوع لكي تجتهد وتناضل بواسطة سلطانك بأن تجري أوامرنا بأكبر استعداد وقبول »[2] . ـ وللمزيد من الاطلاع على هذه الرسائل فليراجع كتاب : لبنان والفاتيكان ـ تأليف لحد خاطر .

---

(١) خطط الشام ـ مصدر سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٣ .
(٢) لبنان والفاتيكان ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

حملة ابراهيم باشا المصري

كانت الدولة العثمانية قد أرسلت حملة إلى مصر وكان في عدادها محمد علي باشا كي تتصدى للغزو الفرنسي ، وبقي هذا الضابط في مصر إلى ما بعد الانسحاب الفرنسي ، فاختاره أعيانها حاكماً عليهم . وكان محمد علي باشا من أصل ألباني . وقد أعلن العصيان على الدولة العثمانية ، ثم بدأ بتوسيع دائرة حكمه عندما رأى كيان الأتراك يتضعضع من جرّاء الهزائم التي منوا بها على يد الروس . وقد أنشأ جيشاً قوياً مدرباً ، حيث استقدم الخبراء والمدربين من أوروبا وبالأخص من فرنسا .

الحملة العسكرية المصرية :

في سنة ١٨٣١ م أرسل محمد علي باشا ولده إبراهيم باشا على رأس حملة إلى سورية فاستولى عليها وتابع مسيره إلى الأناضول « واعتبر بشير الشهابي وحلفاؤه أن الفاتح الجديد صديقاً لهم . . . وكان إبراهيم باشا كلما احتل بلداً عزّز مكانة النصارى واليهود فيه »[1] وازداد تأييد الموارنة له حين

(١) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩ .

معرفتهم بأنه صديق الأمير بشير الثاني وحليف فرنسا التي أيّدت قيام امبراطورية عربية ، تابعة لسياستها ومشاريعها « وقد سقطت سوريا كلّها بيد الجيش المصري وقسّمها الفاتح الجديد إلى مقاطعات ، ومتسلميات ، وعهد بإدارتها العامة إلى أحد أنسبائه شريف باشا وألحق جبل عامل بجبل لبنان وأميره يومئذٍ الأمير بشير الشهابي الثاني »[1] .

سياسة المصريين في جبل عامل :

اختلفت سياسة المصريين في جبل عامل عن غيرها في البلدان السورية التي رُفعت عليها أعلامهم . ويعود السبب إلى ضم جبل عامل لإمارة جبل لبنان والخلاف المستحكم بين أبناء لبنان وأهل جبل عامل ، إلى الأحقاد بين ذوي الإقطاعات من زعماء البلدين المتغلغلة في النفوس والسارية سريان الدم في العروق . فمن البديهي أن يكون حكم الشهابيين شديداً وصارماً على أبناء جبل عامل .

« ولّى الأمير بشير الشهابي ولده مجيد إدارة شؤون مقاطعات جبل عامل ، وكان شاباً غرّاً لم تحنكه التجارب ، فصبّ جام غضبه على المسلمين الشيعة في جبل عامل وأرهقهم ظلماً ، وساق مئات منهم إلى السجون فكان في سجنه في صور زهاء الألف رجل ، وحقّر العلماء . . . فكان من جراء هذا التعسف أن ثار المسلمون الشيعة في بعلبك وجبل عامل . وكان قائد الثورة في بعلبك الأمير جواد الحرفوشي ، وفي جبل عامل ، حسين شبيب الفارس الصعبي وشقيقه محمد »[2] .

المقاومة ضد جور المصريين :

قاد الأمراء الشهابيون حملة إبادة شاملة ضد المسلمين استمرّت حتى

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٤٧ .

رحيل جيوش محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ ، وذلك بعد أن تلقى أميرهم مجيد الشهابي هزيمة قاسية عند جسر القاعقعية .

« ومن الأسباب التي جعلت السكّان ينقمون على حكم إبراهيم باشا : الشدّة في جمع الضرائب ومضاعفتها ، وجمع السلاح وتجنيد الشبّان إجبارياً ، وفرض السخرة . كل هذه الأسباب مجتمعة أسخطت السكان ، واندلع لهيب الثورة في جبال النصيرية وبلاد بعلبك ووادي التيم وحوران وفلسطين وشمالي لبنان »[1] ، لكن أعنفها على الإطلاق ، ثورة جبل عامل .

ثورة جبل عامل :

قاد الثورة في جبل عامل حسين ابن الشيخ شبيب بن الشيخ علي الفارس الصعبي وأخوه محمد علي من سنة ١٢٥٢ هـ ، ١٨٣٦ م إلى سنة ١٢٥٥ هـ ، ١٨٣٩ م . وهاجموا مراكز الحكومة وطردوا عمّالها ونكّلوا بجنودها .

وبلغ أمرهم إبراهيم باشا وكانت الثورة قد اتّسع نطاقها فشمل معظم الأنحاء السورية . ثم وضع فرقة من عسكره تحت تصرّف الأمير الشهابي وأوكل إليه أمر إخماد الثورة . فأرسل ولده مجيد . . فاشتبك مع الثوّار في عدة وقائع فلم يظفر بهم . ولما عجز عن إخضاعهم ضيّق الخناق على أهلهم وذوي قراباتهم . فاجتمع فريق من الوجهاء بزعيميْ الثورة وعرضوا عليهما التسليم فأبيا ، وبارحا البلاد بأنصارهما إلى حوران وأرباض دمشق حتى تخف وطأة جنود الحكومة على الأهلين . واتصل خبرهم بشريف باشا المصري والي الشام إثر وشاية ، فأرسل عليهم فرقة من عسكره أحاطت بهم

---

(١) مصدر سابق ـ ص ١٤٧ .

في منزل كانوا فيه . وكان حسين شبيب الفارس مريضاً مدنفاً ، فأوعز لأخيه محمد علي أن ينجوَ بنفسه ، فخرج من الدار شاهراً سلاحه يهدد كل من يدنو منه ، فاخترق صفوف الجند وهم لا يعرفونه وتبعه جماعة من أنصاره . ودخل الجند البيت فكان من السهل القبض على حسين شبيب الفارس لشدّة مرضه ، وبقي معه جماعة من رجاله بينهم شاب وافر المروءة يدعى (موسى قليط) من قرية « ياطر » جنوبي جبل عامل . وسأل قائد الجند عن محمد علي بعد أن قبض على شقيقه حسين . وخشي موسى قليط أن يتعقبوه فقال : أنا هو . وكان يشابهه شكلاً ؛ فقبضوا عليه وساروا بهما إلى دمشق . فأمر شريف باشا بشنقهما . ونجا محمد علي بنفسه وعاش بعد هذه الحادثة أربعين سنة بمروءة ذاك الفدائي موسى قليط »[1] .

وتتبع الأمير الشهابي زعماء الشيعة يريد التنكيل بهم ويضيّق الخناق عليهم ، « فقبض على الشيخ فضل حفيد الشيخ حيدر الفارس حاكم بلاد الشقيف وزعيم الصعبيين خلال زيارة له في عيد وألقاه في السجن أشهراً . . . جرعه خلالها من العذاب ألواناً »[2] .

التنكيل الشهابي :

كانت انتصارات إبراهيم باشا واكتساحه الممالك ، وتقدمه السريع نحو عاصمة آل عثمان ، يزيده رغبة وأملاً . وقد استغرقت هذه الأحلام كل وقته ، « فلم تبق له سبيلاً للتفكير في إدارة سوريا فعهد بها إلى نسيبه شريف باشا وبشير الشهابي »[3] الذي كان يتبع مع خصومه سياسة التعذيب والإرهاب وسمل العيون ، فملأ الجبل شروراً وعاث فيه فساداً .

لقد وظّف الشهابيون قرارات إبراهيم باشا لمصلحتهم فاشتبكوا مع

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٨ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٤٩ .
(٣) نفس المصدر ـ ص ١٥٢ .

الثوّار في عدة وقائع وعندما عجزوا عن إخضاعهم ضيقوا الخناق على أهليهم « كما طلب إبراهيم باشا من الأمير بشير أن يرسل ولده خليلاً على رأس أربعة آلاف مقاتل من نصارى لبنان للإشتراك في العمليات العسكرية في حوران ووادي التيم ضد المسلمين »[1] . كما جرى تسليح النصارى في جبل عامل لاستخدامهم في قمع التمرد « لقد صور الشهابيون جبل عامل في عيون المصريين بلاداً ثائرة وشعباً متمرداً يجب أن يحكم بالشدة والبطش ، فصبوا عليها جام غضبهم ونكلوا بالزعماء والأعيان وزجوا معظمهم في السجون . من أجل ذلك كله قامت الثورات في جبل عامل ودافع العامليون عن كراماتهم وقاتلوا قتال المستميت »[2] .

ثورة الشيخ حمد محمود النصار :

كان الشيخ حمد كما يصفه المؤرخون كعمِّه الشيخ ناصيف النصار سديد الرأي ، شجاعاً ، محنكاً « درس على العلاّمة الشيخ حسن القبيسي في مدرسة الكوثرية وكان فقيهاً فاضلاً وشاعراً وأديباً ومدبّراً حكيماً »[3] . لمّا رأى الوهن قد دبَّ في جسم حكومة إبراهيم محمد علي باشا ، رفع الشيخ حمد ، علم الثورة واصطدم بالأمير مجيد بشير الشهابي ، فانتصر عليه . ثم سار بفرقته فانضم لجنود الدولة العثمانية قرب حمص وأظهر ضروباً من البسالة والتدبير . وعُهد إليه بمطاردة الجيش المصري في الجنوب ، فانقض عليهم واشتبك معهم في عدّة معارك : في رميش ووادي الجبس وشفا عمرو ، فكان النصر حليفه ، ثم استولى على صفد والناصرة وطبريا ، وتولّى إخراج الأسرى والسجناء الذين حشرهم المصريون في سجون عكا »[4] .

---

(١) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٦٧ .
(٢) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٥٠ .
(٣) نفس المصدر ـ ص ٥٢ .
(٤) نفس المصدر ـ ص ١٥١ .

الأسباب التي دعت مسلمي جبل عامل للانضمام إلى الأتراك :

إن استعراض الحوادث التي لا تخفى على أحد قد ألجأت أهالي جبل عامل لهذا الانقلاب الفكري الذي تكاد تنحصر أسبابه بأخطاء الشهابيين وما تركو من أثر غير محمود في جبل عامل .

ولهذا السبب نفسه كان العامليون في جملة من عضدوا الدولة العثمانية وأجابوا طلب رجالها . « فوقعوا العرائض ورفعوها للباب العالي ضد الشهابيين ، ولهم عذرهم فيما صنعوه لما أصابهم في عهدهم من ضيم وجور »[1] .

((١)فس المصدر ـ ص١٥٣ .

الحملات الصليبية الجديدة
الهيمنة الاستعمارية

ما أن انسحبت جيوش إبراهيم باشا المصري من لبنان سنة ١٢٥٦ هـ ، ١٨٤٠ م ، واستسلم حليفه بشير الثاني ، حتى نفاه الإنكليز إلى مالطة وعُيّن بشير الثالث أميراً على جبل لبنان فدخلت البلاد في حالة رهيبة من الفوضى دامت حتى سنة ١٨٦٠ م . لكن بشير الثالث كان ضعيف الإرادة سيىء التصرف ، لا يحسن إدارة الحكم ، ففشل في مهمته مما أتاح في تغلغل النفوذ الفرنسي والإنكليزي والنمساوي . وأخذ كل قنصل من قناصل هذه الدول يشجع فريقه من أجل خوض الحرب لاكتساب مغانم جديدة داخل جسم الدولة العثمانية التي لقبت « الرجل المريض » .

التنافس الاستعماري :

وفي هذه الأثناء كان نفوذ الدول الأجنبية قد ازداد في الشرق الإسلامي ، وكان التنافس على أشدّه بين تلك الدول ، وخاصة بين فرنسا وبريطانيا ، من أجل بسط نفوذهما على سورية ولبنان . وقد وجدت هذه الدول المناخ المناسب لمطامعها في لبنان فشحنت النفوس وفجّرت حرباً

طائفية بغيضة بين النصارى والمسلمين كانت نتائجها وبالاً على المواطنين ، وتدميراً لقراهم وممتلكاتهم ، ومع هذا كله فقد وقف عقلاء المسلمين في سوريا ولبنان موقفاً يتسم بالوعي وتقدير الموقف الخطير ، من أجل إطفاء هذه الفتنة المضطرمة بأيدي صليبية حاقدة .

موقف العامليين من هذه الأحداث :

وقفت سائر عشائر جبل عامل موقفاً شريفاً في الحرب الأهلية التي نشبت سنة ١٨٦٠ م « فالتجأ كثيرون من منكوبي المسيحيين إلى جبل عامل فحلّوا فيه ضيوفاً على الرحب والسعة ، فحماهم المسلمون العامليون وآووهم ، ودافعوا عنهم »[١] ـ لكنهم وللأسف لم يحفظوا هذا الجميل سنة ١٩٢٠ م ، وفيما بعد سنة ١٩٧٥ م ، في النبعة والضاحية الجنوبية من بيروت وجبل عامل وغيرها من مناطق الشيعة ـ .

وأمام عصف الأحداث الاستعمارية الجديدة ، لم يكن جبل عامل بمنأى عن هذه الأحداث الجسام ، لأن الدولة العثمانية كانت كمريض ينازع الموت على فراشه ، فدخل جبل عامل في متاهة الأحداث وحكمته الدولة العثمانية حكماً مباشراً منذ العام ١٨٦٣ م ، ١٢٨٢ هـ ، وطويت صحيفة الحكم الاستقلالي الذاتي لهذا الجبل الأشم ، « حيث كانت آخر أيام هذا الحكم ناصعة البياض ، جليلة الأثر ، حافلة بالحوادث الجلّى والأعمال النبيلة . فبدأوا يعبثون بكيان جبل عامل ويفرّقون كلمته ، وبدأت عجلة الزمان تسير إلى الخلف على عكس ما كان يتمناه الناس . وبدأ الأتراك يزجونه في هاوية التقهقر والانحطاط »[٢] .

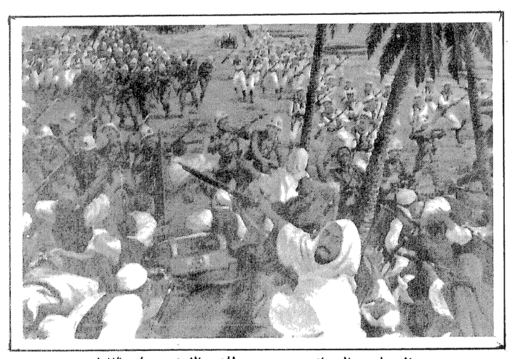
---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٥٩ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٦٥ .

عودة صليبية بثوب جديد :

تتالت الأحداث في المنطقة متسارعة ، فالدول الأوروبية كانت في تقدم وازدهار مستمرين ، والدولة العثمانية في تدهور وانحلال ، حتى سميت كما ذُكر « الرجل المريض » . وبرزت أنياب التكالب الاستعماري ظاهرة في المنطقة . فبعد حادثة « المذبّة » الشهيرة مع الداي حسين ، سلطان الجزائر جرّدت فرنسا حملتها العسكرية البحرية الكبرى واحتلت الساحل الجزائري عام ١٨٣٠ م . فيما قاد المجاهد عبد القادر الجزائري الثورة ضد الفرنسيين .

ولما اجتمعت الدول الأوروبيةُ في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م ، والقاضي بتوزيع تركة « الرجل المريض » كغنائم ، قامت فرنسا بتوجيه حملة عسكرية ضخمة واحتلت تونس عام ١٨٨١ م ، تبعتها بريطانيا باحتلال مصر



المسلمون الجزائريون يتصدون للغزو الفرنسي عام ١٨٣٠م .

سنة ١٨٨٢ م ، ثم تبعتها إيطاليا واحتلت ليبيا سنة ١٩١١ م ، ثم قام الأسبان والفرنسيون معاً باحتلال المغرب الأقصى سنة ١٩١٢ م ، وكان الإنكليز قد احتلوا السودان سنة ١٨٩٩ م .

جهاد المسلمين في البلاد المحتلة :

استفاق المسلمون من كبوتهم التي أغرقتهم بها تركيا الظالمة ، والأمة لا تخلو من رجال التضحية والفداء ، لأن النبي محمد (ص) قال : « الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة » . وعلى الرغم من فارق الإمكانيات الشاسع ، فقد قام الجزائريون بثورتهم العارمة ، التي هانت فيها الأرواح ، ورخصت التضحيات ، فمرة كانت تُخمد ثورتهم بالعنف والقسوة ، والبطش ، ومرة بالتطبيع والفرنسة ، والقضاء على الروح الإسلامية المتّقدة في نفوس الشعب ، إلى أن عُمّدت الثورة بدماء المليون شهيد ، وكان الانتصار سنة ١٩٦٢ ، مروراً بكفاح وجهاد جمعية العلماء المسلمين التي أخذت على عاتقها حماية اللغة العربية والإسلام في الجزائر .

وفي تونس قادت قبائل « خُميْر » الجهاد ضد الفرنسيين في الريف ، وفي الجنوب بقيادة « بني زيد » ، وأرهقوا الجيش الفرنسي الاستعماري لفترة طويلة .

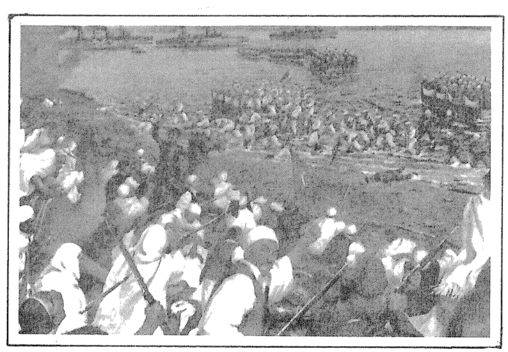
وفي المغرب قاد الشيخ « ماء العينين » الثورة وكبّد الفرنسيين خسائر فادحة . أما المنطقة التي كانت خاضعة للنفوذ الأسباني فقد نشبت فيها ثورة كبرى بقيادة الأمير « عبد الكريم الخطابي » الذي نجح بتحرير الريف من الحكم الأسباني . ولما رأت فرنسا انهيار الأسبان سارعت لنجدتهم وأخمدت الثورة بالعنف والقسوة واعتقلت الخطّابي ونفته . يضاف إلى هذا كله أن مصر كانت محور الأحداث ، لأنّ الأطماع تزايدت عليها بعد شقّ قناة السويس . وكان ورثة محمد علي باشا قد ارتموا كليّاً في أحضان الفرنسيين والإنكليز وباعوا البلاد ومن فيها لهؤلاء الطامعين الناهبين ، فقامت ثورة ضد

الفساد والفوضى والتمييز والتغلغل الأوروبي بقيادة الضابط أحمد عرابي ، تبعتها ثورات عديدة ضد الإنكليز .

وفي السودان شنّ المسلمون بزعامة المهدي حرباً ضارية ضد الإنكليز ، طوحوا بجيوشهم وأبادوا منها فرقاً كثيرة واستقلوا بمنطقة الجزيرة . وكانت حرباً دينية صارمة لا هوادة فيها ، مما جعل الإنكليز يحسبون لها ألف حساب .

ولم تكن ليبيا أفضل من جاراتها ، من حيث وضعها داخل بوتقة الاستعمار الإيطالي الحاقد الذي حاول بناء أمجاد الرومان القدماء . فنهض الشيخ عمر المختار وتزعم الثورة التي قادها لعشرين عاماً ، انتهت بإلقاء القبض عليه في الجبل الأخضر وإعدامه .

أما بلاد الشام ، فلم تكن أوفر حظّاً من شقيقاتها الدول الإسلامية في المغرب العربي الإسلامي ومصر ، فشبح الحرب الكبرى كان يرخي ستاره



المجاهدون الليبيون المسلمون يتصدون للغزو الإيطالي .

على العالم ، ورياح المؤامرات أخذت تعصف بالمنطقة ، وبموجب معاهدة : سايكس - بيكو ، وضعت اللمسات الأخيرة على خارطة المنطقة : (بلاد الشام والعراق) .

ماقبل العاصفة

السياسة العثمانية في جبل عامل :

ما أن أطلّ العام ١٨٦٣م ، حتى وضع جبل عامل تحت السيطرة التركية المباشرة ، فاتبعوا سياسة الإفقار وضربوا اقتصاديات البلاد ضربات أليمة ، فوضعوا الرسوم على الأراضي ، ونوعوا الضرائب على نتاج الأرض والشجر ، وعلى الدور والبيوت وعلى الطرق ، وعلى الباعة . « ومنحت احتكار التبغ للشركات الأجنبية . وزادت الضرائب على الغلّات ، فتعطلت الزراعة وبارت الأرض ، وكثر البطالون ، فكثر اللصوص ، واختلّ الأمن وسادت الفوضى ، ووقعت البلاد في فقر مدقع وضنك شديد ، يضاف إلى ذلك ما كان يبتزّه عمّال الدولة من مال الشعب بطريق الرشوة لإرهاقه وإجاعته وإفقاره »[١] .

قانون التجنيد العسكري الإجباري :

وضعت الحكومة قانون التجنيد الإجباري وأسمته القرعة المحمّدية

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٦ .

وفرضته على الطوائف الإسلامية ، وأعفت منه الطوائف غير المسلمة « ومدة التجنيد عشرون سنة . . . وقلّما كانوا يتقيدون بهذا القانون . ووضعت الدولة أيضاً قانوناً بقبول البدل النقدي ممن لا يرغب الانتظام في السلك العسكري . . . وكانت النتيجة أن البلاد خسرت مالها ورجالها . فالأغنياء ضنّوا بنفوسهم عن إلقائها في أتون هذه الخدمة الشاقة فافتدوها بالمال مما جمعوه . . . والفقراء كانوا يساقون كالسّوام إلى شقاء دائم ، وموت محقق . . . وهكذا ضاعت النفوس والأموال ولم يبق في البلاد إلاّ العاجز الكسول والمشوّه الخلق »[1] .

جمعية الاتحاد والترقي تستولي على الحكم :

كان عدد من الضباط قد تلقى علومه العسكرية في جامعات أوروبا ، فاطلعوا على التقدم الذي أحرزته هذه الدول ، ولاحظوا الفرق الشاسع الذي يفصل بين الدول الأوروبية والسلطنة العثمانية . وكانت رياح التغيير التي اكتشفوها تدور في رؤوسهم ، وبالتنسيق الاستخباراتي مع أجهزة دول أوروبا قام هؤلاء الضباط بانقلاب عسكري سنة ١٩٠٨ م طوحوا على أثره بالسلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية وبايعوا شقيقه محمد رشاد سلطاناً (اسمياً) فقط . وقبضت جمعية الضباط هذه على مقدّرات الدولة ، « واستولت على كنوز عبد الحميد وأمواله وذخائره ، فاجتمع في أيديها المال والجيش . وكان محور هذه الجمعية ثلاثة ضباط : طلعت باشا ، وأنور باشا ، وجمال باشا . وقد ارتكب هذا الثالوث كثيراً من الجرائم والأخطاء السياسية والإدارية لأنه لم يكن لديهم علم بالسياسة فخسرت السلطنة الكثير من أملاكها . فازدادوا في غلوائهم غروراً وبطشاً وبغياً »[2] .

وقد استعمل الاتحاديون منتهى القسوة والاستبداد في معاملة العرب

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

في اليمن والحجاز والعراق وسوريا ، وكانت أعمالهم في جبل عامل تفوق الوصف من جور وعسف واضطهاد . « فسجنوا من سجنوا ونفوا من نفوا . . . ومع هذا كله فقد بقيت الأكثرية من العرب والفئة المحافظة ، وبالأخص العامليين منهم ، على التقاليد مخلصة للسلطنة العثمانية »[1] . لأنهم كانوا يرون أن الارتماء في أحضان الغرب هو عودة إلى سيطرة صليبية جديدة أحقد وأعتى من تلك التي مرّت في القرون الوسطى . وبالفعل هذا ما حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وسيطرت الدول الغربية الاستعمارية على مقدرات البلاد الإسلامية .

مجمل التحركات العاملية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي :

بدأت فكرة التخلص من نير الأتراك الغاشمين في جبل عامل منذ عهد قديم ، منذ أن سيطر السلطان الأول سليم العثماني على البلاد سنة ١٥١٦ م ، ولا سيما بعد أن فتك بالمسلمين الشيعة فتكاً ذريعاً في كلٍّ من : حلب والأناضول والحدود الإيرانية التركية وبلاد الغرب . وإن هذا القطر (جبل عامل) على ضيق رقعته وقلّة سكانه قاوم الأتراك مقاومة عنيفة ، ودافع دفاعاً شديداً عن كيانه ولم يخضع للحكم التركي المباشر إلاّ مدة يسيرة . منذ سنة ١٨٦٥ م حتى سنة ١٩١٨ م . وكانت الثورات والحروب التي أضرم نارها العامليون في وجه الترك لا تنطفي جذوتها . وكانوا إذا اعتدي عليهم لجأوا إلى قوّة السلاح يقارعون أعداءهم ، لا يأبهون بالمنايا . وقد فصّلنا ذلك في فصول سابقة . وقد أعطتهم المقاومة لأعدائهم شرفاً جعلت جيرانهم : كالشيخ ظاهر العمر والأمير يوسف الشهابي ـ قبل غدره بهم ـ يستعينان بهم لمقاومة ولاة الترك ودفع آذاهم .

وقد قاوموا الطاغية أحمد باشا الجزار وجرت بينه وبينهم معارك تشيب

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

لها الأطفال . ورغم خسرانهم لبعض المعارك (يارون) . غير أنهم لم يخسروا النجدة والحميَّة وظلّت قواتهم التي تألفت على شكل (عصابات) تهاجم الجزار وتثخن في جنده وتذبح عماله في تبنين وهونين وشحور . ولم تنضم القوى الإسلامية العاملية لقوى الأتراك إلاّ مرّة واحدة في عهد الاحتلال المصري إبان حملة محمد علي باشا على سوريا . « ولم يكن ذلك إلاّ لسوء سياسة العمّال المصريين الذين أقصوا الزعماء ونكلوا بالعلماء وضموا بلاد المسلمين من جبل عامل كلها لجبل لبنان تحت حكم بشير الشهابي (كما مرّ معنا) وسوء الأثر الذي تركه مجيد الشهابي واحتقاره للعلماء وزجّهم بالسجون ، مما أدّى إلى نشوب الثورة »[1] .

مؤتمر دمشق السري :

عقد أول مؤتمر سرّي للنظر في استقلال سوريا سنة ١٨٧٧ م في دمشق عندما دارت الدائرة على الدولة العثمانية وانتصر فيها الروس « فعقد بعض الأعيان في سوريا مؤتمرهم هذا . وكان يمثل جبل عامل في ذلك المؤتمر العالم الجليل السيد محمد الأمين من الأشراف الحسينيين والحاج علي عسيران والشيخ علي الحرّ الجبعي وشبيب الوائلي . وقد أقرّ المؤتمرون اختيار الأمير عبد القادر الجزائري (نزيل دمشق) أميراً على سوريا . وبعد أن صدت الدول الروس عن الآستانة وحالت دون سقوطها ، فتأخر حلّ المسألة الشرقية ، ومن ثم طويت صحيفة ذلك المؤتمر . وكان المفتي العاملي السيد محمد الأمين ، مجاهداً بفكرته السياسية ، يحرض العامليين على الثورة ويراسل الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق بصراحة تامة . . . واتصل الخبر بالوالي التركي فنفى السيد إلى طرابلس »[2] .

---

(١) تاريخ جبل عامل - مصدر سابق - ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
(٢) نفس المصدر - ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

جبل عامل في الحرب العالمية الأولى

. . ولما اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى ، سيق الناس للجندية أفواجاً وبدون تمييز ، واشتدّ البلاء ، وعمّت الفوضى البلاد ، واشتدّ نفور الشعب من الدولة وتربصوا بها الغوائل . وكان الناس موقنون أن أمر الدولة العثمانية سيؤول إلى الخسران ، « لأنّ قوتها ضعيفة ، وجندها جائع ؛ ولأنّ القابضين على زمام الأحكام وذمة السياسة لا خلاق لهم ولا ضمير ولا وطنية ، دأبهم الكيد والدسّ لبعضهم ، والاستئثار بالأموال والنفوذ ؛ فكان حتمياً أن تسير هذه الدولة إلى الاضمحلال والتدهور المريع »[1] .

ماذا في الحرب العالمية الأولى :

وقع العالم بأسره من هذه الحرب في كبد ، واختصت سوريا ولبنان وفلسطين بويلات جمال باشا قائد الجيش الرابع إذ استشعر منها ميلاً إلى الحرية والاستقلال فَعَمِهَ في انتقامه متجاوزاً في ذلك كل حدّ ، وقد أمعن في تجنيد الرجال وسوقهم إلى ميادين القتال حتى لم يبق إلاّ المرأة والصبي

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢١١ .

والشيخ الهرم الضرير والزَّمن ، ومن هو في حكمهم . « وقام في ذلك على ساق يسوق الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم بعصا واحدة ، فكانت الروعة شديدة والهلاك هائلاً . . . ونصب المشانق ، وصوّب البنادق لإعدام من يفرّ من التجنيد . . . ورمى البلاد بالمجاعة المدقعة ، إذ قطع الميرة عنها فقلَّت الأقوات وغلت أسعارها غلاءً عظيماً ، فكان الفقراء يطوون اليوم تلو اليوم فتراهم خاوين مرسبين حتى ماتوا جوعاً ، وكانت الموتى مطروحة في البيوت والشوارع العامة وفي البراري لا يؤبه بها . . . فربَّ عرضٍ مصونٍ كان يومئذٍ يبذل بأكلة . وربَّ مكتبة حافلة بنفائس الكتب بيعت بمدّ من طعام . وكم أرضٍ واسعة شُريت بتافه من الدقيق »[1] .

محنة العلماء :

. . ولما صدر الأمر بسوق الرجال إلى ميادين القتال ساقت الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم بعصا واحدة . « ولم تكن أنظمة السوق تعفي من التجنيد سوى أئمة المساجد والقوامين على الطقوس الدينية في كنائس أهل الكتاب »[2] . ولم تكن لأئمة مساجد الشيعة أسماء في دوائر الحكومة ولا في غيرها ، « إذ لم يكونوا موظفين ، وإنما عدالتهم وأهليّتهم المحرزة في نفوس شعبهم هي التي تخولهم إمامة المساجد . بعكس بقية المذاهب والطوائف . والسلطة العسكرية كانت يومئذٍ على يقين من إعفاء هؤلاء وأولئك جميعاً .

أما أئمة مساجد المسلمين الشيعة ـ وهم علماء البلاد وأبرارها ـ فلم تعترف سلطات السّوق بإمامتهم إذ لم يكن ثمّة ما يثبتها رسمياً . وبذلك أجمعت على سوقهم مع سواد الناس بكل شدّة وأمعنت في طغيانها تتعقبهم

(١) شرف الدين ـ السيد عبد الحسين ـ بغية الراغبين ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ (كتاب مخطوط) .
(٢) نفس المصدر أعلاه ـ ص ٦٠ .

لا تـدّخـر فـي ذلـك وسعـاً ، فـذعـروا وتـواروا مـدلّهيـن ، وهـال الطـائفـة أمرهـم »[1] .

وقد أورد السيد عبد الحسين شرف الدين ـ قدّس ثراه ـ في كتابه المخطوط (بغية الراغبين) ما مفاده : « أنه رفع العرائض إلى العاصمة الآستانة ، للنظر في ظلامة أئمة مساجد الشيعة في جبل عامل ، يستصرخهم ويحتج عليهم ، يؤازره في ذلك سواد الشعب العاملي إلى أن فاز بمطلبه ، وجاء قرار التصديق على إعفاء أئمة مساجد الشيعة العامليين من التجنيد الإجباري فاطمأنت نفوس العلماء بذلك » .

بلايا المؤمنين :

أورد السيـد شـرف الـديـن فـي كتـابـه المخطـوط (بغيـة الـراغبيـن) صفحة ٦١ هذه البلايا كما يلي : « . . . وكان المؤمنون من حولي قد فوجئوا بأنواع من البلايا لا يرون إلى التخلص منها سبيلاً ، إذ كان الحكم فيها خاضعاً لشهوات الاستبداد الفردي . . . وما كان لذي عاطفة إنسانية أن يمرّ على جثث الهلكى من جوْعى تلك المحنة ثم يطمئن قبل أن يجاهد في سبيلها فلعله يفتديَ الرمق المتلاشي من أولئك الفقراء ببعض ما لهم من الحق في ذمم الأغنياء ، ولعلّه يمسك الأنفاس الزاهقة بشيء مما للضعفاء قبل الأقوياء فطفقت يومئذٍ استنجد الكرام الموسرين وأستجدي ضمائرهم لأولئك الهلكى بمرأىً منهم ومسمع ، أتلو عليهم من محكمات الذكر الحكيم وصحاح السنّة الرحيمة ما تأخذهم به أرْيحيّة السخاء ، وتملكهم به الخفّة للمعروف . رفعت صوتي بذلك استخرج به من أعماق الناس معانيهم الإنسانية ، ولعلي أبليت في ذلك بلاءً حسناً ، فيسر الله لي بفضله وكرمه ما كنت التمسه لأولئك الجوعى العراة . . . وبهذا أنعش الله نفوساً وبرّد أكباداً ونفس كُرَباً ، وبدأت

---

(١) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠ (كتاب مخطوط) .

الحياة تدب في كثير من المحتضرين » .

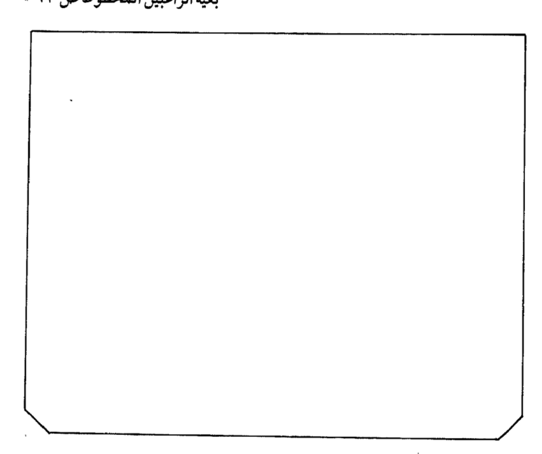
وما أن وضعت الحرب أوزارها وانقشعت ظلمة الجوع حتى سارعت الجيوش الحليفة تؤازرها قوّات الشريف حسين بن علي إلى احتلال سوريا وفلسطين ولبنان والأردن والعراق .

الفصل الثالث

ثورة عام ١٩٢٠م ضد الاستعمار الفرنسي

« وكان استقبالنا للإحتلال الفرنسي استقبالاً صاخباً محتجاً يواجهها بالرفض والمصارحة والميل عنها ميلاً لا هوادة فيه ولا لين » .

« السيد عبد الحسين شرف الدين
بغية الراغبين المخطوط ص ٦٢ »



جبل عامل تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية

أعلن الشريف حسين بن علي أمير مكة المكرمة وتوابعها استقلاله عن الدولة العثمانية بمساعدة الحلفاء ومباركة الإنكليز في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ، ٢٨ حزيران سنة ١٩١٦ م . « وثار العرب على الأتراك في مكة وقتلوا الحامية العثمانية وأسروا أكثرها ، وحاصروا المدينة المنورة فانشغل الترك بهذه النكبة التي ما كانت في الحسبان . وأخذوا يستميلون إليهم رجالات الشام ، واستبدلوا الشدّة باللين . وأصبح الناس ينتظرون الفرج ويعلّقون الآمال الواسعة على الشريف حسين وأنجاله . . . ولما سقطت القدس ، ودخل القسم الجنوبي من سوريا في حوزة الحلفاء وفرّ الأتراك وحلفاؤهم »[1] ، دخل الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق وأعلن تأسيس الحكومة العربية ثم أرسلت البرقيات إلى زعماء جبل عامل وبيروت أن يرفعوا الراية العربية إيذاناً ببدء عهد جديد . وبالفعل ، فقد رفعت الرايات في كل من بيروت وبعبدا وصيدا والنبطية وصور ومرجعيون .

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢١ .

خداع الإنكليز والفرنسيين :

وصلت الحملة العسكرية بقيادة المارشال هنري اللنبي إلى صور وصيدا في طريقها إلى بيروت فحلب ، وعيّن ضابط فرنسي يدعى (فيجل) لإدارة حكومة صيدا وملحقاتها وأرسلت قوة عسكرية إلى النبطية نشرت إعلاناً في الساحة العمومية هذا نصه :

« باسم القائد العام لجيوش الحلفاء الثلاثة : الإنكليز وفرنسا والشرفاء ، يمنع الاجتماع العام والمظاهرات السياسية من أي نوع كانت . ومن خالف ذلك عدّ مسؤولاً ومستهدفاً للجزاء » .

وقد نشر مثل هذا الإعلان في صيدا وصور ومرجعيون وصفد ، تبعه إعلانات أخرى بدأت تتكشف من خلالها نوايا المستعمرين الجدد ، وقد راجت سوق الجواسيس والعملاء ، وكثرت تقاريرهم بحق الأحرار الذين نالهم الإرهاق في عهد الترك ثم الفرنسيين »[1] .

وفي هذه الفترة كان لورانس براون وهو جاسوس إنكليزي ، والمحرك الأول « للثورة العربية » التي أشعلها شريف مكة على الأتراك ، يقود القوات العربية الزاحفة من قلب الجزيرة لإتمام خطة السيطرة على هؤلاء العرب أنفسهم ، حيث أورد في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) : « كنت أرى أننا إذا انتصرنا ، فإنّ وعودنا للعرب ستبقى حبراً على ورق . . . وجازفت بالتضليل اقتناعاً مني بأن مساعدة العرب لنا كانت ضرورية لنصل إلى نصر سريع وقليل التكاليف على الجبهة الشرقية ، وأن النصر مع الإخلال بالوعد أفضل من الهزيمة »[2] .

---

(١) نفس المصدر ـ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢) ناتيلي ـ فيليب ، سمبسون ـ كولن ـ المخفي من حياة لورانس العرب ـ ص ٣٢ ـ ترجمة إيلي لاوند وإبراهيم العابد .

جبل عامل تعصف به رياح المحتلين :

تسارعت الأحداث بعد هزيمة الأتراك على قناة السويس فاندفعت قوات الحلفاء تتوغل داخل فلسطين ، وبدأ السباق بين جناحي الاستعمار : الإنكليز والفرنسيين فآلت فلسطين للإنكليز والساحل اللبناني والسوري للفرنسيين وتقدمت قوات فيصل بن الحسين نحو دمشق . وهكذا ، بدا أن هذه القوات كانت تطبق واقع معاهدة سايكس - بيكو على الأرض سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد ، وبدأ العرب يشعرون أن وعود الحلفاء لم تكن سوى سراب يحسبه الظمآن ماءً . وقد أشار السيد عبد الحسين شرف الدين إلى ذلك بقوله : « وفي أعقاب تلك الحرب . . . انتهت فلسطين إلى الاحتلال الإنكليزي ، وانتهت دمشق إلى الإمارة الهاشمية برئاسة فاتحها فيصل . وكان نصيبنا من التقسيم يومئذٍ نصيباً لم تجر فيه الرياح كما كنا نشتهي ، وكما كنا نقدر ، ولكن ابتدأ نشاطنا على كل حال وفق آمالنا التي كنّا نعلقها على ما بعد الحرب . وبدأ العمل في هذه البلاد بإنشاء حكومات مؤقتة تحفظ الأمن باسم الملك حسين وكان هذا باتفاق معه . . . فأنشأنا في صور يومئذٍ حكومة على هذا الغرار .

لكن الإنكليز أبطلت هذا التدبير الذي رجوناه لمستقبل عربي مستقل وإذ اجتاحت في مرورها ما بنيناه من هذا الكيان الناشىء ، ولم تعترف بشيء من هذا الجهد المؤمل ، وبذلك شُطب على الخطوة الأولى ، ومهد لفرنسة أن تسيطر وتحتل باتفاق مع عصبة الأمم التي كانت توجه السياسة العالمية . ولكن ما كان لنا ولسائر المخلصين للدين والقومية والوطنية أن نستكين للقوة مستخْذِين »[1] .

---

(١) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٦٢ ـ كتاب مخطوط .

موقف العامليين من الاحتلال الفرنسي :

كان استقبال العامليين للإحتلال الفرنسي « استقبالاً صاخباً محتجاً ، يواجهها بالرفض والمصارحة ، والميل عنها ميلاً لا هوادة فيه ولا لين »[١] . وقد أورد السيد شرف الدين في مذكراته المخطوطة ، مجابهاته مع قادة فرنسا في لبنان : « ثم كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيين كبيكو وغورو وشربنتييه ودلبستر ونيجر »[٢] . ومن المؤسف أيضاً أنّ نفراً من المتزعمين في تلك الفترة ظهر مذبذباً ينقلب على رجال الجبل من علماء وثوار ، وراح هذا النفر يحمل إلى الفرنسيين كل مخططات العلماء والثائرين للإيقاع بهم من أجل أن يتربعوا على كرسي الزعامة الجوفاء ، دون رادع ضمير أو محاسبة نفس . وقد عقّب السيد شرف الدين على هذا النفر بنفس المضمون الآنف ذكره :

أظهر الفرنسيون تحيّزاً واضحاً نحو الموارنة ، وبدأ السعي لإقامة دولة مارونية موسعة وذلك بضم الأقضية الأربعة ، فكان رفض العامليين شديداً ، لأنّ المستعمر الجديد ، استخدم طريقة إبراهيم باشا المصري ، وهكذا اندلعت الحروب والمعارك بين الجيش المحتل من جهة والعامليين المسلمين من جهة أخرى .

مذكرة جبل عامل إلى لجنة كينغ - كراين :

أوفدت عصبة الأمم المتحدة لجنة أميركية لتقصي الحقائق وجمع المعلومات حول المصير الذي ستؤول إليه المنطقة والهدف الذي تبتغيه شعوبها ، وقد قدِمت إلى جبل عامل في ٥ شوال سنة ١٣٣٧ هـ . وبعد التشاور مع أعيان البلاد وعلمائها عقد السيد عبد الحسين شرف الدين

---

(١) نفس المصدر - ص ٦٢ ..
(٢) نفس المصدر - ص ٦٢ .

والشيخ حسين مغنية اجتماعاً في صور قررا على أثره رفع مذكرة إلى اللجنة المذكورة جاء فيها : « . . . أما بعد فإنني أؤكد البحث الذي أدرته وأخي حجة الإسلام الشيخ حسين مغنية معكم لدينا في صور . وأسجل في هذه الوثيقة خلاصة الرأي الذي أدلينا به عشية الاجتماع . منعاً لكل لبس لدى المترجم ودفعاً لأي تقوّل من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وإليكم ذلك في هذه البنود :

أولاً : لا نرضى بغير استقلال سورية التام الناجز بحدودها الطبيعية التي تضم قسيميها الجنوبي (فلسطين) والغربي (لبنان) وكل ما يعرف ببرّ الشام . دون حماية أو وصاية .

ثانياً : تكون الدولة ملكية . ذات عدالة ومساواة ، يستوي فيها جميع الناس كافة في الحقوق والواجبات .

ثالثاً : الأمير فيصل بن الحسين هو مرشح العرب الطبيعي لملك سورية لما له من جهاد في سبيل القضية العربية ومن عبقرية سياسية وخلقية تؤهلانه تسنّم هذا العرش .

رابعاً : لا حقَّ إطلاقاً لما تدّعيه فرنسا في أي بقعة من سورية ولا تُقبل أي مساعدة منها .

خامساً : إذا كان لا بدّ لسورية من مساعدة . فإنّ الرئيس ولسن قد فتح باباً معقولاً لطلب المساعدة من أميركا . وذلك بإعلانه أن القصد من دخول الحرب إنما كان للقضاء على فكرة الفتح والاستعمار .

هذا وإن المبادىء التي أعلنها رئيس بلادكم تحملنا على الثقة في أن مطالبنا المشروعة هذه ستكون هي المعتمدة لتقرير مصيرنا لأنها من ضمن المبادىء التي نصّت عليها مبادئه الكريمة . وتفضلوا بقبول الاحترام »[1] .

---

(١) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين - (غير مطبوعة) - ص ٦ (نسخها ونقلها ولده السيد جعفر) . .

ثورة جبل عامل
ضد الاستعمار الفرنسي

كان جبل عامل أول منطقة في بلاد الشام قد ساهمت في حركة التحرر العربية ، بغية التخلص من السيطرة العثمانية ، ويبدو أن أبناء جبل عامل كانوا ينظرون إلى مصالحهم من خلال المطالب القومية العامة . وهذا ما جعل الأتراك يعتقلون العديد من شباب الجبل وشخصياته الوطنية والدينية حيث أصدروا بحقهم الأحكام المختلفة من نفي وإعدام وسجن .

وعندما دخل الفرنسيون والإنكليز إلى جبل عامل اعتبر الوطنيون العامليون أن الحلفاء سيمنحونهم الاستقلال التام ، خصوصاً بعد أن شجعوا على إقامة حكومات محلية في سوريا والعراق .

وكانت هذه الحكومات المحلية منشأ صراع بين أطراف الإقطاع السياسيّ ، إلاّ أن هذا الصراع لم يمنع السياسيين في جبل عامل ، عن معارضة فرنسا والمطالبة بالاستقلال عنها . وعندما تكشفت نوايا الحلفاء ، وراحت فرنسا تكيد للسوريين واللبنانيين بمن فيهم العامليين ، اندلعت الحروب والمعارك في جبل عامل ، وبدأت الفرق الفرنسية بالتقهقر في بعض المواقع ، وحصرت عساكرها في المدن الهامة .

دور السيد عبد الحسين شرف الدين :

كان السيد عبد الحسين شرف الدين راسخ اليقين ، دائب الحركة ، يدور مع المحتلين مدافعاً أو مطارداً ، حيثما داروا ، وعندما أفتى بالجهاد ضدهم حكموا عليه بالإعدام وطاردوه ، ولم يتزحزح عن مواقفه المبدئية قيد شعرة حيث كان قوله دائماً :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم فلا مشت بي في طرق العلا قدمُ

وعندما قدمت لجنة كينغ كراين لتقصي الحقائق في المنطقة ، قدّم السيد شرف الدين مذكرة جبل عامل إلى هذه اللجنة مطالباً عصبة الأمم باستقلال البلاد وضمها إلى سوريا ، وعندما كان السوريون يستعدون للثورة ضد فرنسا كان السيد قطب رحى هذه الثورة في جبل عامل ، وعندما دعا كامل الأسعد وجهاء الشيعة للاجتماع في وادي الحجير ، تزعم السيد هذا المؤتمر واتخذت القرارات التي تطالب بالانضمام إلى المملكة العربية السورية . ولمّا كانت المشكلة أكبر مما كان يتصوره العرب آنذاك ، وقسمت البلاد حسبما تم الاتفاق عليه سابقاً بين فرنسا وبريطانيا وآلت البلاد وإلى ما آلت إليه ، لم يغير السيد شرف الدين من مواقفه ولم يبدّل حتى في زمن حكومة الانتداب وحكومات الاستقلال .

وتحت عنوان بين الأمس واليوم أورد العلاّمة المجاهد السيد حسن نصر الله سبب التعتيم والتحجيم لدور العلماء المجاهدين كالسيد عبد الحسين شرف الدين ، فكتب يقول : « أزمة لبنان على المستوى الداخلي مرتبطة في الماضي الذي يمتد عبر الحكم الأموي والعباسي إلى الأيوبيين والحمدانيين والمماليك والعثمانيين ، إلى أن تصل إلى فترة الانتداب الفرنسي التي نعتبرها أقرب فترة تاريخية سياسية قاومها المسلمون . وكان رمز مقاومة الفرنسيين الإمام السيد عبد الحسين



السيد عبد الحسين شرف الدين بالكوفيّة والعقال سنة ١٩٢٠ عندما غادر لبنان إلى مصر.

شرف الدين . ولكن كما هي العادة في العمل السياسي ، برز من تريد فرنسا أن يبرزوا على أساس أنهم أبطال المقاومة . . »[1] .

حادثة ابن الحلّاج :

عزم الفرنسيون وعزمتِ ذيولهم على التخلّص من السيد عبد الحسين شرف الدين عن طريق الاغتيال لتنهار هذه الجبهة إذا خلا من الميدان . وفي ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون الثاني

(١) العهد ـ العدد ٢٥/ تاريخ ٢٣ شوال ١٤٠٥ هـ .

سنة ١٩١٩ م والدار خالية من الرجال سوى السيد . اقتحم الجنود وكانوا جميعاً مسلحين ، وطلب الضابط (جورج الحلاج) وهو مسيحي من صور ، التفويض الذي أخذه السيد من وجوه البلاد والذي يخوِّل الملك فيصل أن يتكلم باسم جبل عامل في عصبة الأمم . يقول السيد : « فألحّ في إنفاذ ما أراد بقلّة حياء ، فأغلظت له القول فصوّب مسدسه اتجاه وجهي . ففاجأته بدفعة منكرة في صدره برجلي ، ألقته على قفاه وسقط المسدس من يده فبادرته بحذائي ضرباً على وجهه ، وفرّ أصحابه . . . وقامت قيامة البلد على بكرة أبيها وقيامة البلاد العاملية مضربة عن أعمالها بأسرها احتجاجاً على تلك السلطة الجائرة باعتدائها الفظيع على يحبوحة دينها صاخبة لهتك حرماتها . فنصر الله المؤمنين يومئذٍ بهذا نصراً عزيزاً وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً »[1] .

وزحفت الجموع باتجاه صور متوافدة والرايات تخفق فوق الألوف الكثيرة من وفود الساحل والجبل في مظاهرات تاريخية رائعة »[2] . واستنكر رجال العلم والأدب والسياسة هذه الحادثة . وقد أرسل رجالات الثورة في دمشق برقيات الاستنكار ومنهم الأمير فيصل . وقد أجاب السيد شرف الدين الجميع بكلماته القوية وموقفه الصلب قائلاً : « ولا غرابة إن كان (لابن الحلاج) معنا ما كان فما هو إلاّ أداة غدر . ووسيلة فتنة وقى الله البلاد شرّها .

ولا غرو إن كان لنا معه ومع من وراءه ما كان ، وما يكون . فالهاشمي لا تعصب سلماته ولا تقرع جنباته . . . فكيف يلين الهاشمي لحادث . أو يلبس ملابس الخوف ، « حاشى حفّاظ بني الحسين »[3] .

---

(١) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥ (كتاب مخطوط) .
(٢) نفس المصدر السابق ـ ص ٦٣ .
(٣) من مخطوطات السيد شرف الدين ـ ص ٥ (نسخها ونقلها ولده السيد جعفر) .

أسباب الثورة :

في ٩ تشرين الأول سنة ١٩١٩ م ١٠ محرّم سنة ١٣٣٨ هـ عيّن الجنرال غورو قائداً للقوات الفرنسية في الشرق ، وقد ناداه كليمنصو أثناء تكليفه : « ستصبح الجندي الذي سيبني موطناً فرنسياً في الشرق »[1] . ولما وصل الجنرال غورو إلى بيروت على رأس حملة عسكرية تضم ثلاثين ألف جندي ، عمّت الفرحة لدى أنصارهم الذين استقبلوا قوّات الاحتلال بالترحاب والمظاهرات المؤيدة . « وقد رفعت اليافطات في الجبل والجنوب وكتب عليها : (تعيش فرنسا ، يعيش كليمنصو ، يعيش الجنرال غورو) . هذا التأييد الحار من قبل الموارنة والكاثوليك قابلته ثورة عارمة في صفوف المسلمين ضد المحتلين ، وقد لجأ الاحتلال الفرنسي إلى تأليف فرق عسكرية مسيحية لقمع الانتفاضات ونظم منهم فرقاً عسكرية مسلحة لمحاربة الثوار »[2] .

وقد أشار السيد عبد الحسين شرف الدين إلى هذه الأسباب قائلاً : « بعد حادثة ابن الحلاج أشيع أن أولياء الفرنسيين يتجاوزون الحدود الإسلامية المقدسة ، وربما تناولت أيديهم بعض الأعراض المصونة . . . فثارت العصبية الدينية واستيقظت النخوة العربية فاضطرب حبل الأمن وانتشرت الفوضى في البلاد . . . فجهزت المسيحيين بالأسلحة بدعوى تمكينهم من حماية حوزتهم . . . وكان النمامون النفعيون من أذناب الفرنسيين . . . معنا بوجه ولسان ومع الفرنسيين بوجه ولسان آخر »[3] .

---

(١) المشروع الماروني ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٣ .
(٢) نفس المصدر أعلاه ـ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .
(٣) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٦٣ ـ ٦٤ (مخطوطة) .

مؤتمر وادي الحجير :

عقد علماء جبل عامل وزعماؤه ووجهاؤه ، مؤتمرهم الشهير على رأس نبع الحجير ، وهو أحد الأودية الوعرة المعروفة من شِعب جبل عامل قلعة المقاومة آنذاك ، حيث بحثوا الموقف السياسي من جميع جوانبه ، ونظروا في مصير البلاد العاملية على نحو تطمئنُّ إليه الجماعة القلقة .

قال السيد شرف الدين في كتابه المخطوط : « وفي اليوم الموعود كان وادي الحجير يستقبل ضيوفه ، وكان ضيوفه الأكثرية من صفوة علماء الجبل وأسوده ، ووجهائه وأعيانه . وكان يضيق بالرايات ويضج بالهتافات ويدوي بالمفرقعات والصهيل . وكأنما عاملة نشرت فيه ببعث جديد .

وأقبلنا والجمع كامل مستتب فما أشرفنا على الجمع حتى جلجل الوادي . وجرجر صداه . وانطلقت الحناجر والأكف والبنادق تمدُّ الصدى بموجات إثر موجات تتجلجل في عنق الجبل ثم تنطلق في الفضاء وانحزنا بعد تحية الجماهير إلى صف العلماء والزعماء ، نداولهم الرأي ونبادلهم المشورة فتمخض الاجتماع عنّ تفويضي والأخوين العلاّمتين السيد محسن الأمين والسّيد عبد الحسين نور الدين بالبحث في مصير الجبل مع الملك فيصل في الشام . وكُتِبَت في هذا وثيقة ممضاة من العلماء والزعماء والوجوه وممثلي القرى جميعاً »[1] .

دور المجاهدين في المؤتمر :

أورد الشيخ أحمد رضا ، المؤرخ ، في مذكراته عن يوميات الثورة في العرفان ، مراحل انعقاد المؤتمر كما يلي : « يوم السبت الخامس من شعبان سنة ١٣٣٨ هـ ٢٤ نيسان ١٩٢٠ م كانت وجهتنا محلّ هذا المؤتمر فوجدنا

---

(١) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٦٥ (مخطوطة) .

العلاّمتين السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد جواد مرتضى والعلاّمة الشيخ موسى قبلان من العلماء وكثيراً من أعيان جبل عامل وزعمائه السياسيين وجاء بعد ساعة الشيخ صادق الحمزة من قواد الثورة يحيط به نحو الخمسين من رجاله وكلهم في عدّتهم من بنادق حربية ومسدسات وقنابل يدوية ، شاهروا أسلحتهم حوله ، وانتحوا جانبا الوادي ، وناحية من الناس . . . ثم اندفع العلاّمة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين يتكلم ويشرح »[1] .

على هامش المؤتمر :

وجاءت ردّة فعل كامل الأسعد توحي بضيق شديد من بروز القادة الجدد ، فالمواجهة الكلامية الحادة الوحيدة التي جرت في المؤتمر لم تكن بين الأسعد ومنافسيه السياسيين التقليديين . وإنما دارت بينه وبين صادق الحمزة قريبه الذي يعود نسبه إلى علي الصغير أيضاً . . . كما أن صادق انتحى جانباً عند وصوله المؤتمر ورفض أن يأتي إلى كامل بك للسلام عليه . . . ويبدو أن الأسعد استطاع أن يتمالك أعصابه ويعيد حساباته بسرعة ، وقرر أن يلجأ إلى كسب الرأي العام الحاضر فنهض هو وتوجه للسلام على صادق الذي كان حذراً في البداية ، فقال لرجاله لدى ملاحظته قدوم كامل بك اتجاهه : إن « أبا زطام » قادم ، فإن أمسكني اقتلوه »[2] . ثم سويّ الإشكال بينهما .

أما . . . أدهم خنجر فقد وصل أيضاً إلى المؤتمر مع ما يزيد عن المائتين من رجاله معلنين عن وصولهم بزخات كثيفة من الرصاص . وبعد أن اتخذوا مكاناً معيناً نادى مناديهم يقول : (يا سامعين الصوت صلّوا على

---

(١) العرفان ـ م ٣٣ ـ عدد تموز ١٩٤٧ ـ ص ٩٨٨ . (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .

(٢) جريدة السفير ـ ٣١ تموز/ ١٩٩٠ .

النبي : عن أمر أدهم بك ممنوع مقابلته لأي كان ما عدا كامل بك ومحمود بك الفضل ، ومجدداً خرج كامل بك عن صوابه واتجه نحو أدهم يتملكه الغضب ، ولا أحد يعلم ما الذي سيحصل لولا أن تقدم أدهم مسرعاً باتجاه « البك » أعزل من السلاح ومسلماً عليه ومعتذراً ومبرراً عمله باضطراره لذلك ، لأسباب أمنية وخوفاً من اغتياله من أحد المندسين داخل الجماهير المحتشدة »[1] .

الدور العلمائي في المؤتمر :

لقد ذكرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب . أن سلطة العلماء في جبل عامل لا تعلو فوقها سلطة ، وكلماتهم قول فصل ، وقد درجت العادة في جبل عامل على إجلال العلماء واحترامهم ومازالت هذه العادة حتى أيامنا هذه . وفي مؤتمر وادي الحجير وصف الأديب المرحوم محمد علي الحوماني قدوم السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله : « لقد شهدته بنفسي ، ورأيت كل عالم وزعيم ورده ، دون أن يحس الحضور بوروده لكثرة ما ازدحم فيه من الخلق ، حتى إذا أوشكت ركابك أن تحلّ به ، حسبنا أن الأرض قد تزلزلت والسماء أطبقت علينا ، ولما تكشّف هذا الرهج المعقود فوق الوادي برزت من تحته كالبدر ينشق عنه الغمام ليلة تمّه ، وإذا بالقسطل المعقود فوقك تثيره سنابك الخيل المحدقة بك ، وإذا بالرعود القاصفة تبعثها البنادق والحراب المشرعة حولك ، لم يبق في الوادي فرد لم يهرع إلى استقبالك ويتشوق إلى ركبك ولما جلست في خيمة العلماء حفّوا بك وتهافت الحفل المحشود عليك ، كلهم يحدق بك ويستمع إليك وأنت مندفع تخطب كالسيل ، تبعث في نفوسهم الحمية وتحرضهم على الجهاد في سبيل الحق »[2] .

---

(١) نفس المصدر ـ ٣١ تموز / ١٩٩٠ .

(٢) مجلة العروبة ـ العدد ٢٠/ ٢٢ كانون أول/ ١٩٣٤ .

هذه الحرارة في الإنفعال والحماس والتقدير للزعامة الدينية المتمثلة بشخصية السيد عبد الحسين شرف الدين تعطينا صورة واضحة عن دور العلماء الفعال في إدارة الثورة والمقاومة الإسلامية ضد الانتداب الفرنسي .

خطبة السيد عبد الحسين شرف الدين في مؤتمر وادي الحجير :

كانت خطبته بمثابة بيان سياسي تاريخي صيغت على أساسه الوثيقة التي حملت إلى الملك فيصل في سَوريا حيث قال : « الله أحمد في السراء والضراء ، استتماماً لنعمته . والحمد فضله وإيّاه أشكر في الشدّة والرخاء ، استسلاماً لعزته والشكر طوله . أحمدُه وأشكره كما هو أهله . وأسأله تسهيل ما يصعب حمله ، وتعليم ما لا يطاق جهله . وأستعين به على القيام بما يحسن في الدنيا ذكره ، ويخلد في الآخرة أجره .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً خير نبي أرسله وعلى العالمين اصطفاه وفضّله صلّى الله عليه وآله الذين حملوا عنه ما عن الله حمله . وعقلوا ما عنه عقله . ولذا قرنهم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولي الألباب . بهم نقتدي وإن عزّت القدوة . وطريقهم نسلك وإن تكأدت العقبات صلوات الله عليهم ما هفت قلوبنا إليهم ، أئمة هدى ومصابيح دجى ، ينيرون بصائرنا كلما ارجحنّت الخطوب ، ويفتحون أبصارنا كلما ادلهمت الدروب . ﴿ **كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة ، كأنها كوكبٌ دريٌّ ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء** .. ﴾ .

إخواني أعلام الأمة : إننا اليوم في هذا المفترق الخطير ، أشدّ حاجة من أي وقت إلى الاعتصام بحبلهم ، والسير على نهجهم . فإما عزة لا تفصم أو ذلة لا ترحم . إما حياة حرّة . أو هوان تهدر في حمأته إنسانية الإنسان . إما استقلال دون وصاية ، أو استعباد نكون معه كالأيتام على مأدبة اللئام .

أيها الفرسان المناجيد : إن لهذا المؤتمر ما بعده . وسيطبق نبؤه الآفاق السورية ويتجاوب صداه في الأقطار العربية . ويتجاوزها إلى عصبة الأمم . وقد امتدت به إليكم الأعناق ، وشخصت الأبصار ، فانظروا ما أنتم اليوم فاعلون .

ألا إن جبل عامل بعد هذا المؤتمر بين أمرين : عزّ لا تنفصم عروته ، ولا تقرع مرّته ، أو ذلّ تهاوت معه كواكب السعد ، وتقوض به سرادق المجد . فإن نبذتم الأهواء الشخصية وآثرتم شرف القضية ، فلتكونن في حرز لا يفصم ، وتكون بلادكم في حمى لا يقحم . أما إذا غلبكم الهوى فلتكونن مزقة الشارب ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان . أمام قوة العدو ، وشدة الفتنة ، وتظاهر الزمان .

يا فتيان الحمية المغاوير : الدين النصيحة . ألا أدلكم على أمر إن فعلتموه انتصرتم ؛ فوتوا على الدخيل الغاصب برباطة الجأش فرصته ، وأخمدوا بالصبر الجميل فتنته . فإنه والله ما استعدى فريقاً على فريق إلاّ ليثير الفتنة الطائفية ، ويشعل الحرب الأهلية ؛ حتى إذا صدق زعمه ، وتحقق حلمه ، استقرّ في البلاد تعلّه حماية الأقليات ألا وإن النصارى إخوانكم في الله وفي الوطن وفي المصير . فأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم وحافظوا على أرواحهم وأموالهم ، كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم ، وبذلك تحبطون المؤامرة ، وتخمدون الفتنة وتطبقون تعاليم دينكم ، وسنّة نبيّكم . بهذا السلوك يا أبنائي الأعزاء ـ دون غيره تردون كيد الفرنسيين إلى نحورهم ، وتعيدون جحافلهم إلى جحورهم ، وتنعمون بالحرية لا يتطاول بعدها إليكم متطاول .

إخواني وأبنائي : إن هذا المؤتمر يرفض الحماية والوصاية ، ويأبى إلاّ الاستقلال التام الناجز المعتمر تاج (فيصل) العرب عاهلاً مؤثلاً ، وقائداً محجلاً . يقيم حكومة شرعية ، تجعل من الوطن جبهة منيعة ،

ينحدر عنها السيل ، ولا يرقى إليها الطير . . . فاركبوا كل صعب وذلول صادقي العزائم ، متساهمي الوفاء . وما التوفيق إلاّ بالله . يؤتي النصر من يشاء . . عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير »[١] .

تذاكر المؤتمر بأمن البلاد :

ثم تذاكر المؤتمر بأمر الأمن في البلاد فتقرر بالإجماع العناية التامة بحفظ الأمن في سائر أنحاء هذا الجبل لجميع أبنائه من مسلمين ومسيحيين ، « واستدعي الشيخ صادق الحمزة فدخل السرادق حيث انعقدت جلسة المؤتمر يحف به رجاله شاهري بنادقهم حوله ، فجلس أمام العلماء والقرآن بين أيديهم ، فأخذوا عليه وعلى رجاله الأيْمان المغلّظة أن لا يتعرض لأحد من المواطنين : أبناء جبل عامل مسلمين كانوا أم مسيحيين ، بسوء أو أذيّة ، فأقسم بذلك واستثنى من كان منهم (إلباً) للفرنسيين ، أي عوناً على الوطن ، واستقلاله ، مجاهراً بذلك مع الغاصبين المحتلين : مسلماً كان أو مسيحياً أو من أي مذهب كان ، لأن جهادنا سياسي لا ديني »[٢] . ثم تلا ذلك كتابة القرار ووقّعه المؤتمرون بالإجماع وملخصه : « أن المؤتمرين قرروا بالإجماع انضمامهم للوحدة السورية ، والمناداة بجلالة الملك فيصل ملكاً على سوريا ، ورفض الدخول تحت حماية أو انتداب الفرنسيين »[٣] . ثم رافق ذلك أن انفض المجتمع على بينة مما اتخذ من قرارات ، وتأهّب الوفد المنتدب للسفر إلى دمشق .

---

(١) من خطب السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة بخط ولده السيد جعفر ـ ص ٩ ـ ١٠ ـ ١١ .

(٢) العرفان م ٣٣ ـ ص ٩٩٠ ـ (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .

(٣) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٦ .

ماذا بعد المؤتمر ؟ :

روى أحد المجاهدين من فرقة صادق الحمزة ، اسمه علي فرحات من بلدة عيثرون الرواية التالية : « بعد المؤتمر ذهبنا نحن ، وعقدنا اجتماعاً برئاسة صادق وإلى جانبه أدهم خنجر ، وكنّا حوالي الماية وخمسين رجلاً نحمل أسلحتنا الكاملة ، فقال لنا صادق : « إن الوفد ذهب إلى دمشق للوقوف على رأي الملك فيصل في إعلان الثورة الشاملة وطرد الفرنسيين من جبل عامل » . وطلب منّا أن نكثّف هجماتنا على كل من يشك بأمره بأنه يتعامل مع الفرنسيين .

ما كاد مؤتمر وادي الحجير ينهي أعماله حتى سرت شائعات مفادها ، أن هذا الاجتماع عقد خصيصاً للتنكيل بالمسيحيين في جبل عامل ، وبدأ المسيحيون يطالبون الحكومة الفرنسية بالتدخل من أجل حمايتهم . أما نشاطنا فقد تركّز على مواقع الحكومة الفرنسية والأشخاص الذين ساندوها ، وانتشرت « عيوننا » في كل مكان ترصد تحركات الفرنسيين والعملاء الذين كثر نشاطهم وراحوا يحثّون الناس على الإلتحاق بفرق المتطوعين »[1] .

وفد العلماء في دمشق :

غادر الوفد المنتدب في مؤتمر وادي الحجير ، والمؤلف من السادة : السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد عبد الحسين نور الدين وانضم إليهما في دمشق السيد محسن الأمين . وقد سافرا يحملان آمال البلاد وأمانيها . « ولكن بعض الموظفين الذين التفوا حول الحاكم الفرنسي من بيت العازوري وبيت نور وغيرهم من شذاذ الآفاق ، لم يرق لهم ذلك الاجتماع ، ورأوا فيه خسراناً لمراكزهم وسدّاً لباب منافعهم ، وأشاعوا أن

---

(1) جريدة السفير ـ تاريخ ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ .

. ذلك المؤتمر عقد للتنكيل بالمسيحيين »[1] .

وصل الوفد إلى دمشق ، واجتمع بالملك فيصل ، وعرض وثيقة مؤتمر وادي الحجير ، وما أجمعت عليه البلاد العاملية . وفي ذلك يقول السيد شرف الدين : « اجتمعنا في دمشق بجلالة الملك فيصل ، وقد استقبل وفادتنا إليه . . . وراح يصغي لمطالبنا إصغاء من به حاجة إلى الإصغاء . . . وكان معي العلاّمتان السيد محسن (الأمين) والسيد عبد الحسين (نور الدين) . وكان موضوع هذه الجلسات النظر في مصير جبل عامل خاصة . وفي القضية السورية عامة »[2] .

كلمة رئيس الوفد السيد شرف الدين في حشد من رجالات الثورة :

وبعد أن ذكر السيد ، الله سبحانه وحمده وأثنى عليه وصلّى على رسوله محمد (ص) وعلى آله (ع) . وبعد الابتهال إلى الله أن يحقق سؤله ، ويتوج أمره في دولة كريمة يجعله فيها من الدعاة إلى طاعته ، وبعد أن قدّم التحية باسم جبل عامل وتمثل بأبيات من الشعر فيها مديح للرسول وأهل بيته (ع) ، وبعد أن بايع الملك فيصل باسم جبل عامل كما اتُّفق في وادي الحجير ، أردف يقول : « والهدف يقوم على دعامتين اثنتين : تطهير أرضنا الطيبة من رجس الاحتلال ، وجمع شتاتها تحت لواء ؛ وحدة وحرية واستقلال .

ولن تقوم لسورية دولة ، ولن تكون أرضها واحدة . مادام الفرنجة يكبّلون جناحيْ برِّ الشام ، بساحله وفلسطينه .

وقد أجمع الرأي العام عندنا ، على المناداة بذلك ، والجهاد في سبيل تحقيقه وواجه به لجنة الاستفتاء الأميركية . ولا عبرة بمن شذّ عن ذلك . من

---

(١) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٦ .
(٢) بغية الراغبين ـ مصدر سابق مخطوط ـ ص ٦٦ .

كل مستأجر شرك الشيطان في جنانه . ونطق على لسانه . وقد كانت مقررات مؤتمر وادي الحجير الحدّ الفاصل بين الحق والباطل . إذ طبق جهير صوته الأرجاء وانعكس صداه في جميع الأنحاء ، يردد نداء سواده الأعظم وعلمائه وزعمائه بالجهاد والاستشهاد في سبيل ذلك .

. . . وجيل هذه الأمة اليوم يقف على المفترق ، يتربص اهتبال الفرصة ، بعد أن صبر على الكظّة ، يساط بالحرمان ، ويتمرغ بالهوان . عرضة للنابلين . ولقمة للآكلين ، وفريسة للطامعين ، شمله شتيت وعضده فتيت .

وقد أذّنت به فاستيقظ على النفير . وتوثب للجهاد في سبيل التغيير . وجبل عامل منه يهتف معه :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم فلا مشت بي في طرق العلا قدم

لا بد أن أتداوى بالقنا فلقد صبرت حتى فؤادي كلّه ألم

عندي من العزم سرٌّ لا أبوح به حتى تبوحَ به الهندية الخذم

لا صبر أو تضع الهيجاء ما حملت بطلقة معها ماء المخاض دم

على ذلك نتوجه إليك على بعث الأمة على الجهاد في سبيل حريتها واستقلالها . . . فاحمل حمل أبيك قائداً ملهماً وفارساً معلماً . حتى إذا جاء نصر الله والفتح بانتزاع سوريا من المنتدبين الغاصبين جمعتها في كيان واحد »[1] وقد أورد السيد شرف الدين في مذكراته المخطوطة أثر هذه اللقاءات والندوات في دمشق مع رجال العلم والأدب والسياسة ، وما رافقها من احترام واهتمام وتبجيل : « وإن دمشق يومئذٍ عقدت لنا حفلات جامعة أهلت فيها المنابر بالخطباء والشعراء من أعلام الفكر والبيان ، وأتيح في

---

(١) مخطوطة من خطب السيد عبد الحسين شرف الدين بخط ولده السيد جعفر (ص ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) .

زيارتنا لدمشق موسم من مواسم الأدب والسياسة المذكورة في تاريخ هذا العهد »[1] .

شرارة الثورة :

أثناء غياب الوفد المنتدب في وادي الحجير ، شرع المتضررون يحرّضون أهل القرى المسيحية في جنوبي جبل عامل لمناواة الشيعة وهم يعلمون أن المسيحيين في تلك الجهة أقلية ضئيلة جداً عاشت بسلام مع الشيعة قروناً عديدة متآخية متصافية وعلى أتمّ وفاق .

وقد شاءت الدسائس أن لا تبقي على هذا الوفاق ، وتلقي بأولئك الآمنين في أتون النار طعاماً للثورة ، وتحقيقاً لأمنيتهم ، ووسيلة لرسوخ قدم الأجانب بحجة حماية المسيحيين والأقليّات شأنهم في كل بلاد يريدون استعمارها وسلبها استقلالها « فسلحوا أولئك المسيحيين بالبنادق ، وأغروهم بالتحرش بجيرانهم ومواطنيهم ، واستفزازهم للفتك بهم . . . فأذكوا نار التعصب ، وأخذوا بالاعتداء على أبناء السبيل والفقراء من الشيعيين »[2] .

وقد أشار السيد شرف الدين في بغية الراغبين (المخطوط) إلى هذه الدسائس : « . . . فذر الإفرنسيون على الجرح ملحاً بأن سلّحوا أهل عين إبل . . . وقد اغترّ هؤلاء بحصانة موقعهم ، وبقوة أسلحتهم فابتدروا من مكانهم منسلطين بالعداوة والمجاهرة بالاعتداء . وكانت هذه حركة استفزازية ، قابلها الفتيان العامليون بالاستياء والحفيظة »[3] .

---

(١) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦ .
(٢) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٧ .
(٣) بغية الراغبين ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦ .

تطور الأحداث :

تطورت الأحداث بسرعة متلاحقة والحكومة الفرنسية لم تحرّك ساكناً واكتفت بحفظ مركزها في المدن الأربع : صيدا وصور والنبطية ومرجعيون . فاضطربت البلاد العاملية ، وكبلت يد فرنسا « فقد كانت الحكومة المسيطرة مغلولة اليد لا يمتد سلطانها متراً واحداً وراء المدن الساحلية والبلاد مضطربة ثائرة لا تقرّ معاملة ولا ترجع إلى الدوائر الرسمية في أمر من أمورها »[1] .

وفي الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٠ م أقرّ مجلس الحلفاء الأعلى المجتمع في سان ـ ريمو في إيطاليا الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب الإنكليزي على فلسطين والعراق والأردن . فصعق المسلمون لهذا النبأ . « وكانت قرارات هذا المؤتمر قد أعطت الضوء الأخضر للجنرال غورو أن يتابع تصفيته للثورة على الاحتلال تحت ستار دولي ومباركة إنكليزية . وفي ذات الوقت أرسلت الحكومة الفرنسية إلى غورو فرقاً عسكرية سنغالية لاستعجال حسم مسألة الثورة »[2] .

---

(١) نفس المصدر السابق ـ ص ٦٦ .
(٢) Lyanty pierre Gouraud- Paris 1949 p 200- 201.

رجال الثورة

كانت الوقفة العلمائية المشرّفة ، دليلاً ساطعاً على حضور الجهاد العاملي بطابعه الإسلامي العميق الجذور ، وكان للسيد عبد الحسين شرف الدين دور بارزٌ في التصدّي ، مع ثلة من العلماء والمؤمنين والشبان ، حيث وقفوا في وجه المدّ الاستعماري المتمثل بفرنسا وأعوانها . . أمام المدّ الحسيني ذي الجذور التاريخية العميقة الممتدة في أصولها حتى كربلاء . استجابت هذه الطلائع المؤمنة في جبل عامل ، وحملت السلاح بما تيسر للدفاع عن حياض الجبل الأشم ، حماية للدين ، وصوناً للكرامات والأعراض والحرمات ، مستلهمين بذلك ماضي الأجداد المشرّف في مواقع البحرة وكفررمان وسهل الغازية ويارون وصور وأنصار وعيناثا وغيرها من ساحات الشرف والعز ، سائرين على خطاهم ، لأنهم ما استكانوا يوماً لفاتح ، ولا استسلموا لغاصب ولا لمعتدي . وكانت حياتهم رخيصة دون كراماتهم وحريتهم ، لا يأبهون بالنوائب إن وقعت ، ولا بالنزال ولو كان كثير العدّة والعدد . وخرج من كل قرية زينة شبابها وأشجعهم ، وأقواهم وأكثرهم إيماناً ، وراحوا يرابطون في شِعَب الأودية وعلى مفارق الطرقات ،

يرهقون العدوّ ضرباً وتنكيلاً ، رافضين تسلطه واستبداده وما يسمّى استعماره .

تزامن انفجار الثورة في جبل عامل سنة ١٩٢٠ م ضد الفرنسيين مع انفجار الثورة في العراق في نفس العام ضد الإنكليز . وما أن اندلعت المعارك في جبل عامل بين الثوار والفرنسيين حتى أصدر المراجع الكبار في النجف الأشرف بضرورة التصدي للاستعمار الإنكليزي في العراق .

استعرت الثورة في جبل عامل ، ضد الفرنسيين وذلك بعد أن أجمع رأي المراجع الكبار بوجوب الدفاع والجهاد ضد الكافرين ، فانبرى صادق الحمزة يقود الشباب المجاهد في منطقة صور وأدهم خنجر في منطقة النبطية ومحمود أحمد بزي في منطقة بنت جبيل ـ جنوبي البلاد ـ وكان صادق الحمزة ألمعهم وعلى تفاهم تام مع أدهم خنجر .

بدء ظهور الفرق المسلحة :

ما أن انهزمت القوّات العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى ، حتى ظهرت الفرق المسلحة في جبل عامل ، وكان بعضها من الفارين من الخدمة العسكرية العثمانية . وبعضهم شكّل عصابات للسلب والنهب وبعضهم زودته فرنسا بالمال والسلاح ليكون قاعدة لها يعينها بالسيطرة على هذه البلاد . وبعضهم تفهم الواقع المرير الذي ستؤول إليه المنطقة ، فحملوا السلاح إيماناً منهم بوجوب الجهاد ضد المحتلين الغاصبين . وأهم هذه الفرق :

أ ـ الفرق الإسلامية :

١ ـ فرقة صادق الحمزة : إنه صادق حمزة الفاعور ، من قرية دبعال قضاء صور ، كان والده شيخاً للقرية يعلم الصغار حفظ القرآن الكريم ، وكان صادق رشيقاً ، سريع الحركة ، وقد اشتهر بمهارته باستعمال السلاح ،

وبدقة إصابته للهدف . هرب من التجنيد في الجيش التركي ، واتخذ المغاور الواقعة بين جويا وعيثيث ووادي جيلو مقراً له ولرجاله . ولما تكشفت نوايا فرنسا شهر سلاحه في وجه جيشها المحتل[١] .

٢ ـ فرقة أدهم خنجر : تزعم أدهم خنجر الحركة المسلّحة في جبل عامل في منطقة بلاد الشقيف وفي منطقة المروانية . وقد اتخذ من قلعة الشقيف مركزاً لقيادته وذلك قبل أن يتحالف مع صادق الحمزة وقد أثخن أدهم الفرنسيين جراحاً كثيرة وجرّعهم سمّاً زُعافاً . ودارُ جده قائمة في قرية زفتا .

٣ ـ فرقة محمود أحمد بزي : كانت فرقته المسلحة تعمل في بنت جبيل وقد تعاون مع صادق وأدهم ، ومحمود هذا هو الذي جمع رجاله على بركة كونين ، وشنوا هجومهم على قرية عين إبل .

ب ـ الفرق المسيحية :

١ـ فرقة إبراهيم فرنسيس من القليعة : وهي فرقة مسيحية أنشأها الفرنسيون وسلحوها وأمدّوها بالمال والسلاح ، وقد تزعمها إبراهيم فرنسيس ، وقد أثنى الجنرال غورو على هذه الفرقة ، عندما صدت هجوماً على القليعة مفاده « أن الجنرال غورو القومسيار العالي للجمهورية الفرنسية في سوريا وكيليكيا والقائد العام لجيش الشرق يبلّغ تهانيه لأهالي القليعة على ما أبدوه من شجاعة وزعيمهم إبراهيم فرنسيس »[٢] .

٢ ـ فرقة عيد الحوراني : ألّفها حاكم صيدا العسكري المسيو شاربنتييه ،

---

(١) رواية الحاج محمد كمال من دبعال قرية صادق سنة١٩٨٦ وهو رجل طاعن بالسن .
(٢) الراسي ـ سلام ـ المؤلفات الكاملة ـ ص ١٦٠ (مؤسسة نوفل ـ بيروت طبعة سنة ١٩٧٧) .

وعيد الحوراني مسيحي من قرية الكفور »[1] . وكانت مهمتها قطع الطرقات في ضواحي النبطية ومرجعيون وسلب المارة والجعجعة بهم .

٣ ـ فرقة رشيد عطية : كثر تصدي أشقياء المسيحيين على الطريق الموصل من صيدا إلى النبطية ، والتعدي الخاص على المسلمين . فاتخذ رشيد عطية وهو رأس عصابة . منطقة تعدّيه من جسر الزاهراني إلى خان محمد علي قرب زفتا وتولّت عصابة القليعة ودير ميماس قطع الطريق على جسر الخردلي بين النبطية ومرجعيون »[2] . يضاف إلى هذه الفرق ، فرق من البدو ، من عرب الحويطات ، وفرقة من عرب الهيب وغيرها الكثير من الفرق التي كانت ذات أهداف ومبادىء وأخرى هدفها السلب والنهب .

---

(١) مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ ـ العرفان م ٣٣ ـ ج ٨ ـ ص ٩٩١ .
(٢) نفس المصدر ـ م ٣٣ ـ ج ٣ ـ ص ١٠٢٩ .

الأعمال العسكرية ضد الغزاة الفرنسيين

عرف جبل عامل انتفاضة ضد الاحتلال الفرنسي ، طبقاً للمفهوم السياسي السائد آنذاك ، ورغم ضعف التنظيم ، وقلة الناصرين ، يمكننا أن نستنتج أن هذه الأعمال كانت موجهة ضد الاستعمار الفرنسي الحاقد .

وقد بات من المؤكد أن بعض الرجال ، من ألذين كان لهم نفوذ معين ، خافوا على مراكزهم أن تهتز ، فمرة يؤيدون هذا الفريق ومرة يقفون ضده ، وما أن تمكنت فرنسا من إرساء قواعد سياستها وسيطرتها حتى ارتمى هؤلاء في أحضانها متنكرين لبني قومهم ، ودينهم ، وبعض ذهب إلى أبعد من ذلك ، فراح يكيد ويشي برجال الثورة ، ويشهد ضدهم لدى دوائر الأمن الفرنسية .

« أما المجاهدون فقد قاتلوا بما تيسر لهم ، كما حصل بالضبط بعد ٦٣ عاماً . لم يثنهم عن واجب الجهاد وتفوق الخصم تكنولوجياً وتنظيماً وتدريباً . هاجموا المعتدي وأدبوا أنصاره وأعوانه . بعضهم قضى وبعضهم ينتظر ، لم يكتبوا مذكرات ولم يضج الخافقين « بإنجازاتهم » ولم

يطلبوا جزاء ولا شكوراً ، فما على الواجب أجر إلاّ من صاحب الأجر »[1] .

لقد رفضوا التعاون مع العدو والتبعية له ، خاصة صادق الحمزة لأنه كان يرى فيهم أعداء له ، إذ كان يومها مرتبطاً مع الملك فيصل في الشام . وكان يتلقى منه المساعدات العسكرية . وكان الالتزام بالمواقف لدى صادق الحمزة من أهم الصفات التي كان يتحلى بها .

روايات عن الثورة :

علي فرحات ، من مواليد عيثرون العام ١٨٩٠ م وأحد المشاركين في حركة صادق الحمزة ، وعبر حوار على صفحات جريدة السفير قال : « عندما انهزم الأتراك ، وصل الفرنسيون بدلاً منهم ، أقامت بعض القرى المسيحية الاحتفالات ، ودقّت أجراس الكنائس مرحبة « بالأم الحنون » ، الأمر الذي أثار حفيظة القرى الإسلامية المجاورة ، فتنادى بعض شبانها وعلى رأسهم صادق الحمزة . وتجمعوا في منطقة قرب قرية باريش من قضاء صور ، وأخذوا يتداولون في كيفية وضع هؤلاء الذين يؤيدون فرنسا عند حدّهم . واتفقوا على تأليف مجموعة من الشبّان ، تهاجم القرى التي احتفلت بقدوم الفرنسيين »[2] .

معركة دردغيا :

« دردغيا كانت أول قرية هوجمت وسبب ذلك أن مختارها خليل إبراهيم الذي يملك ثلاثة أرباع القرية استقوى بالفرنسيين وحاول الاستيلاء على الربع الباقي الذي يملكه محمد مطر الشيعي الوحيد في القرية . وكذلك جمع حوله مجموعة من الشباب المسلّح من قبل الفرنسيين لحماية مصالحه وأرزاقه ، وعندما قام صادق بمهاجمة المزرعة تصدّى له أزلام خليل إبراهيم

---

(١) السفير ١٩٩٠/٧/٣١ .

(٢) السفير ١٩٩٠/٧/٣١ .

وقتلوا ثلاثة من المهاجمين كانوا من (العرب البدو) . إلّا أن صادق عاد لمهاجمة المزرعة وبرفقته بعض أقارب الذين قتلوا طالبين الثأر ، وأحرقت المزرعة بكاملها وكذلك منزل خليل إبراهيم الذي هرب خلال المعركة ، لكن رجال صادق قبضوا عليه ومن ثم تدخل بعض وجهاء المنطقة للعفو عنه فاكتفى صادق بإطلاق النار على قدميه وتركه وشأنه »[1] .

لمن تقرع الأجراس ؟ :

ويتابع المجاهد المسنّ (علي فرحات) فيقول : . . . وبعد دردغيا هاجمنا مزرعة أخرى (علمان) وهي تخص إبراهيم الأصفر الذي كان صديقاً حميماً لخليل إبراهيم ويملك أيضاً مزرعة أخرى تدعى (القصَيْر) هاجمناها أيضاً وأحرقنا محاصيلها وأخذنا الأبقار معنا . كذلك هاجمنا قرية الطويري فقد كان لزعيمها جورج المشيحبر علاقات وثيقة مع الفرنسيين وقد واجهتنا مقاومة عنيفة فاقتحمنا المنازل وقتلنا اثنين من المسلحين في حين فرّ الباقون ، وقد غنمنا منها خمس بواريد وحوالي خمسة عشر رأس غنم وبقر . وهاجمنا أيضاً قرية النفاخية وهي تخصُّ سليم وطفة الذي أعلم الفرنسيين عند هجومنا على دردغيا ، وأحرقنا بعض منازلها . وجاءتنا معلومات من « العيون » ـ يعني مرجعيون ـ تقول بأن ابن فرنسيس في القليعة قد أنشأ حزباً لمناصرة الفرنسيين وجنّد لذلك عدداً من المسلحين من شباب القرى المسيحية المجاورة كالخربة ودير ميماس وغيرها ، فهاجمنا قرية دير ميماس وتصدى لنا شبانها ، ثم سيطرنا على القرية وأحرقنا المنازل التي أطلقت منها النار وصادرنا عشر بواريد .

لم نهاجم القرى المسيحية لأنها مسيحية ، فهناك قرى عديدة لم نهاجمها ، تركزت عملياتنا على القرى التي دقت كنائسها الأجراس وأقامت

---

(١) نفس المصدر ١٩٩٠/٧/٣١ .

الاحتفالات ووزعت الحلوى بقدوم الفرنسيين ، أي لأنها كانت ضدنا بالسياسة ، وكانت مهاجمتها ضرورية لمنع تفشي هذه الظاهرة »[1] .

معركة جسر القعقعية :

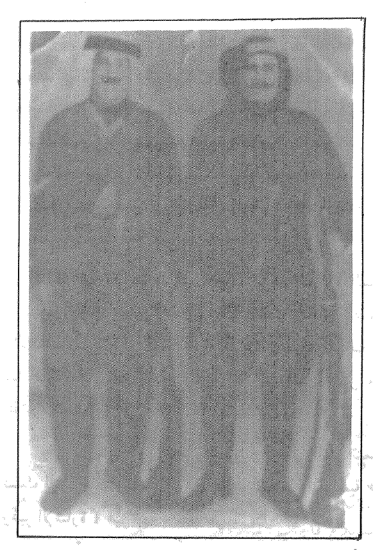
بينما كان صادق الحمزة ورفاقه يغسلون ثيابهم ويغتسلون في مياه الليطاني عند جسر القعقعية ، وإذا بامرأة تقبل مسرعة نحو الجسر لاهثة منادية بصوت عال ، « أسرع يا نسر جاءك العقاب » ـ حسبما روى بعض المسنين ممن كانوا مع صادق ـ ثم كررت القول ، وقيل إنها كانت ترعى بقراً لها ، ثم جاءت صادق وأعلمته بأن الفرنسيين جادين في طلبه ، وهم يعلمون مكان وجوده قرب النهر ، وأنها تشاهدهم بأم العين ، وأن عملية تطويق المكان قد بدأت فعلاً . تحرك صادق بسرعة وهو المقدام الشجاع ، وصاح برفاقه وكان جهوري الصوت ، أن يستعدوا ويختبئوا خلف الصخور ، طالباً منهم أن يحذروا طوق الفرنسيين حولهم . . فداخل الخوف في نفوس البعض ، وهموا بالهرب ، لأنهم أيقنوا أن الحملة الفرنسية كبيرة وكثيرة العدة والعدد ، وأنها تمتلك من فنون الحرب ما لا عهد لهم به من قبل .

أدرك صادق أهمية هذا الوهن ، وصرخ بالمتقاعسين بأعلى صوته . . « إن حاول أحدكم الهرب من الفرنسيين فإنه لم ينجُ مني وكان رفاقه يعلمون أنه رامياً بارعاً وصادقاً فيما يقول ، إن أقسم على أمرٍ أو قال فعل لذلك امتثلوا لأوامره ، وزايلهم الخوف من الحملة الفرنسية ، لكنهم خافوا إن هربوا ، أن يصيبهم من صادق ما هو أدهى وأمرّ .

اتخذ المجاهدون مواقعهم خلف الصخور ، وأخذوا يراقبون وصول القوة الفرنسية وفجأة ، لمح صادق مجموعة من الجنود تطلّ من خلف تلة ،

---

(١) جريدة السفير ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ .



صادق الحمزة
وأدهم خنجر.

باحثة عنه وعن إخوانه المجاهدين ، فما كان من صادق إلّا أن سدّد بندقيته نحو المتقدم منهم فأرداه قتيلاً . وانفرط الموقف ولم يعد يسمع إلّا أزيز الرصاص ، من كل ناحية وصوب تردده جنبات الأودية .

كان لمصرع الجندي الفرنسي ، وقع عظيم في نفوس رفاقه ، فأصيبوا بالإرتباك والانهيار ، فتولاهم الرعب ، وولّوا الأدبار تاركين خلفهم عتاداً حربياً كبيراً وعدداً من القتلى والجرحى ، وتمكن صادق وأخوانه المجاهدون من الانتصار على هذه الحملة ، والحصول منها على عدد كبير

من الأسلحة المختلفة التي تركها الجنود فوق التلال »[1] .

وقد أوردت جريدة البشير التبشيرية التابعة للجامعة اليسوعية في بيروت آنذاك نبأ هذه المعركة على الشكل التالي : « . . . ومما يذكر أن هذه العصابات كانت مسلحة بالبنادق الحربية والرشاشات وقد ألحقت بالفرقة (يعني الفرنسية) خسائر فادحة ، وضربتها ضربات موجعة . . . وبوسعنا أن نقول : إن الفرقة الفرنسية أصيبت بخسائر لم تتجاوز الخمسين بين قتيل وجريح ، وأنها اضطرت إلى ترك ثلاث مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني »[2] .

اعتراف جريدة البشير هذا ، يؤكّد ضراوة المعركة ، ومما يجدر الإشارة إليه أن جريدة البشير هذه كانت الناطق الصحافي الرسمي باسم الانتداب الفرنسي . كما أنها اضطرّت أيضاً للإعتراف بالخسائر التي منيت بها الفرقة المهاجمة أمام ضغط الثائرين المجاهدين ، وفي ذلك توضيح للقدرة العسكرية التي كان يتمتع بها صادق وجماعته .

بقي أن نشير إلى الحسّ الديني والوطني الذي تتمتع به المرأة العاملية كتلك التي جاءت تخبر صادق بخطر الحملة الفرنسية عن طريق الإشارة ، وغير الإشارة ، غير آبهة بالمخاطر .

معركة المطلّة ومرجعيون :

أورد الشيخ أحمد رضا في يومياته في العرفان : « أن رجلاً من يهود المطلة أفاد أن معركة شديدة قد نشبت بين (البدو) والعسكر الفرنسي وكانت المدافع تطلق بشدة وقد تراجع العسكر الفرنسي إلى المطلة ،

(١) رواية بعض الذين شاركوا صادق في المعركة كالتوليني ورجل من الشهابية من آل رقّة وغيرهم ممن سمعوا أخبار المعركة وتناقلتها الألسن ، وكما أشار إليها الدكتور علي مرتضى الأمين في كتابه صادق حمزة الفاعور .

(٢) جريدة البشير عدد ١٣ كانون الثاني ـ سنة ١٩٢٠ .

والعـرب (البـدو) يطـاردونهـم حتـى تحصـن بـالمطلـة فحـاصـرهـم العرب (البدو) فيها وفي ٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ ورد في الساعة الرابعة بعد ظهر سيارتان عسكريتان تحملان الجرحى من العسكر الفرنسي ، وقيل إن فيها قائد الحملة ، وفي الساعة التاسعة جاءت سيارتان أخريان . ثم خمسة عشر بغلاً وكلها تنقل الجرحى من العسكر . وتابع الشيخ أحمد رضا يصف حوادث الثلث الأول من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م ، قائلاً : « وقد سُجن الحاج نجيب بكّار من مسلمي جديدة مرجعيون في صيدا وسبب سجنه ، أنه لمّا احتل العسكر الفرنسي قصبة الجديدة ، صعد بعض العسكر منارة المسجد بصورة غير محترمة ، ونصبوا العلم الفرنسي فاحتجّ الحاج نجيب بصفته أكبر وجوه المسلمين في القصبة إلى الحاكم ، ثم لما لم ير منه فائدة رفع احتجاجه إلى الجنرال غورو ، فكان الجواب : « إن هذا العلم هو الشرف لأنّ الشرف يحلّ حيث يحل هذا العلم » . ثم وصف الشيخ رضا أحداث يوم الأربعاء ٧ كانون الثاني ١٩٢٠ م ، حيث قال : « لا تزال ترد النجدة إلى الجيش الفرنسي ، وورد اليوم منها قوة تبلغ أربعماية وعشرين جندياً وستة وثلاثين فا وقد رابطوا على جسر الخر ... وقد حضر إلى مرجعيون رجال من قبل الأمير محمد الفاعور جولان يطلب من الحامية الفرنسية الاستسلام فأجاب القائد الفرنسي ـص .

على أثر ذلك توالت الاستعدادات والمشودات من كلا الطرفين « وبلغت النـ ـة العسكرية الفرنسية حوالي الا ف وقد دخل الثوّار البدو الجديدة بعد الغروب وبعد ثلاث ساعات اتجهو إلى المطلة حيث المعسكر الفرنسي ، وبدأت المعركة بإطلاق المدافع ، ثم تقدم العسكر الفرنسي فأطبق عليه الثائرون من خلفه وأمامه وانتهى بانسحاب العسكر إلى المطلة . وامتدت المعارك إلى جسر الغجر لى جسر السنبرية وأخذوا يطلقون المدافع على قرية الخصّاص فأخلاها أهله وقابلوا النار بالمثل ، ثم أطبق الثائرون على العسكر الفرنسي فانسحبوا بانهزام إلى المطلة واعتصموا

بها . ثم هاجم الثوّار مركز تجمع الفرنسيين في جديدة مرجعيون فتصدى لهم المدافعون . لكن المهاجمين ظلوا يتقدمون غير مبالين بشيء حتى دخلوا البلدة بعد أن قتل عدد كبير من الفريقين . ويوم الجمعة ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م نشبت معركة بين الفرنسيين والثائرين حوالي المطلة خسر فيها الفرنسيون سبعة قتلى وجرح سبعة وعشرون » .

الفرنسيون ينتقمون من كفركلا وجاراتها :

انتقاماً لما جرى للعسكر الفرنسي في المطلة وضواحيها أقدم الفرنسيون على الانتقام من قرية كفركلا وعديسة وهونين حيث قدم العسكر ومعهم جماعة من نصارى دير ميماس والقليعة فنهبوا القرية وأحرقوا بعض البيوت وأن العسكر جمع النساء والأطفال ، فانتخب منهم بعض الفتيات المسلمات ، وفرض عليهم أن يحملن جرار الماء إلى المطلة فأبت الفتيات وذلك لما شعروا بسوء النية ، فأبوا أشد الإباء . فهمّ العسكر بضربهن وإكراههنّ ، فقالت الفتيات : « إن القتل أهون علينا مما تطلبون منّا » . وعلا صراخهن وساعدهن عسكر المغاربة المسلم ولم يطلقوهن إلى وقت العصر ، فأطلقوهن دون أن ينالوا منهن إرباً . أما أهل كفركلا فقد تشتتوا في البراري والقفار ، ومثلهم أهل قريتي عديسة وهونين »[1] .

« وبعد مدة قصيرة في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م ٨ جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ ، هاجم العسكر العربي الإسلامي التابع لسوريا (فيصل) جسر الخردلي وأثخن قتلاً وجراحات في العسكر الفرنسي وقد هجم العسكر الشريفي بقيادة عارف الحسن على جسر الخردلي فقتلوا خمسة جنود واحتلوا قرية دبين »[2] .

---

(١) العرفان م٣٣ ـ ج ٣ ـ ص ٥٥١ (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ) .
(٢) نفس المصدر م٣٣ ـ ج ٣ ـ ص ٢٥٦ .

اقتحام صادق الحمزة ، قرية جويا :

في زحمة هذه الأحداث ، استمر الخلاف بين العائلات ، بناء على ميولهم ، فمنهم من أيّد الفرنسيين ، ومنهم من مال إلى الثوّار ، « وكان لكامل بك الأسعد أنصار في جويا بزعامة المدعو سليم زيدان ، وقد توّج سليم زيدان وجاهته في المنطقة بصلح أجراه بين كامل بك الأسعد والجنرال غورو بعد فرار الأول إلى منطقة الحولة ، وكان هذا الفريق فريقاً فرنسياً بنظر الثائرين . أما الفريق الثاني (الفريق العربي) فقد كان بزعامة وجيه آخر يدعى السيد يوسف طاهر وقد أدّت هذه الانقسامات . . . إلى نتائج مهمة جداً .

فرض صادق غرامة على سليم زيدان قدرها مئة ليرة ذهبية . ذلك لأن هذا الأخير كان يعمل لمصلحة كامل بك الأسعد الذي كان يعمل ويتعاون مع الفرنسيين . قبل سليم زيدان ذلك ولكنه استمهل صادق زمناً ريثما يجمع له المبلغ فرضي صادق ورحل إلى الأردن . وأشيع أن سليم زيدان لن يدفع لصادق ملّيماً واحداً ، ذلك لأنّ صادق أصبح طريداً في الأردن ومن ثم فهو لن يجرؤ على العودة إلى لبنان . ولما وصلت هذه الأنباء إلى صادق ، قدم على جناح السرعة وداهم منزل سليم زيدان يريد الانتقام منه فأسرع السيد يوسف طاهر بصحبة وفد من أنصاره ومنعوا صادق من إلحاق الأذى بسليم زيدان وأغلظوا اليمين أن سليم لم يقل ما نقل إليه . فصدق صادق ما ادعاه أصحابه . لكنه أصرّ على قبض المبلغ فوراً . ويتابع المحدثون أن يوسف طاهر دفع من جيبه مبلغ خمسين ليرة ذهباً . وجمع أنصار سليم الباقي ورجع صادق من حيث أتى »[1] .

---

(١) الأمين ـ د. علي مرتضى ـ صادق حمزة الفاعور ـ ص ١٣١ ـ ١٣٢ (مقابلة أجراها المؤلف مع عدد من المسنين الذين عاصروا الحادثة في جويا. دار آسيا ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ ـ بيروت) .

ذيول الحادثة ، معركة ضارية :

يؤكّد الشيخ أحمد رضا هذه الحادثة في مذكراته فيقول : « هاجم صادق الحمزة قرية جوية يوم الأربعاء ١٩ شباط سنة ١٩٢٠ م ، لتأديب عملاء فرنسا ، فبلغ الخبر كامل بك الأسعد . فاستنجد بالعسكر الفرنسي ، فقطعوا الطريق على المهاجمين عند عين صبور في أرض الحولة »(١) . وقد استجاب الفرنسيون لطلب كامل بك الأسعد « فخرج حاكم مرجعيون بفرقة من العسكر تقارب الثمنمائة جندي وعسكروا بين المطلة وكفركلا ، وفي الصباح كان العسكر على عين صبور وكان الثائرون قد عسكروا على عين الذهب قبالتهم . وبدأ في الصباح إطلاق النار بين العسكرين . واستعمل الفرنسيون المدافع من عيار(٢/١ ٧) فانكفأ الثوار نحو قرية الخالصة وتحصنوا بالصخور . واشتدت المعركة بين العسكرين ، ولعلعت نار البنادق والمدافع فوقع من العسكر الفرنسي قتلى قدّر بعض أهل الجديدة عددهم بنحو المائتين ولم يعلم عدد قتلى الثوار (والجدير ذكره أن هذه المعركة كانت بقيادة المجاهد صادق الحمزة العاملي) ومما يجدر ذكره أيضاً أن العسكر الفرنسي انكفأ منهزماً تاركاً خلفه قسماً من الذخيرة الحربية في المعركة . فلحق الثوار العسكر الفرنسي حتى أواسط مرج الخيام واستولى على الذخيرة الباقية مع الحملة الفرنسية كلها »(٢) .

مداهمة جويا من جديد :

. . . ونتيجة للانقسامات العائلية القديمة في القرى فقد كان طبيعياً أن تميل كل عائلة إلى فريق ، وأمام حركة الجهل المستشرية آنذاك فقد « وردت إخبارية ـ كما روى المجاهد علي فرحات رفيق صادق في جهاده ـ تفيد أن بعض الأشخاص من جويا عاودوا الاتصال بالفرنسيين وجمعوا حولهم بعض

---

(١) العرفان م٣٣ ـ ج ٥ ـ ص ٤٦٩ ـ (مذكرات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .
(٢) العرفان م ٣٣ ـ ج ٥ ـ ص ٤٧٠ (مذكرات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .

الشبان وأعطوهم السلاح والأموال . فأعطى صادق تعليماته إلى فرقتنا في تلك المنطقة ، فداهمت القرية ، واحتلت المخفر ، ـ الخاص بالمتطوعين الفرنسيين ـ ففرّ الشبان من البلدة تاركين أسلحتهم . وبعد ذلك انسحبنا إلى البازورية بعد أن أحرقنا المخفر واستولينا على الأسلحة ، ونحن في الطريق فاجأتنا مجموعة من الجندرمة بصحبة بعض المتطوعين ، اشتبكنا معهم لمدة ساعة تقريباً سقط خلالها ثلاثة قتلى من بينهم ، وفرّ الباقون فاستولينا على أسلحتهم ، وعندما علمنا أن هذه الدورية جاءت لنجدة أزلامها في جويا عدنا إلى القرية وأحرقنا منازل بعض من كان مع الفرنسيين وعدنا بعدها إلى مراكزنا »[١] .

الهجوم على مدينة صور :

تعاون المسيحيون في صور مع الفرنسيين تعاوناً تاماً ـ جورج الحلاج . الذي حاول اغتيال السيد عبد الحسين شرف الدين ، هو مسيحي من صور ـ ورأوا فيهم منقذاً ومخلّصاً ، ولما أقسم صادق الحمزة اليمين المغلظة مع رفاقه قادة الثورة في مؤتمر وادي الحجير على أن لا يتعرض لأحد من الناس . أقسم اليمين أمام السيد عبد الحسين شرف الدين والعلماء واستثنى من كان (إلباً) للفرنسيين ، أي عوناً . لذلك رأى أن أموالهم وأرزاقهم هي حلٌّ له ماداموا في حلٍّ من بني وطنهم وقومهم .

« تحرك صادق الحمزة مع رفاقه نحو مدينة صور فهاجم مواشي كانت تابعة لجماعة من سكانها المسيحيين فاستولى على أكثر الماشية وساقها أمامه إلى (عين الراموح) قرب قرية باريش . . وعلت الصيحة في المنطقة . . . وتحرك أعيان البلاد وشكلوا وفداً مؤلفاً من : العلامة الشيخ حسين مغنية والحاج اسماعيل الخليل والد كاظم الخليل (الوزير والنائب السابق) والشيخ سليم كمال من دبعال وعدد آخر من وجهاء المنطقة والمدينة وانتقلوا

(١) السفير ـ تاريخ ١٩٩٠/٧/٣١ (تحقيق سويدان ناصر الدين ومحمد شريم) .

إلى عين الراموح . . . حيث صادق ، وبعد عرض الأوضاع ، رضي صادق أن يعيد المواشي إلى أصحابها »[١] .

ونشرت جريدة البشير في ٦ أيار سنة ١٩٢٠ م . هذه الحادثة كما يلي : « حشد صادق العصابات المشتتة في القضاء . . . وهجموا مع طلوع الشمس وساقوا أمامهم ماشية البلدة . . ثم لجأوا إلى الجبال والقرى المجاورة بعد أن قطعوا الأسلاك التلغرافية . وكان يقود هذه الحملة صادق الحمزة نفسه وهم مدججون بالأسلحة والقنابل اليدوية » . ثم نشرت الجريدة نفسها بتاريخ ٧ أيار سنة ١٩٢٠ م ما يلي : « وصل إلى مياه صور يوم الجمعة ثلاث مدرعات أنزلت زهاء مئة جندي . . . وباشروا حالاً بإصلاح أسلاك التلغراف والتليفونات التي كان الأشقياء قطعوها »! .

الهجوم الثاني على مدينة صور :

بعد أن أعيدت المواشي إلى أصحابها سالمة ، تامة ، سرت إشاعة مدسوسة ، تقول : إن الفرنسيين جهزوا حملة لملاحقة الثوّار وعندما وصلت هذه الإشاعة إلى سمع صادق صمم من جديد أن يهاجم المدينة فرابط بفرقته في ضواحيها وعلى الطرقات المؤديّة إليها منتظراً خروج الحملة ليلقنها درساً قاسياً .

وبالفعل ، نفذ صادق وجماعته ما نوى ، وعرف سكان المدينة بأمر الهجوم فاضطرّ سكانها المسيحيون إلى إخلاء منازلهم خوفاً وقضوا ليلهم على متن سفنهم الشراعية في عرض البحر ولم يجرؤ أحد على الاقتراب من الشاطىء أبداً فهذه الطريق وحدها كانت تؤمن لهم الأمان »[٢] .

---

(١) صادق حمزة الفاعور - مصدر سابق - ص ١١١ (بتصرف) (من مقابلة أجراها المؤلف مع عدد من المسنين الذين عاصروا الحادثة) .

(٢) صادق حمزة الفاعور - مصدر سابق - ص ١١٤ - ١١٥ (ببعض التصرف) (من المقابلة أيضاً) .

إلاّ أن المعركة لم تقع ، حيث أشار الشيخ أحمد رضا إلى تلك الحادثة بقوله « إنه بينما كان صادق يرابط قرب صور منتظراً خروج الجيش لقتاله .. ولما لم يخرج إليه أحد ، طلب إليه أحد رجاله أن يدخل هو إلى المدينة (صور) فأبى ذلك معتذراً بأنه جاء لمحاربة القوة الفرنسية . لا ليذعر الأهالي الآمنين . فإذا دخل البلدة ، أدخل الذعر إليهم بدخوله .

ثم أردف الشيخ أحمد رضا قائلاً : « لكنه طوّق صور فقاومه المتطوعة المرابطون فيها ... فقتل منهم ستة رجال ... وكان مع صادق حوالي ستون من رجاله بين فرسان ومشاة فوصل إلى باب المدينة ـ عند العين ـ وهناك « استحكام » عسكري ، فصف رجاله ينتظر خروج العسكر ليناوشه ... فلم يخرج غير فارسين اثنين فأنذرهما صادق بالوقوف فلم يفعلا ، بل صوّب أحدهما بندقيته إليه وسبقه صادق بإطلاق النار فأصابت أحدهما فقتل فخرّ عن ظهر جواده وفرّ رفيقه الثاني ... ثم تجمع المتطوعة مع جماعة من شبان المسيحيين وتحصنوا بالبيوت والمتاريس وشرعوا بإطلاق النار على صادق ورجاله ، فقابلهم هؤلاء بالمثل ودام الحال هكذا نحواً من ساعة ونصف . وكان رجال صادق يقذفون القنابل من فوق المتاريس وتكبد القتلى في صور من العسكر المتطوع بضعة عشر قتيلاً »[1] .

وفي اليوم الثاني ردت القوات الفرنسية على ذلك الحصار بإطلاق نيران مدافعها باتجاه قريتي البازورية والبرج الشمالي القريبتين من صور . ولعلها كانت تقصد من وراء ذلك إعادة الطمأنينة إلى نفوس الصوريين المسيحيين وتبديد خوفهم وإظهار استعدادها للدفاع عنهم فهي تقف إلى جانبهم أبداً ... أدّت هذه القذائف إلى تجمع الثوار من جديد ، ثم أغاروا على القرى المسيحية في المنطقة وفي صور ونشبت بين الطرفين معارك ضارية قتل فيها العديد وأسفرت عن تغلب الثائرين إذ تمكنوا من إحراق

---

(١) العرفان ـ م ٣٣ ـ ص ١١١٤ ـ مذكرات للتاريخ ـ (الشيخ أحمد رضا) .

الكثير من منازل المسيحيين الذين هربوا نحو عكا عن طريق البحر . . وأصبحت بلاد بشارة كلها تحت رحمة الثائرين »[1] .

زمام المبادرة ينتقل إلى الثوار :

على أثر إعلان الملك فيصل ملكاً على سوريا وبعد إجماع العامليين على الانضمام للحكومة العربية السورية . فوّضت الحكومة السورية بعض زعماء الثورة أن يأتوا جبل عامل ليرفعوا الأعلام السورية على مبانيها الرسمية ، وطرد الفرنسيين منها . وقد أشار الشيخ أحمد رضا إلى ذلك فقال : « وأتى صادق الحمزة وهو من قادة الثورة قرية عديسة ورفع عليها العلم السوري ثم فعل ذلك أيضاً بقرية بليدة بعد أن مرّ على الطيبة ومعه مائة وخمسون من رجاله ما بين راكب وراجل ، ثم قصد إحدى قرى المسيحيّين في بلاد بشارة فطلب منها مائة وخمسين بندقية باسم نزع السلاح فلم يجيبوه فأنذرهم وأعطاهم مهلة ٢٤ ساعة »[2] .

« كان لمنشور إعلان الاستقلال السوري وملكية فيصل بن الحسين على سورية وقع عظيم في نفوس الناس وكان الاحتفال في بلاد بشارة شائقاً رائقاً والابتهاج به عاماً وكان المنتدب لإعلان ذلك صادق الحمزة الزعيم الثائر فقد دخل ناحية جبل هونين واستقبله الناس بالبشرى »[3] .

وعلى أثر انعقاد المؤتمر السوري العام الذي نادى بفيصل ملكاً على سوريا ، شعرت فرنسا بأن البساط يسحب من تحت أقدامها ، فبادرت إلى تعبئة الجيوش ، وإحكام السيطرة على البلاد ، ولم تعد القضية سوى مسألة وقت ، لإتمام الاستعدادات اللازمة لكن وطأة الثوار كانت قوية وضرباتهم

(١) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(٢) العرفان م٣٣ ـ ج ٧ ـ ص ٧٣٣ ـ مصدر سابق .
(٣) العرفان م٣٣ ـ ج ٧ ـ ص ٧٣٤ ـ (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ) .

موجعة ، فلجأت فرنسا إلى إرغام ضعاف النفوس على التوقيع على عرائض ترفض مقررات المؤتمر السوري العام . وقد أوضح الشيخ أحمد رضا ذلك بقوله : « ورد إلى مدير ناحية النبطية من السلطة العليا أوامر معها صورة مضابط يجب أن توقع من عامة الأهالي وترفع إلى المفوض الإفرنسي بالتبرؤ من أعمال دمشق في مؤتمرها السوري والاحتجاج على تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على سورية المتحدة وبأن العامليين لا يريدون سوريا بل الإلتحاق بلبنان . فأخبر المدير السلطة بأن ذلك غير ممكن له ، للروح السائدة في البلاد من التعلق بالملك فيصل وبالوحدة السورية والنفور من الالتحاق بلبنان »[1] .

وفي نفس الوقت اكتسح الثائرون البلاد حماساً « وعدلوا عن مهاجمة النبطية واكتفوا بإرسال مذكرة إخطار إلى حاكم مرجعيون : بأن هذه البلاد سورية ، عربية ، إسلامية ، لا فرنسية ، فيجب إخلاءها من الجنود وإلاّ هاجموها »[2] .

على طريق المواجهة :

روى المجاهد الطاعن في السن علي فرحات عن مواجهة عنيفة بين المجاهدين العامليين والعسكر الفرنسي ، عبر التحقيق الذي أجرته جريدة السفير فقال : « علمنا من (عيوننا) أن حملة فرنسية تقصد منطقة مرجعيون لنشر قوّاتها هناك ، فوضعنا خطتنا لجرّ الفرنسيين إلى نقطة معينة على الليطاني نستطيع فيها أن نتحكم بالمعركة . وبالفعل تم ذلك ونفذنا الخطة بإطلاق النار على مقدمة الحملة وساقتها ،فلم يعد بإمكانها التقدم أو الإنسحاب . حاصرناها ودارت معركة عنيفة لمدة ساعتين تقريباً أسفرت عن مصرع عشرات الجنود (حوالي ١٥٠ جندياً تقريباً) وغنمنا أسلحة كثيرة

(١) نفس المصدر السابق ـ ص٧٣٤.
(٢) نفس المصدر ـ ص ٧٣٧ .

ومتنوعة ، فيها مدافع وبنادق وفيما نحن نهاجم الحملة كان أدهم خنجر يشتبك مع النجدات التي قدمت لمساندة الفرقة المحاصرة ويمنعها من التقدم بعد أن صرع الكثير من جنودها وعلى رأسهم ضابط الفرقة »[١] .

الحرب بين كرّ وفرّ :

امتدت المناوشات بين مدٍّ وجزر . مرة هؤلاء يُهزمون ، وأخرى أولئك ينتصرون ، للأعداء من قراع أندادهم ، وأخرى للثوّار من قراع أعدائهم .

وعنفت المعارك في الزاوية الشرقية من جبل عامل بقصد قطع خط إمداد الثائرين من دمشق « وهكذا شنّ الثائرون هجوماً عنيفاً على قريتي الخربة والقليعة في ١١ آذار سنة ١٩٢٠ م ، في الساعة العاشرة نهاراً ودارت المعركة عدة ساعات ، وجاءت فرقة عسكرية تنجد أهل القريتين ودامت النار إلى الساعة الثامنة ليلاً وكانت القتلى بين الفريقين كثيرة وقيل إن خسارة العسكر كانت فوق العشرين قتيلاً ، وذكر أن أرض الخربة كانت ملطّخة بالدم ويذكر أيضاً أن سبب هذا الهجوم من قبل الثوار على الفرنسيين كان لمحاربة العصابات التي ألّفها الفرنسيون »[٢] .

وقد أعقب ذلك كما أورد الشيخ أحمد رضا « سمعنا طلقات مدافع كثيرة قوية من جهات مرجعيون حتى بلغت عدد الطلقات في ساعة واحدة أربعين طلقاً ثم توالت المدافع في فترات حتى زادت على المائة . . . وأشيع أيضاً أن هذه المدافع كانت تنصب على قرية كفركلا »[٣] .

---

(١) السفير ـ ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ .
(٢) العرفان ـ م٣٣ ـ ص٧٣٧ ـ مصدر سابق (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ) .
(٣) نفس المصدر م٣٣ ـ ص٧٣٧ .

معركة وادي جيلو :

تكثفت العمليات واتخذ قرار بمهاجمة كل القرى والأشخاص الذين يؤيدون فرنسا حتى ولو كانوا من المسلمين . وقد علم صادق بأمر رجلين من جويا أحدهما من آل جشي ـ وقد مرّ الحديث عن رجل آخر من آل زيدان ـ شكّل فرقة للتعاطف مع الفرنسيين ثم عاد وسلّح لذلك بعض الشبان ، مخصصين راتباً شهرياً لمن يلتحق بهم فأصدر أمره بقتلهم ، فنفذته فرقة البازورية واستولت على الأسلحة التي كانت بحوزة أزلام الرجلين .

وعلى أثر هذه الحادثة ، تحركت فرقة من الجيش الفرنسي من مقرها في صور باتجاه جويا ولما علم صادق بالأمر أرسل خبراً إلى قائد مجموعة البازورية علي حرب ـ الملقب بالتوليني ـ ليناوش الحملة ريثما يصل هو مع بعض الرجال .

توجه التوليني ومجموعته والتقوا مع الحملة في منطقة وادي جيلو ، فابتدأت المناوشات . فسيطرت فرقةٌ على مجرى الوادي ، وأخذت أعالي الصخور مراكز لها ، وقوي ساعدها عندما وصل صادق وسيطر على القسم الجنوبي من الوادي ، ووزع رجاله على الجهات الأخرى ، فأصبحت الحملة الفرنسية مطوّقة من كل الجهات ، وابتدأت المعركة التي دامت حوالي ثلاث ساعات تقريباً قتلنا خلالها عدداً كبيراً من الجنود الفرنسيين فتراجعت الحملة وعدنا نحن إلى مواقعنا »[1] .

رجل عاملي يتصدى قوة فرنسية :

بينما كان حاكم صور الفرنسي ومعه بعض الضباط الفرنسيين وقائد درك صور ، ذاهبين في نزهة إلى رأس العين ، في ضواحي صور ، راكبين

---

(١) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

الخيول ، رأوا فلاحاً عاملياً سائراً في طريقه إلى قريته وهو يحمل بندقيته الحربية ، فاعترضوه وأبى عليهم التسليم ، ولما أرادوا اعتقاله أطلق عليهم النار ففرّوا من بين يديه وسار هو في طريقه متجهاً إلى قريته شيحين . فيما راح الفرنسيون يستنجدون بقوة عسكرية ، فأسرعت القوة للحاق به والقبض عليه ، فأدركته في بساتين صور ، فتحصن وراء جدار البستان وأطلق عليهم النار ، فقابلوه بالمثل ولكنهم لم يبلغوا منه مأربهم وصمد لهم بنفسه وحده حتى ردّهم عنه بنيرانه المحتدمة المتواصلة التي منعت وصول المهاجمين . وقد استعظم المهاجمون جرأة هذا الشاب وحسبوا أن وراءه قوة تنجده ثم شغلتهم إصابة الحاكم فكفوا عنه ، ومضى الشاب سالماً في طريقه ، فمرّ على جماعة من الفلاحين فسألوه عن اسمه وقريته فلم يخبرهم ، وأنذرهم إذا دنوا منه ، وتابع طريقه إلى قريته آمناً »[1] .

---

(١) العرفان ـ م٣٣ ـ ص ٩٩١ ـ (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات التاريخ) .

حادثة عين إبل

ما قبل الحادثة :

حاولت السلطات الفرنسية أن تفرض نفسها كسلطة شرعية بديلة على البلاد العاملية ، فقامت بإرسال رجالها من قوى الأمن الداخلي لتحصيل الضرائب ، وإثبات شرعيتها كأمر واقع لا مناص منه ، ولا بديل له وقد « خرج عبد الغني الدّح مع اثنين من الجندرمة إلى تبنين لتحصيل أموال الحكومة الفرنسية ، فقابلهم صادق الحمزة وقبض على المال والخيل والدفتر ، فأخذ الخيل لنفسه ، أما المال فقد وزعه على كل من كان جمع منه طبقاً لما هو مذكور في الدفتر ، وتهدد الأهلين بالويل إذا ما عادوا إلى دفع الدراهم للحكومة الفرنسية . وقد برر صادق عمله هذا ، بأنه لا يعترف بشرعية الحكومة الفرنسية ، ولذا يجب أن لا تستوفي الضرائب أما الاستيلاء على الخيل فلأنها تخص الحكومة التي يحاربها ! »[١] .

اغترّ أكثر المسيحيينن وبعض المسلمين في جبل عامل بالفرسيين ولم يكتفوا بتأييدهم ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك « حيث تسلح عدد كبير

(١) مجلة الحرية عدد ٨٤٥ ـ ص ٩٥ ـ مقال : عدنان أيوب .

معهم ، فألفوا « حرساً وطنياً » في القرى ـ والتاريخ يعيد نفسه ، تماماً كما فعل اليهود أثناء غزوهم للبنان سنة ١٩٨٢ م ـ بحجة حماية القرى والدفاع عنها ، من أجل ذلك دعت الحكومة الفرنسية في لبنان إلى عقد اجتماع في مزرعة هورا قرب مرجعيون لتكون بعيدة عن هجمات الثائرين »[١] .

وقد ألمح الشيخ أحمد رضا في يومياته عن ثورة جبل عامل ضد الفرنسيين إلى هذا الاجتماع قائلاً : عقد يوم الخميس ١٥ نيسان سنة ١٩٢٠ اجتماع في مزرعة هورا ـ مرجعيون ـ وحضره حاكم صيدا العسكري المسيو شاربنتييه . وأسفر الاجتماع أن يُعين حرساً وطنياً من المتطوعين عددهم /٢٠٠/ مايتان . يعطى كل واحد منهم ١٠ ليرات راتباً شهرياً بقيادة قائد فرنسي . ويعين لهم مراكز في البلاد لحفظ الأمن . وإذا حصل على البلاد مهاجمة شرقية (يعني الحكومة السورية الفيصلية) فالحكومة هي الكفيلة بردها »[٢] (أي الحكومة الفرنسية) .

أسباب الحادثة :

أثار المتطوعون الفرنسيون في قرية عين إبل حفيظة جيرانهم المسلمين من أهاليَ بنت جبيل وكونين والطيري وحانين وغيرها عندما رفعوا لافتات في عرض طرقات البلدة وعلى مداخلها تحيّي الفرنسيين ومما يلفت ويثير : يافطة كتب عليها بالفرنسية والعربية « تعيش فرنسا ، يعيش كليمنصو ، يعيش غورو » أضف إلى ذلك حلقات « الدبكة » التي كان يحييها الشبان في عين إبل احتفاء بقدوم الفرنسيين وترداد الأغاني المثيرة لمشاعر المسلمين »[٣]

---

(١) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٥ ـ ببعض التصرف .

(٢) العرفان ـ م ٣٣ ـ ج ٨ ـ ص ٨٥٧ ـ ٨٥٨ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

(٣) حدّث بذلك بعض المسنين من بنت جبيل والطيري وياطر وبعض رفاق صادق الحمزة المسنين الأحياء . منهم الشيخ أحمد بزي من بنت جبيل سمعته عند المؤرخ الحاج لطيف بزي . وعمره أكثر من تسعين عاماً .

والتحرش بعبعض السكان المسنين وكان أفظعها حادثتي الاعتداء على فتاة من حانين ، ومقتل رجل مسلم في وادي الدب(*) قرب ياطر على أيدي المتطوعة من عين إبل ، وقد ساق الشيخ أحمد رضا أسباب الحادثة في يومياته في العرفان على الشكل التالي : « قتل رجل في وادي الدب قرب قرية ياثر في شِعب بلاد بشارة ، ثم ما أشيع من هتك امرأة مسلمة من قرية حانين ، بائعة لبن تصدى لها في قرية عين إبل بعض أوباش القرية المغرورين بالفرنسيين ، فعرّوها من أثوابها بالقوة وأمروها أن تمشي أمامهم هكذا ، ذاهبة جائية ثم تداولوها بالفاحشة علناً . أخذت هذه الإشاعات مأخذها في نفوس المسلمين . وأنكرها عقلاء المسيحيين . . . لكن هيجان المتحمسين من شباب تلك الناحية لم يهدأ »[1] .

ويروي الشيخ أحمد رضا حادثة مقتل الرجل المسلم في وادي الدب ، فيقول : « كان نصر الله(*) وهو شاب من ياثر راجعاً إلى قريته ولما بلغ وادي

(*) سمّي الآن وادي الشهداء لأنه سقط فيه أكثر من عشرة شهداء من المقاومين ما بين العامين (١٩٨٦ ـ ١٩٨٧) أثناء المواجهات العنيفة مع اليهود ، ويقع في خراج بلدة ياطر لجهة الشمال .

(١) العرفان ـ م٣٣ ـ عدد تموز ١٩٤٧ ـ ص ٩٩١ ـ (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ) .

(*) اسمه نصر الله أحمد نصرالله ، كان من جملة الثائرين مع عدد يزيد على العشرة رجال من بلدته ياطر (ياثر) وتفصيل الحادثة كما رواها المسنون أمثال : المرحوم الحاج علي أسد الله قعيق ـ والحاج عبد الهادي سويدان ـ والمرحوم الحاج أحمد قدوح والحاج أحمد كوراني والمرحوم الحاج عبد الله بلاغي والحاج يوسف هيدوس وغيرهم الكثير ممن عاصر تلك الفترة وحضرها ووعاها : أن متطوعي عين إبل مع الفرنسيين مروا في قرية ياطر (ياثر) باتجاه وادي الدب ثم صُور ـ قاصدين الحاكم العسكري الفرنسي لاستلام كمية من الأسلحة ومعهم أربعة بغال ، فأحسّ بهم شباب البلدة ـ الثوار ـ فكمنوا لهم في وادي الدب المذكور ، وفي طريق العودة انتهرهم نصرالله أولاً ثم هجم عليهم فبادروه بالرصاص ، فلم يأبه لهم ، وكان موصوفاً بشجاعته وإقدامه . وتابع هجومه يريد الاستيلاء على البغال وما تحمله من =

الدب طلع عليه أربعة رجال من العصابات المسيحية من أهل عين إبل وهي عصابات ألّفها الفرنسيون ضد الثائرين وجهزوها بالعتاد والمال ، فأطلقوا عليه النار فانثنى إليهم وانتزع من أحدهم بتدقيته وتهدد الباقين ، فتقدموا إليه معتذرين بأنهم لم يعرفوه . . . ولما بعد عنهم عشرة أمتار أطلقوا عليه رصاصهم دفعة واحدة فأصابوه ووقع يتخبط بدمه . فأهمّ هذا الحادث أهل الناحية لأن القتيل كان ذا منزلة عندهم . . . ثم حدثت بعد هذه الحادثة أمور أخرى مستنفرة مهيجة »[1] .

حادثة فتاة حانين تستنفر شباب المنطقة :

يحدث السيد أمين خليل قصير من مواليد بنت جبيل عام ١٨٩٩ ، عن تفاصيل الهجوم على قرية عين إبل قائلاً : « ذات يوم سمعنا أن امرأة من حانين اعتقلها بعض شباب عين إبل واعتدوا عليها فثارت النفوس وتجمع بعض الشباب في ساحة البلدة . وفي نفس الوقت وصل الحاج محمد صعب إلى الساحة صارخاً : « إن أهالي عين إبل قد اعتدوا على امرأة مسلمة شيعية وعندما قمت بالدفاع عنها انهالوا عليّ بالضرب والشتائم ، كما ترون ، وفعلاً كان الدم يغطي جسمه وقد « سبّوا » لي الدين والنبي (ص) ، فثارت حمية الجموع وسرنا في مظاهرة إلى منزل الشيخ حسين بزي ، حيث كان موجوداً هناك الشيخ علي بزي فأعلمناهم بالأمر ، فأرسل الشيخ حسين بعض الأشخاص للاستفسار عن حقيقة الأمر فجاءهم التأكيد على ما قاله الحاج

= أسلحة . وفي هذه الأثناء احتدم إطلاق الرصاص من رفاقه ومن المتطوعين ، وفجأة أصيب نصرالله في أعلى فخذه ونزف حتى الموت وهرب المتطوعون ، وكان لمقتله هياج عظيم في المنطقة فاجتمع العقلاء في قرية رشاف لحلّ المشكلة فتعقدت ولم تحل وشن الثائرون هجومهم الخاطف على عين إبل وحدث ما حدث .

(٣) العرفان ـ م٣٣ ـ ص ١١١٥ ـ ١١١٦ (يوميات للتاريخ الشيخ أحمد رضا) .

محمد صعب ، وعندما علم محمود الأحمد بزي وهو من كبار عائلة بزي يحيط به مجموعة من الشبان الأقوياء دعا إلى مهاجمة عين إبل وإحراقها »[1] .

الهجوم على عين إبل وإسقاطها :

تفاقمت الأوضاع في المنطقة ولم يعد الثوار يتحملون هذه الاستفزازات ، سيما وأن المسيحيين في المنطقة أقلية بالنسبة للسكان المسلمين وقد أسهبنا الأسباب التي دعت الثوار إلى مهاجمة المسؤولين عن الحوادث التي لم تعد تحتمل من جيران ، كانوا متساوين في الحقوق والواجبات قبل مجيىء فرنسا ، بل أكثر من ذلك . كان المسلمون يعتبرون أن حماية هؤلاء المسيحيين هو واجبهم لأنهم هم الأكثرية والمسيحيون هم الأقلية في هذه المنطقة . وقد نعم هؤلاء السكان إبان الحكومات العاملية الإقطاعية زمن العثمانيين بوافر الاستقرار والرعاية والحماية . ولما وصلت النار إلى الهشيم ، ولما اعتدي على الأعراض والأرواح ، شنّ الثوار هجومهم على قرية عين إبل . وقد ساق الشيخ أحمد رضا في يومياته عن الثورة سنة ١٩٢٠ الحادثة على الشكل التالي : « اجتمع على بركة كونين يوم الأربعاء ٥ أيار سنة ١٩٢٠ نحو من مائتي رجل . وقد أثر فيهم الاستفزاز تأثيراً بليغاً ، فتذاكروا بما يجب عمله ، وما آلت إليه الحال ، وجاءهم جماعة من عقلاء بنت جبيل فحذروهم ونهوهم . . . ولكن أربعة منهم ـ (من الثائرين) تقدموا نحو المتاريس ـ متاريس أنشأها العينبليون من جهة بنت جبيل ـ فقابلهم المسيحيون الجالسون في متاريسهم هذه استعداداً للدفاع بالنار ، وتبع الأربعة ثمانية آخرون ، فقتل من الأربعة رجل وانقطع خبر هؤلاء المهاجمين عن المرابطين على بركة كونين . فهبت منهم سرية مؤلفة

(١) العرفان ـ م ٣٣ ـ ص ١١١٥ ـ ١١١٦ (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .

من مائة وثلاثة رجال ، ولحقت بالمهاجمين الإثني عشر ، فهرب أصحاب المتاريس وبدأت النار تشتعل في بيوت عين إبل ، وفرّ أهل القرية منها ، وتلاهم أهل دبل ورميش والقوزح (قرى مسيحية) تاركين بيوتهم نحو فلسطين . وامتدّ الصوت ، فاجتمع الناس من كل حدب وصوب وقد قتل عدد كبير . وأما النساء فلم يتعرض لهنّ أحد بسوء »[1] .

أعقب ذلك ، امتداد لهيب الثورة إلى جديدة مرجعيون ودير ميماس والخربة والقليعة ، وقد استغلت الصحف التبشيرية المأجورة ، والناطقة بلسان المحتلين ، أمثال جريدة البشير ، ولسان الحال ، والمشرق ، استغلت هذه الحوادث وراحت تستدر عطف الفرنسيين ، وتشوّش الأحداث وتضخمها ، وتفتعل الأكاذيب حتى يصل المحتل إلى مبتغاه . وهذه جريدة المشرق تذرف الدموع على البائسين ، وتستجدي من فرنسا إغاثة الملهوفين : « . . . وكنا نظن بدخول فرنسا هذه البلاد ، سنستمتع بالأمان الواقي والسلام التام ، فإلى من يلجأ المسيحي اللهيف إلاّ على محاميته الطبيعية وأمّه الثانية فرنسا المحبوبة »[2] .

---

(٢) جريدة المشرق ـ مجلد ١٨ العدد ١٠ ـ ص ٤٧٧ .

حملة نيجر التدميرية

تلاحقت الأحداث متسارعة ، فعزمت الدولة الاستعمارية الفرنسية على تجريد حملة عسكرية كبيرة لتصفية المقاومة الإسلامية العاملية التي كانت تعمل ضدها وضد عملائها ، وعقدت العزم على توطيد الأمن في أنحاء البلاد ، بعد أن أنشأت في أكثر القرى المسيحية « فرق الأنصار » و« الحرس الوطني » وسمتهم المتطوعين وجعلت لكل منهم راتباً شهرياً . ولما اقتحم الثوار المسلمون قرية عين إبل ، عزمت فرنسا على التدخل بحجة حماية النصارى ، لتحقق مكسباً سياسياً في عصبة الأمم بانتدابها على كل من سوريا ولبنان .

الجو المحموم :

نزلت على شاطىء صور قوات فرنسية كبيرة بدباباتها ومدافعها وفي نيتها احتلال جبل عامل وضمه إلى جبل لبنان ، كما وصلت أخبار من سوريا تفيد بأن الشعب هناك قام بتظاهرات ضد الملك فيصل لتخاذله أمام الفرنسيين وتسليمه سوريا للحكومة الفرنسية .

« هذه الأمور دفعت الثائرين للاتكال على قواهم الذاتية ولم يكونوا يتصورون أن الملك سيتخلى عنهم بهذه السرعة ، فاتصلوا بأدهم خنجر الذي كان يملك نفس المعلومات وهو متحسب للأمر بقدر الإمكانات ، ووزع رجاله بشكل يستطيع به إرباك الحملة الفرنسية .

وكان قد تجمع في صور حوالي خمسة آلاف عسكري فرنسي تساندهم مجموعات كبيرة من المتطوعين من أبناء القرى المسيحية في جبل عامل وخارجه »[1] .

استماتة المجاهدين :

الشيخ الطاعن في السن المجاهد علي فرحات ، يوجز التصدي للحملة على الشكل التالي : « كانت الحملة كلما مرّت بقرية استدعى ضابطها أهالي القرية ليسأل عن بعض الأشخاص بالأسماء حسب دفتر كان يحمله معه ، كما كان المتطوعون يرشدونها إلى المتعاطفين مع الثوار ، فأصبحت القرى تحت رحمة المتطوعين . أما نحن فقد كمنّا للحملة في جويا ودارت معركة قاسية بيننا وبينهم ، نحن نحارب بالبنادق ، وهي مزوّدة بدبابات ومدافع ، تساندها الطائرات التي قصفت بعض القرى ومنها بنت جبيل ، فتراجعنا أمامهم ثم اشتبكنا معهم أيضاً في الوادي الذي بعد قرية جويا وحصل الشيء ذاته ، كانت مدفعيتهم تقصف يميناً وشمالاً ، ومن ثم تتقدم الحملة إلى حيثما تريد . . . الحقيقة أن المعركة كانت شرسة . . ولما رأى صادق هذا الوضع خيَّر الموجودين معه بالاستمرار أو الانسحاب ، أما هو فسيتابع الدفاع حتى الموت ، فبقينا حوالي ثلاثين رجلاً وعلى رأسنا كان صادق وبدأنا بالانسحاب نحو مرجعيون . يقتصر عملنا على إعاقة سيرهم فقط ، فقد كنّا نعتبر أية إصابة تلحق بالفرنسيين هي انتصار لنا وصرنا كلما

---

(١) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

مررنا بقرية موالية للفرنسيين نحرق بيوتها ونطلق النار على شبّانها »[1] .

خط سير الحملة :

« زحفت الحملة إلى جنوب جبل عامل (بلاد بشارة) متخذة طريق تقدمها عن طريق النبطية فجسر القعقعية ، وكانت الحملة مؤلفة من أربعة آلاف جندي سلكت وادي الحريق بعد اجتيازها سهل صور ودخل العسكر قرية جويا فتلقوه بالطاعة ولم يسلم بعض بيوتها مع ذلك من الحريق وفي طريقهم إلى جويا نهب مرافقوا الحملة من متطوعة عين إبل والقرى المجاورة لها قرية وادي جيلو وقد كانوا يفرضون الفرايض والغرامات على كل قرية يمرّون بها ويستخرجونها بالقوة »[2] .

صادق ورجاله يتصدون للحملة :

بعد اجتياز الحملة لسهل صور ودخولها وادي الحريق « تعرض لها الثائر الشيخ صادق الحمزة ومعه بضعة عشر رجلاً فصدّوها عن التقدم بما كان مع الثائرين من الذخيرة القليلة ، مدّة سبع ساعات حتى إذا نفذت ذخيرتهم ولم يمدّهم أحد بمدد تراجعوا ولم يفقد منهم أحد ، وفقد مَن الحملة بضعة جنود أحدهم سائق مصفحة ، هجم عليه أحد الثائرين فقتله على كرسيه في المصفحة ورجع سالماً »[3] .

. . وأدهم ورجاله يتصدون للحملة أيضاً :

يروي الحاج عبد الله حرب أحد رجال أدهم عن تصديهم للحملة الفرنسية فيقول : « انتظرنا الحملة منتشرين للقتال على تلال منطقة المصيلح

---

(١) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

(٢) العرفان ـ م ٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

(٣) العرفان ـ م ٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .

وعند وصولها قادمة من الزهراني أطلقنا عليها النار بكثافة لكن الحملة كانت مسلّحة تسليحاً كاملاً والدبابات والمدافع ترافق عربات الجنود ، فراحت المدافع تدكّ التلال بغزارة بالإضافة إلى « المترليوز » الذي كان يخيفنا أكثر من المدفع وبقيت المعركة بيننا وبينهم أكثر من ثلاث ساعات فقتلنا منهم كثيراً ، لكننا لم نستطع الصمود أمام مدفعيتهم ورشاشات الحملة ، فانسحبنا باتجاه النبطية وبقينا نناوش الحملة حتى وصلنا إلى منطقة مرجعيون وهناك تفرقنا فمنا من بقي مع أدهم وانضموا إلى مجموعات صادق ، ومنا من هرب في الوديان ، ومنا من عاد إلى قريته ليحتمي بها »[1]

المعركة التي سبقت الحملة في مصيلح بقيادة أدهم :

عنف هجوم الثوّار على الحاميات الفرنسية وعلى القوافل التي تزوّد الجيش الفرنسي بالمؤن والذخائر في المطلة ومرجعيون وحاصبيا وبالقرب من مزرعة مصيلح ، وتغلبوا على العساكر الفرنسية في جهة المطلة . ولعلّ أعنف المعارك تلك التي خاضها أدهم خنجر وأخوانه المجاهدون في مصيلح وذلك عندما كانت فرقة فرنسية قد توجهت إلى جبشيت لتجريدها من السلاح .

وقد أورد الشيخ أحمد رضا الحادثة كما يلي : « أرسلت القوة العسكرية الفرنسية المحتلة فرقة من المتطوعة لجمع السلاح من المسلمين وبدأت بقرية جبشيت . وقد رجعت عربات الركاب الذاهبة إلى صيدا بركابها إلى النبطية من نصف الطريق لأن الطريق شغلت بمعركة حمي وطيسها غربي خان محمد علي عند عقبة « زلوم » بين جماعة أدهم خنجر وثلة من جنود النقل الفرنسية كانت تحرس العربات الناقلة لأرزاق العسكر ، لأجل ذلك استدعي العسكر الذي ذهب لجمع السلاح من قرية جبشيت وقد وقع في هذه

---

(٢) السفير ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ .

المعركة عدة جرحى من العسكر ولم يجرح من العصابة غير واحد »[1] .

الفظائع التي ارتكبتها الحملة :

قصدت الحملة تأديب القرى التي اعتبرتها مسؤولة عن اجتياح عين إبل « فبلغت بنت جبيل وهي من حواضر جبل عامل وقد أخلاها أهلها إلى قرى فلسطين المجاورة ولم يبق فيها نافخ نار ، بعد أن تركوا ما ثقل حمله عليهم من الأموال والأثاث ولما دخلها العسكر ومن ورائه ، المتطوعون في الحملة أحرقوا فيها بيوتاً خاصة ، ولكن المتطوعين لم يعفوا عن بقية البيوت فهدموها ، حتى بعض المساجد ونهبوا جميع ما تركه أهلها فيها ويقدره بعضهم بعشرات الألوف من الذهب . وكانت الحملة تغتال في الطريق من تعثر عليه وبلغ ما قتلوه على هذه الصّور بضعة غلمان ورجال »[2] . ثم توزعت الحملة على قرى عيناثا ومارون وما حولهما من القرى وقد هجرها أهلها بتاتاً فحلّ فيها متطوعة عين إبل ورميش وأعملوا فيها النهب والتخريب بصورة فظيعة ، وأن الحملة قد تمركزت في تبنين وكان على رأسها الكولونيل نيجر وأنه جاء إلى ميسَ وهونين وهما على حدود المنطقة الشرقية التي لم تكنْ يومئذٍ تحت الاحتلال الفرنسي »[3] . وسلك قبل ذلك وادي عاشور حتى تبنين . وأطلقت المدافع على دار محمد بك التامر في تولين فهدمتها »[4] . وجاء القومندان شاربنتييه يطلب الميرة للعسكر من البقية الباقية من أهل الطيّبة فلم تقدر هذه الثلّة الباقية من العجزة والنساء على إجّابة طلبه .

---

(١) العرفان ـ م ٣٣ ـ ص ١١١٧ ـ (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .
(٢) نفس المصدر ـ م ٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ٢٠٠ (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .
(٣) نفس المصدر م ٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ٢٠١ (يوميات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .
(٤) تاريخ جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٨ .

شروط نيجر التعجيزية :

جمع الكولونيل نيجر بعض الوجوه من أعيان العامليين في الطيبة وطلب منهم خمسة أمور :

«١ ـ تسليم السلاح .

٢ ـ التعهد بحفظ الأمن .

٣ ـ دفع غرامة العسكر .

٤ ـ التعويض على الذين نهبت بيوتهم من المسيحيين في حادثة عين إبل .

٥ ـ إعادة جميع ما سلب من عين إبل عيناً .

فقالوا لسنا ممثلين للطائفة كلّها ، فأمرهم أن يكتبوا له أسماء أعيانها ليجمعهم في صيدا »[1] .

عقاب المسلمين العامليين :

استفحلت تعديات المتطوعين المسيحيين على القرى الإسلامية بمساعدة الفرنسيين . وقد أورد الشيخ أحمد رضا الحالة على الشكل التالي : « مازال بعض أشقياء المسيحيين يعملون في السلب والنهب على قرى الشيعة في منطقة صور . . . وقد قابل أحد فضلاء مدينة صور نيجر بأمر النهب والسلب الذي لم ينقطع في قرى الشيعة من المسيحيين . فقال له نيجر : أنا أمرتهم بذلك !! وقال نيجر : إنه لا يزال مصرّاً على طلب التعويض على المسيحيين فقيل له : إن المنهوبات من قرى الشيعة بأيدي المسيحيين تزيد أضعافاً عن منهوبات المسيحيين . فقال : نعم ، ولكن ذلك جزاء ، والتعويض غير الجزاء . ومن الفظائع التي لا تكاد تصدق عن الحملة

---

(١) العرفان ـ م ٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ٢٠١ (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ) .

العسكرية على بلاد بشارة : وجدت الحملة في قرية كونين شاباً مريضاً أو جريحاً ، فظنوا أنه كان في حادثة عين إبل فهجم عليه القوم يريدون قتله فألقت أمه وأخته بأنفسهما عليه فلم يحجموا بل قتلوا الثلاثة شرّ قتلة . وقد رأى العسكر في بنت جبيل رجلاً طاعناً في السن عجز عن الهرب فساقه العسكر أمامه ، وبعد أن مشى مع العسكر قليلاً ، قصّر في المشي . فأطلق العسكر عليه الرصاص وصرعوه قتيلاً »[1] .

أمام هذه المآسي الرهيبة التجأ الكثيرون إلى فلسطين طمعاً بالنجاة تاركين وراءهم كل ما جنوه طوال عمرهم ، وكان المسلمون العامليون لا طاقة لهم على تحمل هذا الأذى كله ، نظراً لفداحة الخسائر التي حلّت بأبناء الطائفة الشيعية .

محاولة القضاء على السيد عبد الحسين شرف الدين :

. . . وكيف يسلم السيد عبد الحسين شرف الدين وداره وعياله ، وهو رأس الثورة وقطب رحاها ؟ فلا بدَّ أن يكون الهدف الأول للحملة التي جرّدها الكولونيل نيجر ، فقد هوجم داره في صور « وأعمل فيه سلباً ونهباً . وما فيه من الأثاث ولم تسلم مكتبته النفيسة بنفائسها ومؤلفات صاحبها القيّمة من ذلك »[2] .

وقد أشار السيد شرف الدين في مخطوطته بغية الراغبين إلى هذه الحادثة : « . . . ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرارة قدرت بألف فارس مجهزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرعات ، زحفت بقيادة الكولونيل « نيجر » إلى شحور . . . وهبط الجيش يتدفق بين كروم

(١) العرفان - م ٣٤ - ج ٢ - ص ٢٠١ (مذكرات الشيخ أحمد رضا - يوميات للتاريخ) .
(٢) العرفان - م ٣٤ - ج ٢ - ص ٢٠١ (يوميات للتاريخ - مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

التين ، ويلتف حول القرية في رهبة أوحشت سكينة الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى .

نهضت مسرعاً إلى أرديتي وانسللت أتخطى الوادي إلى غار على شاطىء الليطاني كانَ لجأ إليه جدُّنا السيد صالح في محنة الجزار .

أما الجند فطفق يسأل عني . . . ولما استيأسوا من العثور عليَّ تفرّقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون . ولم يغادروا شحوراً قبل أن يحرقوا الدار .

. . . وعاملة ويحي لها ، تنوء تحت ضربة بكر ، وتلفظ أبناءها . وهناك من الخشية والذعر . أعلنت فيها الأحكام العرفية فحكم عليَّ بالنفي المؤبد مع مصادرة ما أملك . وبهذا حكم على العلّامة السيد عبد الحسين نور الدين وعلى الأحرار من زعماء البلاد . . . أما فتيان الثورة فقد حكموا بالإعدام ، وأنفذ هذا الحكم الغاشم في كل من ظفرت به منهم .

وقد احتلوا دارنا في صور بعد أن صيحَ نهباً في حجراتها ، فعظمت المصيبة وجلّت الرزية بنهب المكتبة الحافلة بكتبها القيّمة وفيها من نفائس الكتب المخطوطة ما لا يكاد يوجد في غيرها . وكان لي فيها كتب استغرقت في تأليفها زهرة حياتي ، وأشرف أوقاتي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون »[1] .

خروج السيد شرف الدين من لبنان :

غادر السيد أرض لبنان إلى الجولان ، ثم إلى دمشق ، ثم غادرها إلى مصر حيث استقبل بكل حفاوة وترحيب وعقدت له مجالس الأدب والعلم والتكريم فوقف خطيباً في الجامع الأزهر في القاهرة قائلاً : « بسم الله وله الحمد الذي خصّنا بالبلاء . وأقامنا مثالاً للصبر والعزاء وسلامه على خاتم

---

(1) بغية الراغبين ـ مخطوط ـ مصدر سابق ـ ص ٦٧ .

أنبيائه ، ورحمته وبركاته على آله وأوصيائه ، ما كان أصبرهم على الخطوب وأقواهم على المحن ، لم ترعهم النوائب القارعة . ولم تنل منهم الملمات الفاقرة . فكيف أراع وأنا منهم ، جبلتُ من فاضل طينتهم ، صخرة في واد ، وطوداً من الأطواد .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا فلان المجامع

ودع عنك تحريق أبياتي ومؤلفاتي ، وصيحة النهب في حجراتي ، واحتلال داري ، وترويع جاري ، والزغير من صغاري .

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل علم مقفر العرصات

رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ، ويوفينا أجور الصابرين .

نعم هذا شأن من يرسم لأمته خطط الحرية ، ويتوغل في قومه معارج الشرف . سنة الله في الذين يقدمون أنفسهم قرباناً لعقائدهم وفداء لأوطانهم .

وحسب المنحرفين الرعاديد . من كل خافر ذِمَام بلاده ، ضائعٌ في التآمر على تراث أجداده ، وميراث أولاده . ومن كل مشّاء نميم ، محرّف الكلم عن مواضعه ، أن حقّت عليهم اللعنة في الدارين أو الخزي في النشأتين .

أما الغزاة الطغاة ، من كل محتل أثيم وغاصب زنيم فسيعلمون أي منقلب سينقلبون وأن الأرض لا يرثها إلاّ عباد الله الصالحون . هو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير »[1] .

---

(١) من خطب السيد عبد الحسين شرف الدين بخط ولده السيد جعفر ص ٧ ـ ٨ .

الغرامة

أمام هول الفاجعة التي أصابت الجهة الجنوبية من جبل عامل (بلاد بشارة) وفي خضم الأحداث المتلاحقة ، والمآسي المروّعة ، تابع الفرنسيون ضغطهم على جبل عامل بقصد الإلتفاف على المسلمين الشيعة من أدنى الجبل إلى أقصاه ، فراح نيجر يوجه دعوة شديُدة اللهجة إلى علماء الشيعة ووجوههم للقائه في صيدا .

وفي هذا الصدد يقول الشيخ أحمد رضا : « ذهبنا في تلبية هذا الأمر بصحبة العلاّمة الكبير الشيخ عبد الحسين صادق وفضل بك الفضل ويوسف بك الزين والعلاّمة الشيخ سليمان ظاهر والعلاّمة الشيخ أحمد رضا والسيد محمد جابر ، والسيد يوسف الحاج علي من الفضلاء والأعيان . وكان الكولونيل نيجر قد عقد الاجتماع في مطرانية الكاثوليك . وحوى هذا الاجتماع من كان في صيدا من وجوه الشيعة وأعيانها ومن وجوه أهل السنة والمسيحيين وضمونا إليهم . وخطب فينا الكولونيل خطاباً شديد اللهجة على الشيعة وتلك لهجة الغالب على المغلوب ، والمنتصر على المخذول . ثم قال : فإذا لم يوقّع وجوه الشيعة وأعيانها الحاضرون على الشروط التي

فرضها الجنرال غورو ، فالحملة ستظل سائرة في عملها ، تحمّل الأهالي كل ما تحتاجه من ميرة وعلف ومأكل ومشرب . ثم ترك لنا مهلة للتفكير في هذا الأمر إلى ما بعد الظهر . وخرج المدعوون من غير الشيعة وحظّر على الشيعة الخروج حتى ينفّذ هذا الأمر ، وأحاط المكان ونوافذه برجال الدرك والبوليس »[1] .

الشروط التي فرضها المحتل :

لا يخرج أحد من هنا ما لم يوقع الشروط المفروضة فرضاً . ثم تلاها علينا :

١ ـ تعهد بدفع غرامة مالية مائة ألف ليرة .

٢ ـ تعهد بحفظ الأمن في كل القرى المسيحية أو المنسوبة إليهم .

٣ ـ تعهد بأن يرجع المسيحيون إلى قراهم ويمكَّنُوا من حصاد مواسمهم .

٤ ـ أن يسلم المحكومون كلهم إلي الحكومة لتنفذ فيهم الأحكام .

٥ ـ أن ترد جميع المسلوبات إلى القرى المسيحية . أو المنسوبة إليها .

فأبى الحاضرون توقيعها . وطلبوا تحويرها بأخف منها وأقلّه المناقشة في إمكانية تحقق الوصول إليها »[2] .

الحقد الفرنسي الظاهر :

« رفض شاربنتييه التحوير والمناقشة وقال : أنتم مكلفون حتماً بتوقيعها دون أدنى اعتراض . وأن الحملة العسكرية لا تزال تعمل في قطركم على التخريب والتعذيب حتى توقع هذه الشروط بعينها . وأنتم محجور

---

(١) العرفان ـ م٣٤ ـ ج٤ ـ ص ٢٠٣ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

(٢) العرفان ـ م٣٤ ـ ج٤ ـ ص ٢٠٣ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

عليكم حتى توقع منكم جميعاً . . . لا يرخص لكم بالخروج من مدينة صيدا ما لم توزع الغرامة المفروضة على القرى الشيعية في كل الجبل : شماليه وجنوبيه . وإن الشمال منه ـ يقصد شمال جبل عامل ـ وإن لم يشترك فعلاً في أعمال الثورة فإن كل الشيعة مجرمون بنظر الحكومة لأنهم ثلاثة أقسام :

أ ـ قسم عمل بالسلب والنهب والقتل .

ب ـ وقسم حرّض .

ج ـ وقسم رضي بما حصل في قرارة نفسه وإن لم يظهر منه شيء .

لذلك حقّ عليهم أن يتحملوا جميع هذه الغرامة الثقيلة الباهظة .

. . . ثم استدعى رؤساء المسيحيين ونحّى وجوه الشيعة وعلماءها عن المقام الأول حيث كانوا جالسين وأجلس مكانهم من استدعى من المسيحيين زيادة في الإرهاب والإذلال . وأمر كهنة المسيحيين بأن يوزعوا هذه الغرامة على المنكوبين من طائفتهم »[1] .

(١) نفس المصدر ـ ص ٢٠٤ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

توزيع الغرامة

تمّ توزيع الغرامة ، فكان على « قرى مرجعيون منها خمسة وأربعون ألف ليرة وعلى صور وقراها خمسة وثلاثون وعلى قرى صيدا عشرون ألفاً والمدينة غير داخلة في هذا التوزيع أما الذين كلّفوا من المسيحيين بتوزيع الغرامة على منكوبيهم فقد اعترضوا بأنها دون مسلوباتهم بكثير ، فأمرت الحكومة بتحويلها إلى مائة ألف ليرة ذهباً . . . وطلبت من مجلس الإدارة أن يضم إلى بدلات الأعشار خمسين بالمائة وأن تجبى بقايا الضرائب من الفلاحين الشيعة الباقية منذ ستة وثلاثين عاماً وقد قدّرت هذه الضرائب مع قيمة الغرامة بمائتي ألف ليرة ذهبية . هذا فضلاً عمّا فرضته الحملة أثناء عملها العسكري من الغرامات الخاصة التي لم يحسب منها شيء في الغرامة المفروضة كما كانوا وعدوا »[1] . ثم سلّطوا العسكر على جباية الغرامة . وجعلوا أمرها إلى حكومة صيدا ودكتاتورها العسكري الكومندان شاربنتييه . وكلهم ذوو أطماع ، فعقدوا اللجان على هواهم وممن هم على شاكلتهم ،

(١) العرفان ـ م٣٤ ـ ج٤ ـ ص ٢٠٣ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذلّة . « فكان الجند يحتل القرية لجباية ما فرض عليها من الغرامة ، فلا يستطيع أهل القرية ذلك فيستاقون مواشيها إلى لجنة من هاتيك اللجان فتحدد أثمانها على نسبة المائة بعشرة أو عشرين ثم تسلمها اللجنة بهذه الأثمان البخسة وتبيعها في أسواق فلسطين بأثمانها الصحيحة . وهكذا بلغ ما جبوه خمسة أضعاف ما فرض »[1] .

السياسة الغاشمة :

لقي أهالي جبل عامل السخريات اللاذعة ، والشماتة المضنية . مما استحكم به بأس المنتقم ، فكان « رزق الله نور » و« حنّا ذيب » ومن ورائهم جماعة من الموتورين . يفتكون بالآمن البريء والشيخ الْهَمّ وبالنساء والأطفال ويسومونهم ما لا يطيقون ، والسلطة تمدهم بقوتها وتهيِّجهم بتحريضها لينهبون الأموال . ويستبيحون كل شيء »[2] .

ضريبة صادق :

ولما كانت دبعال مسقط رأس صادق ، فقد تحملت من الفرنسيين الكثير من الظلم والتعسف إذ فرضت عليها الدولة ضريبة « أسمتها « ضريبة صادق » وهي عبارة عن عدد من (البواريد) ـ البنادق الحربية ـ على الأهالي أن يقدموها مرغمين رغم أمكانياتهم المادية الضعيفة وخلال فترة زمنية محدودة ، وإذا تلكأ الأهالي أو تقاعسوا نزل بهم غضب الدولة ، فعسكر الجوّالة جاهزاً أبداً ليحتل البيوت ويعيث فيها فساداً .

بالإضافة إلى هذا الترهيب عمدت الدولة إلى ترغيب المواطنين وإغرائهم إذ خصصت جائزة ثمينة لمن يرشد إلى مكان صادق أو لمن يأتي به

---

(١) نفس المصدر ـ م٣٤ ـ ص ٢٠٤ .

(٢) العرفان ـ م٣٤ ـ ج٤ ـ ص ٢٠٤ (يوميات للتاريخ ـ مذكرات الشيخ أحمد رضا) .

حياً أو ميتاً »[1] .

ضرائب أخرى :

وقد فرض على قرية شحور ضريبة من الفرنسيين قدرها تسعماية ليرة عثمانية ذهباً عدا عما سلب من بقر وغنم ومتاع . أما النبطية فقد فرضوا عليها ما يناهز الثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهباً . وبنت جبيل فوق أربعة آلاف ليرة عثمانية ذهباً »[2] . وفرض على ياطر مبلغ مايتي ليرة ذهبية وستون « بارودة » حربية . ثم جرت تسوية على دفع المبلغ وثلاث عشرة بندقية بواسطة الحاج عبد الله يحيى والحاج اسماعيل الخليل »[3] .

ضريبة غورو :

« جاء بعض المتزلفين من المغرورين بالفرنسيين إلى النبطية في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٢١ م يطلبون من العامليين الذين حالهم كما سمعت أن يقدروا أعمال الجنرال غورو قدرها من الشكر والامتنان بأن يقدموا له سيفاً مرصعاً تقدّر قيمته بعشرين ألف ليرة عثمانية ذهباً خصت النبطية من هذه القيمة بألفي ليرة وأنه يجب حالاً الإسراع في جمع المال ، وقبضوا خمسين ليرة من ذوي القلوب الميتة من الرهبة أو من عدم الإحساس بالمذلّة الكبرى من وراء ذلك ـ بالله أيذبحنا غورو بسيفه ونشكره على عمله ، بل نرصع له السيف بالجواهر ونقدمه له ـ ؟ أما بقية الناس فقد عارضوا فعارضوهم بأنهم سيصلطون على البلدة المدافع ويهدموها أن لم يباشروا الدفع فهاج الناس واضطربوا منكرين »[4] .

---

(١) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٧ .

(٢) العرفان ـ م٣٣ ـ ص ٤٤٢ ـ (مذكرات للتاريخ ـ يوميات الشيخ أحمد رضا) .

(٣) رواية الحاج يوسف هيدوس/ ٨٣ سنة/ الحاج حسن هيدوس / ٨٩ سنة / الحاج حسين كوراني / ٩٣سنة/ من ياطر .

(٤) العرفان ـ م٣٦ ـ ج٢ ـ ص ١٣٤ (الشيخ أحمد رضا) .

الأحكام الجائرة وتعدّيات المتطوّعين

على أثر تجريد الحملة العسكرية على بلاد بشارة وعلى أثر الفتك الذريع في الحرث والنسل وإحراق القرى ومصادرة الأرزاق ، وبعد أن نفذ الفرنسيون مآربهم الحاقدة ، « بدأت جيوشهم تتجمع في النبطية وشرقيها على جبل (طهرة) . وفي تلك الفترة أعلنت كل من حاصبيا وراشيا خروجهما على الحكومة العربية في دمشق والتحقتا بلبنان . وراح المتطوعون ، وأصحاب العصابات يغيرون على القرى يسرقون مواشيها ، ولما اشتكوا للحاكم الفرنسي . قال لهم : عليكم أن تدافعوا عن أنفسكم . فقالوا له : إذاً رخّصونا بحمل السلاح لندافع عن أنفسنا . فقال لهم الحاكم : ممنوع ، فلا نأذن لكم »[1] « وكانت عصابة توما الزغرتاوي وعيد الحوراني تفسدان في ناحية جباع ، وقد رفع الناس شكواهم أكثر من مرّة ولا من مجيب »[2] .

(١) العرفان ـ م٣٤ ـ ص ٦٨٨ (مذكرات للتاريخ ـ يوميات الشيخ أحمد رضا) .

(٢) نفس المصدر ص ٦٨٩ هـ

الأحكام الجائرة :

أوردت جريدة لسان الحال القائمة المحتوية على أسماء المحكومين بالإعدام والنفي من « المتاولة » والمحكوم عليهم بالنفي ومصادرة أملاكهم هم : كامل بك الأسعد ـ عبد اللطيف بك الأسعد ـ مراد غلميّة ـ حسن يوسف ـ نصر الله الصعبي ـ الحاج محمد سعيد بزي ـ السيد عبد الحسين شرف الدين ـ السيد عبد الحسين نورّ الدين ـ صادق الحمزة ـ محمود أحمد بزي ـ رياض حسن فرحات ـ عبد المجيد محمد بزي ـ محمد فرح سليمان ـ موسى بوزلكي ـ الشيخ عبد الله عز الدين ـ محمود فرج ـ سليمان طرفة ـ الحاج فياض شرارة ـ الحاج محمد سويدان ـ أدهم بك خنجر ـ علي حرب ـ محمود أحمد قاسم ـ عبد الحسن سرور ـ محمد بك التامر ـ نمر بلّوز ـ السيد يوسف طاهر ـ يعقوب قرعوني ـ حسن علي ـ محمود محمد قاسم ـ طعان السيد خليل ـ رشيد السيد خليل ـ حسن سلمان طباجة ـ شبيب العبد الله ـ لطفي العبد الله ـ نجيب العبد الله ـ محمد حرب ـ كامل يوسف ـ كامل شحرور »[1] .

---

(١) جريدة لسان الحال عدد ١٧ آب سنة ١٩٢٠ .

المقاومة الإسلامية العاملية ترد على اجتياح الحملة لجبل عامل

كثر الحديث بين زعماء الشيعة والمسيحيين الذين كانوا يومئذ في صيدا بقصد اجتماع شعبي أهلي بين الطائفتين . يكون فيه مندوب من الحكومة ومندوب من بطريرك الموارنة ، وقد استحسن علماء الشيعة هذا الأمر « وذهب فريق مؤلف من الحاج اسماعيل الخليل ويوسف بك الزين وفضل بك الفضل والسيد عبد الحسين محمود الأمين والشيخ أحمد رضا إلى القائمقام ليستأذن من الحكومة بعقد اجتماع »[1] .

هجمات المقاومين ضد الاحتلال :

وأثناء الاجتماع المشار إليه جاءت برقية من قائد الدرك في النبطية تخبر الحكومة ، أن العصابات الثائرة ملكت جسر الخردلة ـ وهو يقع على نهر الليطاني ويفصل منطقتي مرجعيون والنبطية ، تشرف عليه قلعة الشقيف . وأن فرقة صادق الحمزة مرابطة في علمان على جسر القعقعية ، وعددها ثلاثماية وفرقة أدهم خنجر وشبيب العبد الله احتلت قلعة الشقيف

(١) العرفان ـ م ٣٤ ـ ج ٣ ـ ص ٣٥٤ (مذكرات الشيخ أحمد رضا ـ يوميات للتاريخ) .

وعددها مايتان وخمسين وأن محمد بك التامر ومعه أربعماية محارب في قرية عديسة »[1] .

مبادرة الوفد :

ذهب وفد من المجتمعين في صيدا إلى النبطية لينصح الثائرين بالإقلاع عن أعمالهم . ورأى الوفد أن يكتب إلى محمد بك التامر كتاباً وإلى صادق الحمزة كتاباً وآخر إلى أدهم خنجر وشبيب كذلك .

« وبقي الوفد ينتظر الجواب من زعماء الثورة وكانت انتشرت أخبار بهجوم على دير ميماس وقتلوا منها رجالاً وأحرقوا بعض البيوت ، وأن قرية الخربة في منطقة مرجعيون . . . تضطرم فيها النار وأن الجديدة هوجمت والمعركة فيها شديدة . وفي العصر عقد اجتماع في النبطية في النادي الحسيني وقر الرأي على إرسال برقيات من الوفد إلى الشام لتتولى منع الثائرين عن هذه الثورة لأن الجبهة الشرقية هي المنشّطة لهذه الثورة »[2] .

نص كتاب الوفد إلى صادق الحمزة :

« إن مسعانا بتأمين الفارين ، في صيدا عارضه شبوب ثورة من جديد وهجوم العصابات على قرى الشقيف . وهذا يؤدي حتماً إلى خراب الوطن ويحول دون السعي في التفاهم بين المسلمين الشيعة والمسيحيين الذين لا يرجع الوطن إلى ما كان عليه من الأمان والراحة إلا باتفاقهما .

ونحن نستحلفهم بالله أن يكفّوا فقد لبست الشيعة ـ ثوب العار بنظر العالم المتمدن »[3] (!!!) .

---

(١) نفس المصدر ـ ص ٣٥٤ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٣٥٥ .
(٣) العرفان ـ م٣٤ ـ ج ٣ ـ ص ٣٥٤ .

جواب صادق الحمزة للوفد :

جاء جواب صادق للعلماء بما يلي :

« إننا كنا سابقاً مقيدين بأوامركم وإنكم طالما أخذتم إصلاح أمر هذه الحكومة على عاتقكم ، ولما لم يتم ذلك لكم ، خرجنا عن طاعتكم لأننا رأينا الحكومة مطيعة لأهل الأهواء ، الذين يريدون ويعملون على إثارة النعرات في جبل عامل حتى أهرقت الدماء وهدمت الجوامع والكنائس والمساكن ورأينا أن الحكومة التركية ، كانت تفضل المسيحيين علينا في المعاملة وهي دولة مسلمة فكنا نطيعها بذلك حالاً لعملها على المصلحة ، ولكن الدولة الفرنسية وهي مسيحية كان عليها أن تعمل بالعكس أي أن تفضلنا بالمعاملة لأننا نشكل الأكثرية ولأننا من غير دينها فعليها أن تستجلبنا بالحسنى . ولكن الفرنسيين وأتباعهم من أبناء وطننا يريدون إتلاف هذه الطائفة من جبل عامل .

إن أوامركم يا سادتنا قد تأخرت عن وقتها لأن الحماس والثورة قد عمّت أقطار البلاد وليس في مقدورنا وحدنا الوقوف في وجهها وهي مؤلفة من كافة المسلمين من الشيعة والسنّة وكلهم يتلهفون على ضياع بلادهم وهدم بيوتهم وهتك أعراضهم ونهب أموالهم وديارهم .

فالآن الطاعة لله ولأوامركم واستجلاباً لرضى الحكومة نقف نحن خاصة ولا نتمكن من إيقاف غيرنا لأن الغيرة الإسلامية عمّت أركان البلاد .

ويليها التواقيع :[1]

أحمد محمد بعلبكي حسن علي نذّي مصطفى الحمزة صادق الحمزة

أخذ هذا الكتاب يوسف بك الزين إلى اللويتنان (توليه) قائد معسكر

---

(١) نفس المصدر السابق ـ م ٣٤ ـ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

النبطية فعرضه عليه فقال : إن مصلحتكم ومصلحة بلادكم تقضي سفر العلماء إلى زعماء العصابات وإرشادهم .

أول طائرة فرنسية تسقط في جبل عامل :

في عام ١٩٢٠ زار دير كيفا المجاهد صادق الحمزة على رأس مجموعة من المقاومين للاحتلال الفرنسي ، وقد استضاف المرحوم الحاج علي الحاج ، صادق الحمزة ورفاقه ، ودعاهم إلى تناول الطعام في منزله ، وفي هذه الأثناء كانت إحدى الطائرات الفرنسية تحلّق في سماء البلدة ، وربما كانت ترصد تحرّكات المقاومين .

ويروي شهود عيان أن صادق الحمزة خرج إلى شرفة المنزل وأطلق النار على الطائرة الفرنسية فأصابها في أحد جناحيها وسقطت في خراج دير كيفا قرب خربة سلم في منطقة تسمى ظهور الطبالة »[1] .

---

(١) رواية الحاج خليل الحاج علي والحاج علي العبد حمادة والحاج عباس حمادة بتاريخ ١٩٨٩/٩/١٣ من بلدة ديركيفا في جبل عامل .

.. وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم

من هو أدهم خنجر ؟ :

« أدهم بك خنجر الصعبي ، ولد في قرية المروانية عام ١٨٩٥ م . مجاهدان من رفاق أدهم خنجر حدّثا عن « ثورته » وعن تجربتهما معه ، إنهما الحاج حسين حجازي والحاج حبيب وهبة قالا : « كان شاباً وسيماً طويل القامة توفي والده ، أحد وجهاء العشيرة الصعبية حكّام بلاد الشقيف ، وهو لا يزال صغير السن . تلقى علومه الأولى في قراءة القرآن الكريم على يد الشيخ زين كوثراني الذي وصفه بأنه كان منذ نعومة أظفاره متمرداً . وبعدها انتقل إلى صيدا لمتابعة تعليمه حيث أقام عند شقيقته زوجة حسين أفندي الزين .

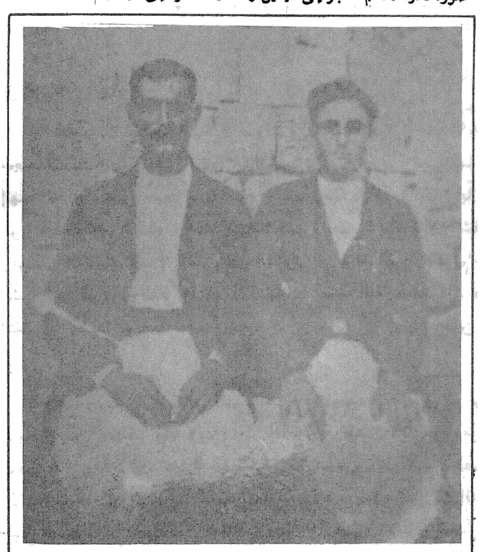
وقال رفيقاه : إنه كان دائماً يتذمر من الجنود الفرنسيين ثم في أحد الأيام حصل خلاف بينه وبين أحد الجندرمة فقتله أدهم وفرّ من وجه الحكومة . بعد هذه الحادثة احتضنه قريبه محمود بك الفضل الصعبي ، ولكنه بما أنه لم يكن يريد الإساءة لعلاقته مع نسيبهما حسين بك الدرويش رجل الحكومة في المنطقة ، فقد ذهب ومعه أدهم إلى صادق الحمزة الذي

كان قد انتشر أمره كثائر ضد الفرنسيين فعرّفه عليه وقال لصادق : « هذه وصيتي عندك »[1] .

إنما المؤمنون أخوة :

عمل أدهم مع صادق فترة أسبوعين كان خلالهما يتصل ببعض الأشخاص في منطقته وفي أحد الأيام ذهب إلى قرية العدوسية وقصد منزل باسيلا الحاج وصادر منه بندقية ، كانت الحكومة قد أعطته إياها ، ثم طاف

صورة نادرة لأدهم خنجر إلى اليمين وصادق الحمزة إلى اليسار .



(1) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

بمنازل القرية وصادر حوالي عشر بواريد حملها إلى قرية النجارية التي كان قد جمع فيها عدداً من الشبان المؤيدين . بعضهم من تفاحتا وكوثرية السياد . وراحوا جميعاً يطوفون على القرى يجمعون البنادق وينضم إليهم المزيد من الأشخاص حتى زاد عدد الفرقة عن خمسين رجلاً فاتخذ له مقراً في منطقة بين المروانية والنميرية ويقول الحاج حبيب وهبة : أنه كان يعدّ الطعام له وللفرقة في القرية ثم ينقله سرّاً إلى المركز خوفاً من غضب حسين بك الدرويش »[1] .

من أعمال فرقة أدهم :

يقول أحد أفراد الفرقة حسين حجازي : « كانت فرقة من الجيش الفرنسي متجهة من صيدا إلى النبطية ولما علم أدهم بك بالأمر وزّع الرجال على التلال المشرفة على الطريق في منطقة تدعى « خربة العين » وأول ما قام به أدهم عند وصول الفرنسيين هو أنه « نَيْشَنَ » على ضابط الطنابر وقتله ، وابتدأت المعركة بين رجال أدهم والفرنسيين واستمرت حوالي الساعة والنصف ، بعدها انسحبت العصابة وقد قتلت أكثر من ثلاثين جندياً ، وقد لاقت هذه الحادثة تأييداً من أهالي القرى فأقيمت الحفلات في بعضها ، أما القرى المجاورة فقد كبتت فرحتها خوفاً من إحراج حسين بك الدرويش الذي كان موظفاً كبيراً في الدولة »[2] .

. . وفي أموالهم حقّ للسائل والمعلوم :

الحاج حسن ضيا أحد رجال صادق الحمزة ، يقول : « أرسلني الأمير (يعني صادق الحمزة) ـ وقد لقّبه رفاقه بهذا اللقب ـ مع مرافقين إلى يوسف بك الزين لأسلّمه رسالة تطالبه تسليمنا بعض الحصص من محصوله

(١) نفس المصدر ٣١/٧/١٩٩٠ .
(٢) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

لرجالنا ولزجال أدهم بك ، وعند وصولي إلى منزل يوسف بك رفض استقبالنا باديء الأمر ، وعندما قلنا للناطور أننا نحمل رسالة من الأمير صادق إلى يوسف بك ، أخذ منا الرسالة وأدخلها ثم عاد ودخلنا حيث كان يجلس يوسف بك ، فمزق الرسالة أمامنا ورماها ثم عدنا إلى صادق نعلمه بما جرى ، فثار وطلب مني أن أحمل رسالة إلى أدهم ، ذهبت وسلمته الرسالة فما كان من أدهم إلاّ أن استبقاني مع رفيقي وقمنا في اليوم الثاني قبل شروق الشمس ونفّذنا مع جماعته خطة الهجوم على كفررمان وأحرقنا المحصول العائد ليوسف بك . ولم نترك المكان حتى احترق المحصول بكامله وكذلك فعلنا بقرية (سبناي) التي تخصه أيضاً . عدنا بعدها إلى مركز أدهم الذي سلّمني رسالة إلى الأمير وعند وصولي استلم الأمير الرسالة وراح يمدح أدهم ويقول : « لو كان يوجد في كل قرية رجل كأدهم لكنّا اليوم وصلنا إلى فرنسا واحتللنا باريس »[1] .

اقتحام العيشية :

السيد عبد الله قميحة أحد رجال أدهم يتحدث عن هذا الاقتحام فيقول : « وصلنا خبر يقول : إن أهل العيشية ، رفعوا « البنديرة الفرنسية » وراحوا يهتفون ويدقون أجراس الكنائس . فاجتمعنا حوالي ثلاثين رجلاً بقيادة أدهم واتجهنا صوب العيشية ، ولما بدأنا بإحراق منزل المختار والمنازل التي رُفعت عليها الأعلام الفرنسية ، جابهتنا فرقة بإطلاق الرصاص ، فرحنا نرد على إطلاق النار بالمثل ، وأشعلنا الحريق في المنازل وغنمنا حوالي أربعين رأس « طرش » وقتلنا ثلاثة من شبان القرية ، وانسحبنا بعدها ، ثم علمنا أن اجتماعاً مسيحياً انعقد في منزل يوسف بك الزين بحضور بعض الضباط الفرنسيين وأن يوسف بك الزين أخذ على عاتقه

---

(١) نفس المصدر السابق: ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ .

تعويض أصحاب المنازل المحروقة »[1] .

إغاثة الملهوف :

الحاج محمد جفال من بلدة كفرصير ، مواليد ١٨٨٧ م . وأحد رجال أدهم خنجر روى الحادثة التالية التي جرت معه بينما كان برفقة أدهم حيث يقول : « كنا خمسة رجال نرافق أدهم بك بجولة ، وعند وصولنا إلى منطقة مشرفة على قرية حبوش ، لمحنا مجموعة من الناس وسمعنا صراخاً واستغاثات ، فقلت لأدهم انتظر لنرى ماذا يجري هناك ، لعلّها مكيدة للإيقاع بك ، لكن أدهم رفض هذا الحديث وهمز حصانه فتبعناه ، فإذا بنا نجد ثلاثة رجال مسلحين يحاولون نهب قافلة كانت مارّة من تلك الطريق تتألف من أربعة أشخاص وثلاث نسوة وبعض الأطفال ، فابتدأ أدهم بإطلاق النار وأصاب أحد المهاجمين وفرّ الباقيان فتبعهما ولحقت به حتى تمكنّا منهما فأطلق أدهم عليهما النار وأرداهما . عدنا إلى مكان الحادث لنستكشف ما حلّ بالقافلة وأعدنا المسلوبات وهي أموال وحلي لأصحابها وأخذنا الخيول الثلاثة وتركنا جثث اللصوص في مكانها بعد أن اكتشفنا أنهم من عصابة مسيحية يرأسها شخص من آل الحوراني من قرية الكفور »[2] .

انقضاض الصقور على الغربان :

الشيخ عبد الله حرب (جد شيخ الشهداء الشهيد راغب حرب) أحد رجال أدهم يقول : « في الفترة التي كانت حركة صادق تهاجم مراكز الفرنسيين ، قام أدهم ورابط على الطريق الساحلية بين صور وصيدا وأخذ يفتش المارة ، ويترك « عيوناً » هناك لإعلامه بكل ما يجري على الساحل ، وذات يوم وصل خبر لأدهم أن عربة البريد ستمرّ من صور إلى صيدا ، فأقمنا

---

(١) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

(٢) نفس المصدر ٣١/٧/١٩٩٠ .

كميناً في منطقة قرب عدلون ، وعند وصولها هجمنا عليها فوجدنا بداخلها ثلاثة جنود فرنسيين وثلاثة رجال مدنيين ، قتلنا الجنود وأخذنا المدنيين ونزلنا بهم تحت جلّ كبير فعرفنا أن أحدهم يدعى يوسف شداد وهو عميل للفرنسيين في منطقة صور كان يكتب تقارير لمخابراتهم عن تحرّك العصابات وكانت له صداقات كبيرة مع بعض الوجهاء المسلمين ويقال أن الفرنسيين عيّنوه قائمقاماً لصور فقتلناه وقتلنا شخصاً آخر من آل متري وعدنا إلى مراكزنا بعد أن أحرقنا العربة والبريد الذي كانت تحمله »[1] .

بين أدهم واليهود :

اتّهم اليهود أدهم خنجر بقتل رجلين وامرأة منهم في مستعمرة التخشيبة أثناء حادث وقع بينه وبين طلائع الجيش الفرنسي الذي كان يتعقّب الثائرين بعد احتلال جبل عامل ، « وقد طوّق الإنكليز ـ حوالي خمسين رجلاً ـ المنزل الذي يسكنه أدهم ومحمد التامر في « الزبيدة » فاعتقد أدهم أن الإنكليز قد اتفقوا مع الفرنسيين على تسليم المحكومين . ففر أدهم من النافذة مدججاً بسلاحه ، فتبين له أن الجند ليسوا إنكليزاً ، إنما هم يهود قد جاؤوا للقبض عليه بتهمة قتله الرجلين والإمرأة . وما كاد يقفز من النافذة حتى صوّب مسدسه إلى رأس أحدهم ، اسمه ـ ألطي ـ وكان مختارهم ، فصاح به : « إذا كنتم تعتقدون أنني من الذين يوثقون بالحبال . . . فقد خسئتم ، فإما أن تأمر أيها المختار . . . هؤلاء الجبناء أن يفكوا الطوق عن البيت وينصرفون وأنا على استعداد لأن أقابلهم بمفردي حيث لا نساء ولا أطفال ، وإما أن أذبحك كما تذبح النعجة .

جَمِدَ ـ الطي ـ في مكانه وراح يتكلم معهم بالعبرية ، فلم يأبه أدهم بالعاقبة ، فأمر رجلين من رجاله أن يلبسا سلاحهما ويركبا فرسيهما

---

(١) نفس المصدر السابق ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ .

ويتبعاه ، ثم صوبا بندقيتيهما نحو اليهود ، وإذا بهم يفكون الحصار عن البيت ويذهبوا ، وقد بقي المختار - ألطي - يتضرع بذلٍّ إلى أدهم . ثم انصرف - الطي - بعد أن تركه . وراح أدهم ورفاقه يتجولون في شارع مستعمرة التخشيبة الوحيد في القرية مستخفين بشأن اليهود »[1] .

وفاء صادق لأدهم :

جرت محاولة لاغتيال الجنرال غورو في الجولان - سيأتي الحديث عنها - ، فنشطت الدولة الفرنسية بملاحقة المجاهدَيْن الحميمين ، وقرر أدهم تلبية دعوة تلقاها من قبل لزيارة بلدة « القريّة » مقرّ سلطان باشا الأطرش فأبلغ أدهم رفيقه صادق عن عزمه هذا . . . ثم ودّعه ورحل .

« وفي أثناء الطريق التقته تجريدة فرنسية يبدو أنها كانت تبحث عنه ، ففاجأته وألقت القبض عليه وساقته مخفوراً إلى بلدة درعا السورية - حيث كانت تقوم قيادة المنطقة العسكرية - لينقل من هناك إلى بيروت بواسطة قطار حديدي وصلت كل هذه الأنباء إلى صادق بسرعة ، فهب مسرعاً لنجدة صديقه الحميم بعد أن عقد العزم على بذل كل جهد ممكن لتخليص رفيقه ومهما كانت التضحيات ، لذلك سار صادق مع مجموعة من رفاقه باتجاه أقرب مكان - بالنسبة لموقعه في ذلك الحين - حيث سيمر منه القطار فكمن مع رجاله حول ذلك المكان بعد أن أحسن توزيع جنوده وبعد أن خلع قضبان الحديد .

وصل القطار يحمل أدهم خنجر وفوجىء بالقضبان مخلعة فاضطر إلى التوقف والمعاينة . وفاجأ صادق وأخوانه المجاهدون رجال الحامية التي كانت ترافق أدهم ، ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس ، استطاع

---

(١) التامر - رضا - ذكريات رضا التامر (بتصرف) من ص ٤٠ حتى ص ٤٤ . بيروت سنة ١٩٦٠ .

صادق في نهايتها أن يعود بصديقه سالماً بعد أن تمكن من إحراق خمس عربات كانت تؤلف القاطرة . ولاذ الجنود المكلفون بسوق أدهم بالفرار »[1] .

أدهم في الأسر :

لم تثن هذه الحادثة أدهم عن زيارة سلطان باشا الأطرش في بلدته « القريّة » ، فعاود المحاولة ونزل في ضيافة سلطان باشا ، وسرعان ما علم رجال الأمن الفرنسيون في السويداء بأمره ، وكان سلطان غائباً عن البيت في الصيد .

وكان الفرنسيون قد أعلنوا أنهم يدفعون أربعة آلاف ليرة ذهبية لمن يأتيهم بأدهم أو برأسه . أغرت الجائزة أحد أعوان الفرنسيين في « القريّة » فأوعز إلى رجال الأمن ودخلوا على أدهم ، وهو يتناول غداءه في بيت سلطان ، وكان أعزلاً من سلاحه ، فقبضوا عليه ، فأثار الغدر أريحيته ، وطفق يؤنب الغادرين : « أيها الجبناء إذا كنتم رجالاً ، فدعوني أحمل بندقيتي وألقوني خارج هذا المنزل ، ثم ليكن عددكم ما شئتم أن يكون ثم لنتبارز » . وكان لهذا الغدر وقع شديد في النساء وأخذن يقذفن الغادرين بأواني المنزل »[2] .

وهكذا ساقته السلطات الفرنسية إلى درعا حيث تم نقله هذه المرة بطائرة عسكرية إلى بيروت .

من أسباب الثورة السورية الكبرى :

. . . ولما عاد سلطان من الصيد ، علم بأمر أدهم . فثارت نخوته ،

---

(١) الراسي ـ سلام ـ لئلا تضيع ـ ج ١ ـ ص ٩٦ . مؤسسة نوفل ـ بيروت .
(٢) ذكريات رضا التامر ـ مصدر سابق ـ (بتصرف) ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

وأضرم النار في بيته من فرط التأثر ، وكسر أباريق القهوة كما كان يفعل فرسان العرب قديماً حين يعتدي أحد على حرماتهم المقدسة . وكانت غضبة سلطان هذه عاملاً كبيراً في اشتعال الثورة السورية الكبرى التي قادها »[1] .

إعدام أدهم :

بعد أن نقل أدهم بطائرة عسكرية إلى بيروت ، « حوكم هناك أمام المجلس العسكري الفرنسي ، فحكم المجلس بإعدامه رمياً بالرصاص ، بوصفه ثائراً على السلطة . . . ونفذ الحكم فعلاً ، وأعدم أدهم برصاص الاحتلال فذهب إلى ربّه شهيداً كريماً في كوكبة الشهداء الميامين . ولم يذهب إعدام بطل مؤمن مثل أدهم دون أن يثير نقمة الجماهير ، فقد اهتاجت الجماهير هذه في بيروت وتصادمت مع الفرنسيين الذين راحوا يطلقون الرصاص على المتظاهرين الغاضبين ، وقد قتل برصاصهم أحد الأهلين وجرح كثير منهم ، إذ حاول رجال الشرطة أن يتولوا هم دفن الشهيد أدهم ، غير أن الجماهير كانت تصرّ على استلام الجثمان الطاهر ليدفن باحتفال يليق ببطولته . ولكن الشيء المؤسف ، أن معظم الذين شهدوا ضد أدهم أمام المجلس العسكري كانوا من بني قومه وأقرب الناس صلة به »[2] .

وقد وصفت جريدة لسان الحال إعدام أدهم بك خنجر بتفصيل وشماتة تخجل من شجاعة البطل الفارس حيث قالت : « في ٢٩ أيار سنة١٩٢٣ وفي حفل عسكري مهيب ، في الساعة الخامسة إفرنجية من صباح اليوم حضر إلى سجن القلعة أربعة من الجنود الفرنسية بسلاحهم فاقتادوا (الشقي) !!! أدهم على سيارة من نوع الكميون ، يحدق بالسيارة شرذمة من فرسان الصباحية ، فتوجهوا به إلى ساحة كبيرة في محلة الروشة اصطفت فيها فرق

---

(١) ذكريات رضا التامر ـ مصدر سابق ـ ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٤٨ ـ ٤٩ (بتصرف) .

الجنود الفرنسية تتقدمها هيئة ديوان الحرب العسكرية في بيروت والموسيقى العسكرية وبضعة عشر نفراً من أهالي تلك المحلة . ولما وصلت السيارة (بالمجرم) !!! أخذت الجنود السلام وعزفت الموسيقى وفقاً للأصول في ظروف كهذه . ثم أنزل أدهم من السيارة وكان يحمل بإحدى يديه كوفية وعقالاً وفي اليد الأخرى يدخّن لفافة من التبغ فاقتاده الجنود الأربعة إلى خشبة نصبت في وسط الساحة وكان لونه ترابياً وعلامة الرهبة ظاهرة في وجهه ؟! ثم أركعوه وشدوا يديه وجسمه إلى الخشبة المذكورة وكان وجهه لجهة الجنود وظهره لجهة البحر . ولما أرادوا ربط عينيه بمنديل رفض . ثم وقف إثنا عشر جندياً على مسافة ستة أمتار من (الشقي) !!! المشدود إلى خشبة الإعدام تحت قيادة أدجودان ثم صدر الأمر بإنفاذ الحكم عليه فأشار الأدجودان للجنود الإثني عشر فأطلقوا النار على أدهم وقد أصاب أكثر رصاصهم جمجمة رأسه ثم اقترب الأدجودان وأطلق رصاصة من مسدسه في أذن المقتول حسب المعتاد ثم صدرت الأوامر للجنود بمزايلة المكان مارة من أمام المقتول على عزف الموسيقى ثم نقلت جثة (الشقي) !!! إلى طنبر البلدية لكي يصير دفنها »[1] .

وهكذا انتهت حياة أدهم بك في الثامنة والعشرين من عمره بعد أن صنع ثورتين : واحدة في حياته وثانية في مماته .

---

(١) السفير ٣١/٧/١٩٩٠ .

جهاد المقاومة خارج جبل عامل

مكر اليهود يلاحق المقاومين :

تراجع الثوار إلى سهل الحولة في فلسطين ، وكان التنسيق قائماً على قدم وساق بين ثوّار جبل عامل وثوّار البدو في سهل الحولة على الحدود الشرقية لجبل عامل ، وكان لليهود مستعمرتين في تلك الناحية هما : مستعمرة طلحة ومستعمرة التخشيبة التي ـ بنيت بيوتها من الخشب ـ .

لقي صادق كل حفاوة وتكريم من عرب الحولة ، وكان رفيق جهاده القديم أدهم خنجر يلازمه مع من تبقّى من الثوّار ، فتحلقت حولهما بعض القبائل العربية ـ بتشجيع من حكومة دمشق ـ كما انضم إليهما عدد كبير من عرب الغوارنة . وكان يتزعم هؤلاء العرب كامل حسين اليوسف »[1] .

مؤامرة يهود مستعمرة طلحة :

كتب الشيخ أحمد رضا في يومياته واصفاً تلك المؤامرة قائلاً : « إن جماعة من عرب الحولة ومن ثوّار جبل عامل كانوا في عين صبور ، فدعاهم

(١) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٣ .

يهود طلحة إلى الغداء عندهم ، فأجابوا الدعوة ، ولما دخلوا المزرعة وباشر اليهود تقديم الطعام أغلقوا أبواب المزرعة وأحس المدعوون بالشرّ وهجمت امرأة يهودية على السيد كامل حسين اليوسف زعيم عرب الحولة وهي تحمل بندقية حربية فابتدرها كامل بطعنة أرداها وعطف على شريكها في الهجوم وهو يهودي أيضاً فأرداه قتيلاً ، وأخذ السيد صادق الحمزة زعيم الثائرين العامليين بإطلاق الرصاص ، ثم ظهر كمين في السقف بين القرميد والبطان ، فأحسوا بالشر وأطلق صادق الحمزة قنبلة كانت بيده على السقف وأتبعها بثانية فتساقط رجال الكمين هلكى وقتلت المرأتان . . . فهجم العرب ـ البدو ـ الذين كانوا خارج المزرعة ، وفي مقدمتهم خالة كامل حسين اليوسف زوجة أبيه شاهرة بلطة بيدها ، وضربت بها باب المزرعة فكسرته ودخلت ، ودخل وراءها الرجال ونشبت معركة حامية قتل فيها من العرب ـ البدو ـ عشرون ومن اليهود ستة ، وأسرع العسكر الفرنسي المرابط في مرجعيون لنصرة اليهود بإطلاق النار على الثائرين ، وظهر على العسكر كمين للعرب (البدو) فتراجع العسكر واليهود ، واحتل الثائرون المطلة ، وأضرموا فيها النار بعد أن أحرقوا مزرعة طلحة »[1] .

المقاومون ينتقلون إلى مرتفعات الجولان :

بعد الحادثة التي تعرض لها الثوار في الحولة ، قرر صادق الحمزة وإخوانه الانتقال إلى دمشق ، وهناك رحّب به الملك فيصل وأكرمه وعيّنه مسؤولاً عن منطقة بانياس (الجولان) . قدم صادق إليها واختار بلدة (زعورة) مقرّاً له . ومن هذا المقرّ كان يعرف أحوال المنطقة كلها .

ولما أعلن استقلال سوريا ونودي بالأمير فيصل ملكاً عليها استدعى الملك ، صادق الحمزة وطلب إليه توزيع المناشير ورفع الأعلام العربية في

---

(١) العرفان ـ م ٣٣ ـ ج ١ ـ ص ٦١٨ ـ ٦١٩ (مذكرات للتاريخ ـ الشيخ أحمد رضا) .

قرى جبل عامل . فدخل صادق لبنان من ناحية هونين فاستقبله الناس بالبشرى والزغاريد ، وكان لتلك الأنباء التي حملها وقع عظيم في نفوس العامليين ، لا سيما أنهم أصبحوا يشعرون بعداء نحو الحكومة الفرنسية »[1] .

لم يطل فرح العامليين بهذه البشرى وبقيام الحكومة الشريفية في دمشق فقد بددت معركة ميسلون كل أحلامهم ودخل الفرنسيون دمشق محتلين فتحول ذلك الفرح إلى غضب يضج في نفوس الناس وتشكلت فرق عسكرية تناهض الاحتلال وتقاومه . وكان من أبرز قادتها في دمشق أحمد مُرَيْود ، فيما كان سلطان باشا الأطرش في جبل العرب يترقب الأحوال ويعد بني قومه لليوم الحاسم »[2] .

محاولة اغتيال الجنرال غورو :

بقيت عداوة الفرنسيين تلاحق صادق حتى وهو بعيد عن لبنان وقد ساءه أن يتحول محمود الفاعور زعيم منطقة الجولان المقيم في القنيطرة من ثائر يعمل بأمرة الملك فيصل ضد الفرنسيين ، إلى جندي مخلص يعمل في صفوفهم وتحت إمرة جنودهم .

أراد غورو أن يكافأ محموداً هذا فقرر زيارته في مقره في القنيطرة « وشاع خبر هذه الزيارة فطرقت مسامع صادق وأعوانه . فاجتمع صادق مع رفيق جهاده أدهم وأحمد مريود وتشاوروا ووضعوا خطة مشتركة تهدف لاغتيال الجنرال غورو وهو في طريقه لتأدية تلك الزيارة »[3] .

وقد نفذت الخطة يوم ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ وأصيب الجنرال غورو

---

(١) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٣) نفس المصدر ـ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

بكُمّ ذراعه المبتورة والتي كان قد خسرها في إحدى معارك الحرب الكونية الأولى . وقتل أمين سرّه القومندان برانييه وأصيب مرافقه حقي بك العظم رئيس دولة سورية في ذلك الحين برصاصة في فخذه وأخرى في ذراعه وثالثة في شفته »[1] .

صادق في الأردن :

جرت الرياح بعكس ما كان يشتهيه صادق . . فقد خسر أعزّ وأقوى أصحابه الواحد تلو الآخر ، وحلمه في تحقيق دولة عربية في دمشق قد بددته معركة ميسلون ، والفرنسيون الذين كانوا يفرّون منه بالأمس ، يعدمون رفيق جهاده اليوم (أدهم خنجر) ويلاحقونه في كل مكان . من أجل ذلك قرّبه الأمير منه . وجاءت جماعة من الأعراب يشكون إلى الأمير رجلاً متمرداً يعتدي على الناس ، ويروّع الآمنين ، وكان مغروراً بقوته البدنية .

استدعى الأمير عبد الله صادقاً وأوكل إليه تأديب هذا الرجل ، والعمل على الحدّ من نشاطه .

جهز صادق حملة من رجاله الخلّص ، وأغار بهم على مضارب ذلك الرجل فاعتقله ولم يستطع الإفلات منه ، ثم اقتاده صادق أسيراً مقيداً ذليلاً إلى ديوان الأمير . فازدادت مكانة صادق عند الأمير . ثم سكن أربد وأصبح يستقبل الناس ويستمع إلى شكاويهم »[2] .

استمرار عدائه للفرنسيين :

ظلّ صادق وفيّاً لدماء أخيه في الجهاد (أدهم خنجر) ومن أجل هذا الوفاء راح صادق يغير على الفرنسيين في درعا بين حين وآخر . . وقد

---

(١) لئلا تضيع ـ مصدر سابق ـ ج ١ ـ ص ٩٦ .

(٢) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٥١ ـ (بتصرف) .

استطاع في إحدى الغارات أن يأسر زوجة الحاكم الفرنسي ، وبعد أن عرّفها بنفسه أطلق سراحها مع سائقها . وهذا التصرف لم يكن غريباً عن طبع صادق إنما هو ينسجم مع نبل خلقه واحترامه للمرأة »[1] .

حادثة طفس :

كان شيخ قرية طفس صديقاً لصادق ، وكان كلما مرَّ بالقرب منها ، كان يعرج لزيارة هذا الصديق . وكانت هذه القرية قد أصبحت تحت الانتداب الفرنسي .

وصلتْ أخبار هذه الصداقة إلى مسامع الفرنسيين فأغروا هذا الشيخ ، ولم يصمد أمام هذه الإغراءات فصمم على الغدر بصديقه صادق ، ثم أولم له ولرفاقه المجاهدين ، وأخبر الفرنسيين بموعد تلك الوليمة .

وفي اليوم المقرر حضر صادق ورفاقه ، فطوق الفرنسيون المكان ودارت معركة حامية بين الفريقين أسفرت عن مقتل شيخ طفس . . واستشهاد عبد الحسن سرور ، من الذين رافقوا صادق منذ حركته الجهادية في جبل عامل وتمكن صادق أن ينجوَ مع باقي رفاقه »[2] .

نهاية صادق :

رُوي أنّ اثنين ـ من سكان بيروت ـ طمعا بالجائزة التي أعلنت عن منحها الدولة الفرنسية لكل من يقتل صادق أو يرشد إلى مكانه ، فعمدا إلى طريق الحيلة ، وذهبا متخفيين إلى الأردن يستجيران بصادق الحمزة ويدعيان أنهما فاران من وجه فرنسا لأنهما قتلا قنصلها في بيروت . وادعيا أنهما يريدان العمل بخدمة صادق فهو وحده الذي يستطيع حمايتهما وانطلت

---

(١) صادق حمزة الفاعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٥٢ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٥٢ (بتصرف) .

الحيلـة علـى صـادق ، فقبلهمـا لاجئيـن . . وأصبحـا يـلازمـانـه فـي حلّـه وترحاله .

وفي أحد الأيام ذهب صادق إلى نهر الشريعة ليصطاد السمك بعد أن يغتسل كعادته . . وكان برفقته هذان الرجلان . وبعد أن أصبح صادق في مياه النهر ، اغتالاه رمياً بالرصاص وهربا . وحملت مياه نهر الأردن جثته التي اختفت ولم يعثر عليها أبداً »[1] .

وقد أكد سلام الراسي في حكاياه ، في مؤلفاته الكاملة ، ما هو قريب من هذه الرواية : « قد علمت من شكيب وهاب أحد أقطاب الثورات والحركات المسلحة في لبنان وسورية أن صادق حمزة رفيق أدهم خنجر قتل في ما بعد بواسطة اثنين من رفاقه هما أبو ذياب الكردي وشريف البعلبكي في حوران »[2] .

. . وهكذا انتهت حياة هذا المجاهد العاملي الفتى الذي دوّخ الفرنسين ردحاً قصيراً من الزمن ، وقوّض مضاجعهم ، فكان بذلك مع أخوانه المجاهدين كأدهم خنجر ، من واضعي الأسس الأولى في مقاومة الاستعمار الفرنسي الجديد ، ولو قدّر لهذه الحركة أن تنجح لغيّرت مجرى تاريخ منطقة بلاد الشام . لكن الله قضى أمراً كان مفعولا .

---

(١) نفس المصدر السابق ـ ص ١٥٦ .

(٢) المؤلفات الكاملة ـ مصدر سابق ـ ص ٩٦ ـ طبعة ثانية سنة١٩٧٧ م ـ مؤسسة نوفل .

نتائج الاحتلال

الإفقار والإذلال والتشريد :

غمر الأسى أهالي جبل عامل « منذ صبَّت عليهم نقمة المحتلين ، بصورة ليس فيها للرحمة ولا للإنسانية ذرَّة ، بعد أن نُهبت ديارهم وقتلت شبانهم ، وفرّق شملهم ، وبيعت أرزاقهم ، وبعد أن ضربت عليهم الضرائب الباهظة ـ التي مرّ ذكرها ـ التي لم يضرب مثلها على بلاد أخرى ، فالمائة ألفَ ليرة سورية ورقية أصبحت خمسماية ألف ليرة ذهبية »[1] والمواشي سيقت بالقوة من مرابطها ومرابضها وبيعت في أسواق فلسطين وغيرها .

« نعم صُبّت عليها المصائب وقتل بعض رجالها (بلاد عاملة) صبراً وظلماً وصيد بعض أطفالها في الطرق كما يصاِد الظبي وكل ذلك في سبيل ثورتها لحفظ كرامة الأمة والاستقلال . ولكن الأمة العربية السورية واللبنانية وقفت وقفة المتفرج على مصارع العامليين لم تمدهم وقت الثورة بالسلاح

(١) العرفان ـ م ٣٦ ـ ج ٢ ـ ص١٣٤ ـ (مذكرات للتاريخ ـ يوميات الشيخ أحمد رضا) .

ليقف رجالها أمام المهاجمين ولم تبذل لهم شيئاً من المواساة حتى بالكلام بل إن بعض زعماء العامليين المسلمين الخانعين تبرأوا من الطائفة فلم يشاركوها في الغرامة بل خرجوا من الديار متجافين في مثل هذه الحال من شدة الوقيعة وعظم المذلّة »[1] .

الوعود الكاذبة والأماني الخداعة :

. . وجبل عامل بعد هذه النكبة غمر الفقر قراه ، وهجره شبابه إلى ما وراء البحار هرباً من الجور والفقر معاً ، فخسرت البلاد خيرة شبابها ، وأصبح جبل عامل يدفع الغرم ومن الغنم يحرم .

وهكذا أخمد الفرنسيون ثورته بالقوة ، وصبت المصائب على هذا الجبل الأشم ، فشرد علماؤه وقتل شبابه المجاهدون حفاظاً على مبادئهم وطمعاً باستقلالهم . لكن العضاريت الرعاديد من كل مشاء زنيم ، ممن هانت عليهم كراماتهم ورخصت نفوسهم ، انقلبوا يحافظون على مكاسب تافهة فباعوا ضمائرهم وأجسادهم للمستعمر الغاشم الدخيل ، فلفظتهم الأمة ، لأن قلوبهم قست فأمسوا كالأنعام بل أضلّ سبيلاً .

. . وكانت هزيمة الثائرين وخسارتهم في جبل عامل هي التجربة التي جرّأت المستعمرين ، فكانت ميسلون وما تمخضت عنه . وأباحت هجرة اليهود إلى فلسطين بتشجيع من الإنكليز وهكذا أنشب المستعمرون أظفارهم لتمزيق الأمة ، وفغروا أشداقهم لابتلاع أشلائها وذهبت وعودهم أدراج الرياح بعد أن أغدقوا على ساسة العرب في ذلك الوقت بالوعود الكاذبة ، والأماني الخداعة ، والشعارات الجوفاء ، وبدل أن يحققوا مآربهم ضد الأتراك بقوة جيوشهم ، نالوها بقوة العرب الزاحفين من قلب الجزيرة العربية

---

(1) نفس المصدر السابق - م٣٦ - ج٢ - ص١٣٢ - (مذكرات للتاريخ - يوميات الشيخ أحمد رضا) .

فابتلعوها لقمة سائغة ، وشتتوا شملها ، وأجبروها على الرضوخ للأمر الواقع ، وبدأت رياح المدنية الغربية الزائفة تعصف في نفوس الأجيال وتطرق بفتنتها عقول الناس ، قصد الوصول إلى هدف واحد لا سواه ، هو إبعاد الأمة عن أصالتها ودينها الحنيف السمح ، ليتسنى لها السيطرة والاستعباد . وبالفعل هذا ما حدث : حكومات جائرة عميلة تابعة للاستعمار الغربي والشرقي ، وقهر للشعوب وفقر مدقع وتأخر وتخلّف وجهل . . وتمزيق للوطن الإسلامي الكبير بحدود وهمية مصطنعة ، وزرع لكيان يهودي غريب في جسم الأمة ، وأوضاع قلقة وأزمات حادة ، وما إلى ذلك من مشاكل مفتعلة أضعفت الأمة وجعلت خيراتها بيد المستعمرين الناهبين . . . ووصل الحال المتردي إلى ما هو عليه في وقتنا الحاضر من ضعف وتمزّق وتشتت .

تقويم عام للآراء والانتقادات حول ثورة سنة ١٩٢٠م

لقد قيل الكثير عن هذه الثورة ، وطرحت آراء شتّى حولها ، وكتبت مقالات عديدة في مختلف الصحف ، منها المؤيد ومنها المندد ، وقدمت أطروحات ودراسات جامعية متنوعة ، لكنها ورغم اختلافها أجمعت على أمر هام هو : « أنها كانت ثورة ضد محتل » .

وقد ذهب البعض ممن يعملون في الحقل التاريخي إلى إخراج بعض الوجوه البارزة إبان تلك الفترة علىٰ أنهم كانوا في مواقع الشبهة والريبة ، وراحوا يشككون بمواقفهم ويتساءلون عن تراجعهم في بعضها ، وقد أنكروا على البعض من الثوّار ثوريتهم ، فحملوا عليهم بشدّة وقذفوهم باتهامات شتى مدللين على صدق ما يقولون ببعض الوثائق التاريخية ، كمراسلات الصحف آنذاك وأقوال ومشاهدات ما تحمله ذاكرة البعض ممن عايشوا تلك الفترة .

آراء حول دور السيد عبد الحسين شرف الدين :

وتحت عنوان : « كيف نلوم كامل الأسعد والسيد عبد الحسين شرف الدين ؟ » ردّ المؤرخ السيّد حسن الأمين في جريدة النهار ، عدد آخر كانون الثاني ١٩٩٠ على أحد السياسيين العامليين الذي ذكر مؤتمر الحجير والسيد شرف الدين مادحاً في خطاب له . قال السيد الأمين معترضاً : « كانت تلك الأحداث وما نتج منها قد شوهت حقائقها واستغلت وقائعها ، وادّعي فيها لأناس فعل ما لم يفعلوه ، كما طمست أفعال آخرين » . ثم نقل السيد الأمين ما جاء على لسان جريدة البشير الناطقة باسم الانتداب الفرنسي من أن السيد شرف الدين قد قدم بيروت مع كامل الأسعد و٣٥ وجهاً من وجهاء جبل عامل لمقابلة غورو ، وأثنى على دولة فرنسا ، ثم تابع مذكراً ، أنه بعد ثلاثة أشهر من هذه المقابلة كان مؤتمر وادي الحجير وكان السيد شرف الدين أبرز وجوهه ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق من فصول هذا الكتاب . يقول السيد الأمين في هذا الصدد : « كان السبب أن شيئاً خطيراً حدث بين ٧ شباط يوم مبايعة الوفد للجنرال غورو و٢٤ نيسان يوم انعقاد مؤتمر الحجير ، وهو أن المؤتمر السوري في دمشق قد أعلن في ٨ آذار ١٩٢٠ م ، قيام المملكة العربية السورية وتتويج فيصل ملكاً عليها » .

لا يمكننا أن نتخذ ما قالته جريدة البشير أو نثبته ، أو نسلّم بصحته تماماً ، لأن جريدة البشير هي الناطق الرسمي باسم الاحتلال . وإذا سلّمنا بأن وفداً عاملياً قدم بيروت لمقابلة غورو ، فهل يعني ذلك أن الوفد جاء مبايعاً للفرنسيين ؟ مع العلم أن البلاد بأسرها كانت تتوق للحرية وتناضل لتكون جزءً من الدولة العربية في سوريا » .

وفي مقالة عبر صفحات مجلة الشراع ، العدد ٢٧٩ ، شهر تموز ١٩٨٧ م مع سماحة السيد محمد حسن الأمين قال : إن السيد شرف الدين هو ثاني إثنين من السلف الصالح بعد السيد جمال الدين

الأفغاني انتهت إليهما زعامة الدعوة للوحدة الإسلامية (ويقصد محمد عبده والإمام شرف الدين) .

وقد أثيرت تساؤلات عديدة حول بعض التشويهات التي ذكرت أن مؤتمر وادي الحجير كان مؤتمراً تحريضياً أفتى به بعض العلماء بوجوب قتل النصارى ، وبعض هذه الآراء بل الإفتراءات ، ما جاء على لسان الأديب المعروف أمين الريحاني ، عن « كون أحد العلماء قد ضرب خيرة بالسبحة على ذبح المسيحيين » . ويقصد بذلك السيد عبد الحسين شرف الدين . ومما يدحض هذا الإفتراء قول السيد نفسه في مؤتمر وادي الحجير في خطبته الشهيرة : « ألا أدلّكم على أمر إن فعلتموه انتصرتم ، فوّتوا على الغاصب الدخيل برباطة الجأش فرصته ، فإنه ما سلّح فريقاً على فريق إلّا ليثير الفتنة الطائفية ويستقر في البلاد ، تعلّه حماية الأقليات ، ألا وإن النصارى إخوان لكم في الله وفي الوطن وفي المصير » .

وإذا كان السيد شرف الدين قد سجلت عليه زيارته لغورو (إن صحّت) فلماذا اندفع خلال مؤتمر الحجير يحث الحضور على الثورة ويضع مقررات المؤتمر ويحملها إلى دمشق . ومما جاء فيها :

١ ـ تأييد مقررات المؤتمر السوري في رفض تقسيم سوريا والانتداب الفرنسي وإعلان الدولة العربية في سوريا وتتويج فيصل ملكاً عليها .

٢ ـ انضمام جبل عامل للدولة العربية ومبايعة الملك فيصل على تطهير البلاد من الاحتلال الفرنسي .

٣ ـ المحافظة على النصارى وحقوقهم وحلف اليمين على ذلك وأخذه على قادة الثوار .

٤ ـ تفويض السيدان عبد الحسين شرف الدين وعبد الحسين نور الدين وزعيم جبل عامل كامل الأسعد بتمثيل البلاد لدى الملك فيصل

ومفاوضته في موضوع تنفيذ هذا القرار » .

ثم نبه إلى أولئك النفعيين الذين راحوا يذرون الملح على الجرح قائلاً : « وكان النمامون من أذناب الفرنسيين يثيرون حماسة الفتيان العرب ليتلاقى طرفا الحيلة الاستعمارية . . . وكان لهؤلاء الإقطاعيين المذبذبين ، شأن في هذا العصيان . . فهم معنا بوجه ولسان . . ومع الفرنسيين بوجه ولسان آخرين ومع الأمير فيصل بوجه ولسان غير هذين » . وإذا كان السيد شرف الدين من المتهمين لدى البعض بالتحريض على مهاجمة النصارى في قراهم ، فلماذا نبّه الثائرين في مؤتمر الحجير من مغبّة الإنزلاق وراء هذا المقصد الذي كانت فرنسا تودُّ حدوثه ليتسنى لها التدخل والسيطرة على البلاد بشكل نهائي .

وقد أشار السيد إلى ذلك بقوله : « وكنا ممن أعذر وأبلى بلاءً حسناً في النُّصح للثائرين بالتزام السكينة . وإيثار الهدوء ، لنعمل في جو صالح للعمل . غير أن الفتنة كانت قد استجمعت عناصرها ، وهبت ريحها تنذر بالخطر ، وتنفخ بوادرها في أطراف البلاد » . وذكّر بما قاله في المؤتمر أيضاً : « ثم وقفت في ذلك الجمع المشهود وتكلمت في الأزمة ووسائل تفريجها ، ووقفت وقفة خاصة عند هذه الفوضى التي تهدد الأمن وأبنت أن الفوضى لن تكون إلاّ من العراقيل التي تخذل قضيتنا وتدلّ على عدم كفايتنا لما نطلبه ، ثم أقسمت اليمين وأخذتها على العلماء والزعماء والوجوه أن نتضامن على حفظ الأمن وإقرار الهدوء والحرص على سلامة المسيحيين بوجه خاص ، وأحضرت بعدئذٍ رؤوس الثوار كصادق الحمزة وأدهم ومحمود الأحمد ونصحت لهم وأمرتهم أن يكفّوا عمّا هم فيه بل هددتهم إن لم يكفوا بالعقوبة والمطاردة » .

وفي ذلك يروي المرحوم محمد علي الحوماني قصة مؤتمر الحجير فيقول : « وقد شهدت ذلك ووعيته بأذني ، واجتمع العلماء والأعيان وذلك

لتأمين سلامة المسيحيين ، وتهافتت الوفود ، وكنت من جملتهم ، فضربت خيمة مستقلة للعلماء والأعيان وأحضروا بين أيديهم الثوار كصادق الحمزة وأمثاله ووعظوهم وحذروهم سوء العاقبة ، ثم وضعوا القرآن بين أيديهم وأخذوا عليهم الأيمان المؤكدة أن لا يمسوا المسيحيين بسوء وبخاصة أهل عين إبل »[1] . ومن المآخذ التي ساقها السيد حسن الأمين في رده على السياسي العاملي في جريدة النهار ، مما أشرنا إليه في بداية هذا التقويم : بعد أن خرجوا من البلاد ، عادوا إليها بجهدون في كل تصرفاتهم أن يمحوا من أذهان الفرنسيين تلك الفترة القصيرة ، فعادوا يبنون علائقهم على أساس ٧ شباط لا ٢٤ نيسان ، فكان من أثر ذلك تلك الوليمة الفخمة التي أقامها السيد عبد الحسين شرف الدين في صور لأحد كبار رجال الانتداب الفرنسي المسيو دافيد وحشد له فيها جموع القرى بطبولها وزمورها فأوحت للشاعر العاملي عبد الحسين عبد الله بقصيدته الرائية الشهيرة التي مطلعها :

لمن الوليمة في مدينة صور ... محفوفة بالطبل والزمور
لاتعجبن فكل شيء قابلٌ ... في الكون للتبديل والتغيير
ما أنزل الرحمان نصّاً ثانياً ... ولكن تبدل منهج التفسير

وقد سألت السيد جعفر شرف الدين نجل السيد عبد الحسين عن صحة هذه الحادثة فأجابني بما يلي : « هذا تزوير للتاريخ ، فقد استعمل من زعم ذلك ، القاعدة الخبيثة نفسها القائلة : « أطلق على خصمك إشاعة تقتل معناه ، أفضل من أن تطلق عليه رصاصة تقتل جسده » . ولكن الأخصام هنا كانوا أبرع فقد هيأوا هيكلية الإشاعة بالدعاية والدعوة وإعداد الطعام عبر سيناريو وضعته القوّات الفرنسية ، وكان ذلك عام ١٩٤٣ م عندما أغروا أحد الأشقاء بترشيحه للنيابة ، وكان عملاء الفرنسيين من أعداء أبي أولئك الذين طالما تربصوا به الدوائر .

---

(١) العرفان ـ م ١٠ ـ ص ٨١٢ ـ ٨١٣ .

اتفقوا مع المسيو دافيد القائم مقام المفوض السامي الفرنسي أن يبادر إلى زيارة السيد الوالد وأوعزوا في الوقت ذاته إلى أعوانهم ليزحفوا إلى صور في اليوم الذي حددوه للزيارة ، ووصلت بهم الوقاحة إلى حد أن يعدوا طعاماً لدى مطعم (طانيوس) إمعاناً في الكيد ، وقد فوجىء أبي بهذه الزيارة بينما لم يفاجأ بعض من حوله من خاصته !! .

وقد حدثني السيد الوالد (والكلام للسيد جعفر) : أنه منذ لحظة دخول هذا الفرنسي عليه واجهه بأنه غير مرغوب فيه وفي دولته إذ صفعه بالآية الكريمة : ﴿ **ولتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ . ليشعره أنه يخاطب يهودياً ممقوتاً كريهاً . هذه الحقيقة التي تكشفت لنا فوراً لأننا نحن بوضوح هذه المؤامرة ولأننا نعرف الجهة التي ائتمرت بنا ، بينما تكشفت لدى الكثيرين من الخاصة والعامة ولكن بعد فوات الأوان وفي طليعة من أدرك حقيقة الأمر الشاعر نفسه (أي عبد الحسين عبد الله) إذ زار السيد الوالد معتذراً معلناً توبته من الإثم الذي ارتكبه بتلك القصيدة قائلاً :

أتيتك يوماً عندما تبت نادماً ... فحييتني طلقاً محياك باسما
تعف عن الجاني يضل طريقه ... وترحم مغروراً وتعذر آثما
سجايا الكرام الغر من آل هاشم ... فلا يصحبون الناس إلاّ أكارما
حنوت على تلك اليمين لثمتها ... وألقيت عني ما حملت مآثما
بني هاشم فخر العروبة أنتمُ ... ذراها صنعتم مجدها والملاحما
ففي كل ميدانٍ تركتم ضحيةً ... تظل لها الدنيا تعج مآتما
حملتُ لك الإخلاص من قلب عامل ... يرفُّ أزاهيراً ويهفو نسائما
بلاد لهذا البيت تاقت نُفُوسُها ... وشدّت على حبِّ الحسين العمائما

هذه القصيدة أرسلها الشاعر للسيد الوالد عام ١٩٤٥ وبعد سنتين من

كتابة قصيدته التي اعتذر عمّا جاء فيها من « جناية » و« غرور » و« إثم » .
وقد هدانا نسختها مؤخراً ابن شقيقته الشاعر كامل عبد الرضا العبد الله » .
ـ انتهى ـ وسوف نورد نسختها الأساسية في آخر الكتاب في باب الوثائق .

يبدو من خلال تتبع هذه الأحداث أن الوليمة « المثيرة » ، قد جرت في زمن بعيد عن ثورة ١٩٢٠ م ، ويبدو أيضاً أن المعارضة السياسية والدينية قد أوحت بالوليمة والقصيدة معاً للإجهاز على انجازات السيد شرف الدين في الحقل الديني والوطني خصوصاً أنه كان من بين الذين استجابوا لهذه المؤامرة من هو قريب وقريب جداً من بيت السيد نفسه .

وبالتالي يمكننا القول أن السيد شرف الدين كان رجل الدين والوطنية ، فمثّل في تلك الحقبة روح الدين خير تمثيل وعمل على تنبيه الشعب من خطر الاستعمار ومساوئه ، ولم يؤمن بالانتداب فعمل ما بوسعه على التحرر فكان فاهماً لرسالته الإصلاحية فعمل ضمن الظروف والإمكانات المتاحة ، وضمن الرؤى التي فرضت نفسها آنذاك .

آراء حول صادق الحمزة ومحمود أحمد بزي وأدهم خنجر :

أما ما يخص قادة الثائرين ، فقد سمعت الكثير والكثير أيضاً ، سمعت أن صادق الحمزة ومحمود الأحمد (بزي) كانا من اللصوص الذين يغيرون على قطعان الماشية ، وقطاع طرق ، ولم تكن لديهما روح وطنية ، وقد اندفعا وراء نزواتهما وشهواتهما ، واستهواهما حمل السلاح ، لأن يشكلا فرقاً تثير حفيظة المواطنين وتنشر الرعب في صفوفهم ، وما إلى ذلك من نعوت واتهامات .

وفي الوقت نفسه كانت كل من جريدة البشير ولسان الحال والمشرق الناطقة باسم الاحتلال الفرنسي أو الموالية له تصف هؤلاء الثائرين وتنعتهم بالنعوت نفسها . ولعلّ بعض العامة والخاصة من الناس قد تأثروا بما كانت

تنشره هذه الصحف . وقد مرّ معنا في فصول سابقة تفاصيل العمليات العسكرية التي قادها الثوار ضد المستعمرين ، وإن يكن هناك ملاحظات على هؤلاء فلأنهم لم يتخرجوا من جامعات ولم يدرسوا في مدارس ولم ينضموا إلى كليات عسكرية ولم تحنكهم الأيام . فصادق الحمزة مثلاً ، عندما استشهد لم يتجاوز عمره الثالثة والثلاثين عاماً وأدهم لم يبلغ الثامنة والعشرين ، ومع ذلك فقد قاموا ونهضوا بحسّهم الثوري الإسلامي الفطري ، وجابهوا أعتى قوة عسكرية متطورة مغتصِبة .

وفي مقال نشره المرحوم الشاعر موسى الزين شرارة في العدد ٣٧٢٦ من جريدة السفير في ١٩٨٤/٩/٢٩ تحت عنوان : حادثة عين إبل لا طائفية ولا سياسية بل فردية ، حيث يقول : « قضية عين إبل لم تكن طائفية ولا سياسية . فوراء المجزرة حادثة شخصية . . كان محمود الأحمد بزي ابن أخ الحاج محمد سعيد بزي الذي كان يوالي الفرنسيين . . أحب محمود ابنة عمه وخطبها فلم يقبله صهراً . . ونقم محمود على عمه ، وأضمر أن يقوم بعمل يسيء إليه . . فكان أن دبر حادثة عين إبل » . - انتهى - .

وقد ردّ على الشاعر شرارة ابن مدينته ، المؤرخ الحاج لطيف بزي وهو ابن أحد الثائرين . فتحت عنوان : « لم تكن حادثة عين إبل طائفية ولا فردية بل سياسية » . أجاب الحاج لطيف على صفحات جريدة السفير ، العدد ٣٧٥٠ تاريخ ١٩٨٤/١٠/٢٤ . قائلاً : « إن قضية عين إبل كانت قضية سياسية ولم تكن حادثة فردية على الإطلاق . . وإن لهذه الحادثة رواسب خلفية مباشرة وغير مباشرة تتصل بالممارسات والتعديات المستمرة التي قام بها أنصار فرنسا وسكان عين إبل بالذات بعد أن زودتهم فرنسا بالسلاح . . . والمعروف أن الملك فيصل أرسل مندوباً عنه إلى زعماء جبل عامل ، هو السيد إيلي الخوري يطلب منهم تأييد الانتفاضة العربية . . . ولما ازداد الوضع العسكري للقوات الفرنسية سوءاً أقدم الجنرال غورو على

إصدار قرار بتاريخ ١٤ شباط ١٩٢٠ يقضي بإنشاء ميليشيات مختلطة محلية تضم متطوعين من أنصار فرنسا . . هذا القرار كان يعني عملياً تنظيم العناصر المارونية والمسيحية الموالية لفرنسا رسمياً ودفعها لمواجهة الحركة المعادية للاحتلال الفرنسي وكان جبل عامل وحده الذي اتخذ النضال ضد الاحتلال فيه شكل الصراع المحلي بين الشيعة وبعض سكان القرى المسيحية . . .

إذن فحادثة عين إبل لم تكن حادثة فردية وإنما كانت سياسية سبقتها تعبئة نفسية من قبل فرنسا والمتعاونين معها ، للشباب المتحمس من بعض أهالي القرى المسيحية في جبل عامل ، تلاها توزيع السلاح عليهم للاستفزاز وافتعال فتنة تتيح لها التدخل واحتلال البلاد والعبور منها إلى دمشق . إن الفرق المسلحة التي وقفت في وجه فرنسا سنة ١٩٢٠ وحاربتها وأنصارها ، إنما كانت تقف في وجه دولة غازية جاءت تستعمر البلاد . وهي لم تحاربها إلّا من هذا المنطلق أو بصرف النظر عن (طبيعة التنظيم والانضباط لهذه الفرق) فإنها قاومت الاحتلال الفرنسي والمؤيدين له في جبل عامل .

أما عن الثغرات والتجاوزات فكانت ناتجة عن عدم وضوح الرؤيا السياسية وذلك لظروف ذاتية تنحصر في أن أغلب رجال الفرق ، كانوا أُميين ، لا يملكون بعد النظر المطلوب في أمور مصيرية ، لكن رغم كل الثغرات ، مازالت أعمال هذه الفرق تفهم في جبل عامل على أنها ثورة ضد محتل . . وضد كل من يشكل السلطة المحلية له .

ويختم المؤرخ الحاج لطيف بزي مقاله ، فيقول : « ومع إيماننا بأن الاحتلال إلى زوال أمر لا شك فيه ، فنحن نسأل الله ، ألا يأتينا في المستقبل كاتب أو شاعر يقول : إن المقاومة في وجه إسرائيل وأعوانها ، كانت عملاً فردياً قام به « محمود أحمد » آخر خطب ابنة عمه فرفض العم أن يتخذه صهراً » انتهى .

آراء حول دور الزعماء المحليين :

أما فيما يختص بالزعماء التقليديين أو الزعماء المحليين ، فقد درجت العادة حتى ذلك الوقت على الولاء شبه المطلق للزعيم . وبما أن جبل عامل كان من بين الأقاليم التي تتحكم فيها هذه العادات الموروثة منذ عهد المماليك أو قبل ذلك العهد ، فإن الزعامة في بعض العائلات أمر بديهي ، لا مجال للنقاش حوله ، وأمام هذا الواقع الجديد الذي آلت إليه البلاد ، وغموض الرؤيا السياسية ، وقع الزعماء التقليديون في حيرة من أمرهم ، فوقفوا ينتظرون انجلاء الصورة في بادىء الأمر ، حتى يستقر الرأي لديهم ، أو بالأحرى كانوا يراقبون ، لأي الفريقين ستكون الغلبة ، حتى يميلوا مع الغالب ضد المغلوب .

وعندما لمس الزعماء ازدياد عدد الثوار وتعاظم نفوذهم وقوّتهم ، واستلامهم أزمّة الأمور في البلاد ، خاف هؤلاء على مراكزهم ، وأيقنوا أن ازدياد نفوذ الثوار سوف يسحب البساط من تحت أقدامهم ، فراحوا يتواصلون مع الفرنسيين ، بعضهم سرّاً وبعضهم علانية ، وذلك بعد أن تأكدوا أن الدولة التي هزمت ألمانيا وتركيا ، لا يمكن أن تُهزم على أيدي بضعة عشر رجلاً أو منطقة بأكملها ، فراحوا يبنون علاقاتهم على أساس أن يكون لهم نصيب من الجبنة عندما يحين توزيعها . ولنأخذ مثالاً على ذلك ؛ عندما عاد الوفد المكلف بنقل مقررات مؤتمر الحجير إلى دمشق ، وجد الأوضاع مستنفرة والأحداث تبشر بالسوء ، وذلك بعد مهاجمة عين إبل ، وكان من أعجب التصرفات ، بعد العودة من دمشق ، أن بعض الزعماء الذين رافقوا العلماء إليها قد رفضوا تجهيز جبل عامل بالسلاح السوري المرسل من قبل الملك فيصل بحجة التعويل على الحلول السلمية . وفي ذلك يقول السيد عبد الحسين شرف الدين في مذكراته « المسائل والرسائل » : « وكان الملك فيصل ؛ وفى بوعده وجهّز إلى الجبل قوافل من العتاد والأسلحة

والأطباء . ولكن الزعيم « كاملاً » أرجع ذلك كله ، تعويلاً على الحلول السلمية ، وأخذاً بالأناة والتساهل » . يضاف إلى ذلك ، ما حدث في مؤتمر وادي الحجير نفسه ، عندما رفض صادق الحمزة السلام على كامل بك ، فنهض كامل وبادر إلى ذلك بنفسه محاولاً تحقير صادق ، ومدللاً على تنازله عن الفوارق بين المرتبتين قائلاً : « ابن سعدى » (أي كامل بك) ، بيطلع لعند « ابن خديجة » (أي صادق » ويسلّم عليه . وكان كامل بك قد حفظ خط الرجعة ، هذا ما ذكره المجاهد الحاج علي فرحات من عيثرون وهو أحد رجال صادق وقال أيضاً : « ذهبنا إلى عين إبل ودبل نطلب منهم أن ينزلوا العلم الفرنسي ويرفعوا الراية العربية ويسلموا لنا أسلحتهم فتدخل أحد الوجهاء من بنت جبيل من آل البزي مع صادق ، وقالوا : بأن كامل بك قد فوضهم ، لغض النظر عن أي هجوم ضد القرية ، فعدلنا عن مهاجمتها إكراماً للتدخلات التي حصلت » . يضاف إلى هذا كله أن كامل بك استنجد بالعسكر الفرنسي لقطع الطريق على صادق وجماعته ، وذلك في شهر شباط أي قبل مؤتمر وادي الحجير بأشهر ، عندما هاجم صادق قرية جويا للاقتصاص من بعض أعوان الفرنسيين المسلحين . وفي ذلك يقول الشيخ أحمد رضا في مذكراته : « هاجمت عصابة قرية جويا . . . فبلغ الخبر كامل بل ، فاستنجد بالعسكر الفرنسي ، فقطعوا الطريق على المهاجمين ، عند عين صبور في أرض الحولة »[1] . وقد أوردنا بعض الحوادث التي تخص بعض الزعماء الآخرين غير كامل بك ، كحادثة الرسالة التي حملها بعض رجال صادق إلى يوسف بك الزين ، والتي مزقها أمامهم ، ولم يستجب لطلباتهم . وما قام به الحاج حبيب وهبي ، أحد رجال أدهم من إعداد الطعام سرّاً للثائرين ، خوفاً من سطوة حسين بك الدرويش الموالي لفرنسا . ثم توالت الأحداث بسرعة ، فإذا بهؤلاء الأعيان الذين اجتمعوا بالأمس ،

---

(١) العرفان ـ م ٣٣ ـ ج ٣ ـ ص ٤٧١ .

يوفدون عنهم اليوم مندوبين إلى بيروت ومعهم عرائض مرفوعة إلى الجنرال غورو يطلبون رفعها إلى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس ، ويطلبون فيها أيضاً إلحاق جبل عامل إلى دولة لبنان الكبير . وباستطاعتنا أن نختم هذا التقويم بما أورده الشيخ أحمد رضا في العرفان المجلد ٣٣ الجزء ٣ الصفحة ٤٧٢ ـ ٤٧٣ : « ورد يوم الاثنين ٢٣ شباط أمر من حاكم صيدا العسكري بأن تستعد النبطية وما حولها لاستقبال الجنرال غورو يوم الأربعاء الساعة التاسعة صباحاً .

فنشر مدير النبطية الأمر وأبلغه إلى مختاري القرى بطريقة رسمية وأخذوا تواقيعهم بالتبليغ . ولما كان يوم الأربعاء اجتمع الجند الفرنسي وكان عدده حوالي المئة مشاة وسبعة وثلاثين فارساً . . ولم يأتِ أحد من القرى المجاورة حتى من أهل النبطية لم يحضر سوى جماعة لا يزيد عددهم على بضعة عشر رجلاً من الوجهاء .

وحضر الاجتماع كامل بك الأسعد من الطيبة وحسين بك الدرويش من جباع والحاج محمد سعيد بزي من بنت جبيل والسيد عبد الحسين محمود الأمين من أعيان بلاد بشارة . ولما أزفت الساعة التاسعة جاءت سيارة الجنرال ومشى الوجهاء بجانبه إلى دار محمود بك الفضل حيث استقبله الشيخ عبد الحسين صادق والشيخ أحمد رضا ومحمد جابر آل صفا .

ثم يتابع الشيخ رضا فيقول :

تكلم الجنرال غورو بما يلي : « أن أهل هذا البلد أهل زراعة ولا شك أن غارات الأشقياء تضرّ بزراعتهم فعليهم أن يتعاونوا لدفع شرّ هذه العصابات حتى لا يستغلها الثائرون وأن النبطية ذات سوق أسبوعية ، فوجود العصابات تضرُّ بها أيضاً وإن مع العصابات قوماً من الشيعة » . فأجابه كامل بك الأسعد : « إن حفظ الأمن ودفع الغارات من أهم واجبات أبناء هذا الجبل وهذا الخلق متمكن منهم وإن وجود بضعة أشخاص مع العصابات ليس معناه

أن البلاد مشتركة معهم » .

عندها استدعى الجنرال كامل بك إلى جانبه وسأله عن حوادث العصابات فقال له كامل بك : إن عمل العصابات غير محصور بالمسيحيين بل يتعدى إلى غيرهم من المسلمين » .

الفصل الرابع

جبل عامل بين نارين :

الانتداب والاستقلال

« لقد ظلم الفرنسيون جبل عامل كثيراً وأساءوا إلى الجنوب واضطهدوه ولم يصلحوا فيه شيئاً ، بل كان عليه الغرم ولغيره الغنم . . . فما الفرق بين عهد الانتداب وعهد الاستقلال !! »

(مجلة العرفان ـ م ٣٥ـ ج ٩ ـ ص ١٤٢٨)

سياسة فرنسا في ظل الانتداب

كان لتأسيس دولة ما يسمى « لبنان الكبير » طعنة للجهود التي بذلها العلماء المجاهدون كالسيد عبد الحسين شرف الدين ، والجهود التي بذلها الثوّار المضحون كصادق الحمزة وأدهم خنجر ورفاقهم الأبطال ، وخيبة لآمال المستضعفين من السكان في جبل عامل .

كان المنطلق لتأسيس هذا الكيان هو المصالح الفرنسية وحاجتها إلى دولة تستطيع أن تستمر بحدودها التي تضمن لها مجالاً حيوياً لكي تلعب دورها ضمن المخطط الاستعماري الذي رسمته الخطة الفرنسية - الإنكليزية (سايكس - بيكو) لاقتسام المنطقة .

نظام الطائفة الواحدة :

عمل الفرنسيون مع الأوساط المتطرفة والداعية إلى إنشاء وطن قومي مسيحي للإستفادة من توسيع حدود جبل لبنان عندما ضمّت الأقضية الأربع : الشمال والجنوب والبقاع وبيروت . « فزادت العائدات التي كانت ١٧٪ في جبل لبنان و٨٣٪ من المناطق المضمومة ، ورغم ذلك فإن سلطات الانتداب

حافظت على امتيازات الجبل فعمّقت سريعاً التناقض في الملحقات »[١] .
ونعم الجبل بامتيازاته القديمة بينما رزحت المناطق المضمومة تحت ثقل الرسوم والضرائب وظلّت الإدارة في يد أهل جبل لبنان دون مشاركة أهل الملحقات ، وتم أيضاً تعزيز النظام القديم (المتصرفية) باستقدام لاجئين مسيحيين كالأرمن والكلدان والسريان ، وباحتضان الموارنة ومحاباتهم في الوظائف « ومن الملفت أن أكثر السياسيين اللبنانيين الذين تعاونت معهم فرنسا في تلك الفترة ، كانوا بأغلبيتهم من الذين عاشوا في المهجر ولا سيما في فرنسا . فمن شارل دباس الذي كان يعيش في فرنسا إلى أميل أدة الذي جاء إلى لبنان على ظهر مدرعة حربية فرنسية وقبلهما كان داود عمون ونعوم لبكي وأوغست أديب وبشارة الخوري وألفرد نقاش وغيرهم من الذين جعلهم الاستعمار الفرنسي كوادره . وقد فعل الفرنسيون ذلك لأن هؤلاء كانوا أصحاب الصلة المسبقة مع الفرنسيين »[٢] .

استمرارية الوضع المتردي :

اعترف الجنرال كاترو المندوب السامي الفرنسي بحقيقة الأوضاع التي آلت إليها البلاد في زمن الانتداب قائلاً :

« إن هذه المواقف . . أثارت الأحاسيس الدينية لدى السكان الذين اعتقدوا أن فرنسا تدعم في ظل الانتداب الطوائف المسيحية على حساب مصلحة المسلمين . . . لقد ساد نتيجة ذلك جوّ من الخيبة والمرارة لاحظت وجوده منذ اللحظة التي استلمت فيها منصب مهمات المفوضية العليا في دولة دمشق في ٢٠ آب سنة ١٩٢٠ م »[٣] .

---

(١) تقي الدين ـ سليمان ـ التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ ـ ١٩٧٠ ـ ص ١٢ ـ دار ابن خلدون ـ بيروت سنة ١٩٧٧ .
(٢) المشروع الماروني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٤١٦ .
(٣) Catroux -Deux missions en Moyen - Orient (1919 - 1920) P:26-28.

وقد عبّرت مجلة العرفان عن واقع تلك الفترة في عام ١٩٢٨ تحت عنوان : الإصلاحات في جبل عامل بعد العهد التركي بقولها : « لم ينل العامليون إصلاحاً يذكر على عهد السلطة الفرنسية سوى تعيين قضاة شرعيين لهم وأكثرهم تعينهم السلطة ممن لا خلاق لهم من الذين يعرقلون أعمال الوطنيين ويوقّعون للحكومة كل ما تريد منهم . وأهم الإصلاحات هي : الطرق المعبدة التي تسهل المواصلات وتنمي الاقتصاديات فهذه لم ينلهم منها شيء ، ولغة المحاكم في المنطقة المنتدب عليها الفرنسيون : العربية والفرنسية على السواء . ولم ينتخب العامليون أصحاب الكفاءة لأنّ الحكومة لا تودّ انتخابهمْ أولاً ولأنّ أولئك أصحاب الكلمة النافذة في البلاد ثانياً . وما يصنع المصلحون مع فقد الاستقلال وتعاد السلاسل والأغلال ولكنهم سائرون في خطتهم ثابتون على عقيدتهم ومن « ثَبَتَ نَبَتْ »[1] .

---

(١) العرفان ـ م ١٥ ـ ج ٩ ـ ١٠ ـ عدد سنة ١٩٢٨ ص ١١٧٢ .

المشروع الصهيوني يمتد إلى لبنان

الأهداف اليهودية في جبل عامل :

بعد التعديلات التي أدخلت على الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية عام ١٩٣١ م ، كان أصحاب المشروع الصهيوني في فلسطين مستمرين في تصور ثابت لمصير لبنان . ولا يزال هذا التصور مستمراً حتى الآن وينفذ بدقة ، وهو يستند إلى هدفين هما :

« ١ ـ احتلال منطقة جنوب لبنان أو جبل عامل وصولاً إلى نهر الليطاني .

٢ ـ إقامة دولة مسيحية مارونية في لبنان لها حدود مشتركة مع الدولة اليهودية »[١] .

ويؤكد هرتزل الهدف الاستراتيجي لقيام دولة إسرائيل اليهودية على أرض فلسطين بقوله : « سنكون نحن جزءاً من السور الأوروبي المرفوع في وجه آسيا سنكون نحن في الصفوف الأولى من الجبهة ، حماة المدنية

(١) المشروع الماروني ـ مصدر سابق ـ ص ٤٤٨ .

وخفراءها ضد البربرية »[1] . والبربرية التي يعنيها هرتزل هي الإسلام .

أصبح « لبنان صورة الغرب الذي في الشرق والحدود التي تنتهي عندها الحضارة الغربية ليبدأ بعدها عالم آخر »[2] .

اتصالات يهودية بزعماء لبنانيين زمن الانتداب :

يقول إلياهوإيلات في مقدمة كتابه الذي أصدره سنة ١٩٧٤ م : « . . . وهناك قيمة سياسية لاتصالاتنا مع الطائفة المارونية في لبنان بعد أن ازدادت الآمال بأن لجنة بيل الملكية اقترحت كحلٍّ لمشكلة فلسطين التقسيم وإقامة دولة يهودية في قسم من فلسطين . وقد اشترك حاييم وايزمان بشكل فعال في الاتصالات . والتقى برفقتي بطريرك الطائفة المارونية أنطون عريضة والرئيس اللبناني أميل إدّه »[3] .

ويعد الياهو ساسون من أبرز القادة الصهاينة الذين أقاموا شبكة من العلاقات السياسية مع زعماء الموارنة فضلاً عن الزعماء العرب . ومن المعروف عن ساسون الذي يتكلم العربية جيداً أنه ديبلوماسي إسرائيلي خبير بالشؤون العربية ، وقد عمل في الصحافة العربية ، وفي عام ١٩٣٠ م تولى منصب رئيس الدائرة العربية التابعة للوكالة اليهودية ، وبناء على توجيهات إدارة الوكالة اليهودية تجول ساسون في البلاد العربية وأقام علاقات واتصالات مع بعض الزعماء العرب »[4] .

وفي بيروت التقى مع زعماء الموارنة : أنطون عريضة وأميل إده

---

(١) (دوڤال جاك) ، (لورروا ـ ماري) التحدي الصهيوني ترجمة نزيه الحكيم ـ ص ٣٤ . دار العلم للملايين ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٩ .

(٢) الحاج ـ بدر ـ الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ قراءة في مذكرات إلياهو ساسون وإلياهو إيلات ص ٦٢ .

(٣) نفس المصدر ـ ص ٤٥ ـ بيروت ـ دار مصباح الفكر سنة ١٩٨٢ .

(٤) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني ـ مصدر سابق ـ ص ٧٧ .

وبشارة الخوري والمطران عبد الله الخوري وغيرهم « ووجد لديهم استعداداً صريحاً وواضحاً للتعاون مع « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين على الصعيدين السياسي والاقتصادي »[١] .

التعاون الثقافي السياسي :

في إحدى لقاءاته مع إلياهو ساسون ، افتخر بشارة الخوري بأن لبنان اختار دائماً « إغضاب العرب بدليل اشتراكه في معرض الشرق الذي أقيم في تل أبيب ، وهذا المعرض هو معرض تجاري نظم عام ١٩٣٤ م وكان هدفه الأساسي عرض منتوجات الاستيطان اليهودي وتوثيق العلاقات التجارية مع الدول المجاورة »[٢] .

وكان أميل إدّه يرى أن الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ليست فقط مصلحة للبلدين ، إنما أيضاً مصلحة لثبات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط . ولما تولى إدّه منصب رئاسة الجمهورية في لبنان وافق على إقامة جمعية الصداقة اللبنانية ـ الفلسطينية من أجل التعاون الثقافي بين المؤسسات الثقافية اليهودية في فلسطين والمؤسسات الثقافية اللبنانية ، وقد أعد قانوناً لهذه الجمعية اهتم به موشي شاريت شخصياً .

وكان اليهود يعبرون إلى لبنان من فلسطين كمصطافين . وقد شكا بشارة الخوري مرة إلى إلياهو ساسون من عدم وصول عدد كاف من هؤلاء اليهود إلى لبنان سنة ١٩٣٩ م »[٣] .

التنسيق الماروني الصهيوني :

في شهر نيسان سنة ١٩٣٤ م وصل إلى بيروت الزعيم الصهيوني حاييم

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٢٩ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٠٩ . .
(٣) نفس المصدر ـ ص ١٠٨ .

وايزمان ، فاجتمع ببعض المسؤولين اللبنانيين وفي مقدمتهم أميل إدّه والبطريرك الماروني أنطون عريضة ، وتم الإتفاق على توطيد التعاون الماروني الصهيوني وتسهيل بيع الأراضي اللبنانية للمتمولين وللشركات اليهودية »[1] .

وفي رسالة مؤرخة في ١٠ نيسان سنة ١٩٣٤ م أرسلها البطريرك أنطون عريضة إلى عمدة الجمعيات الاثني عشرية اليهودية في الأرجنتين ردّاً على رسالة العمدة إليه ، أكّد له العلاقات التاريخية بين اليهود والموارنة : « أما نحن فقد رأينا أنه من الواجب الإنساني والمحبة الأخوية والعلائق التاريخية والدينية التي تربطنا بكم أن نرفع صوتنا عالياً بالاحتجاج على ما ينابكم من الاضطهاد والمكروه ، ونظهر لكم عطفنا ورغبتنا فيما يأل لخيركم وراحتكم ، كما أننا مستعدون أن نؤازركم مع ضعفنا في كل ما يأل لخير أمتكم ونجاحها سالكين بذلك على خطة الإنجيل المقدس وطريقة سلفائنا البطاركة »[2] .

وفي عام ١٩٣٥ م أرسل البطريرك الماروني إلى فلسطين اثنين من رجال الكنيسة المارونية هما : المطرانين : عقل والمعوشي فاجتمعا بحاييم وايزمان ، وتم الاتفاق بين الطرفين للعمل على تحويل لبنان إلى وطن قومي مسيحي مقابل أن تكون فلسطين وطناً قومياً يهودياً »[3] .

الرحلة المشتركة إلى باريس :

« عندما زار إلياهو إيلات البطريرك الماروني في مقره في بكركي في

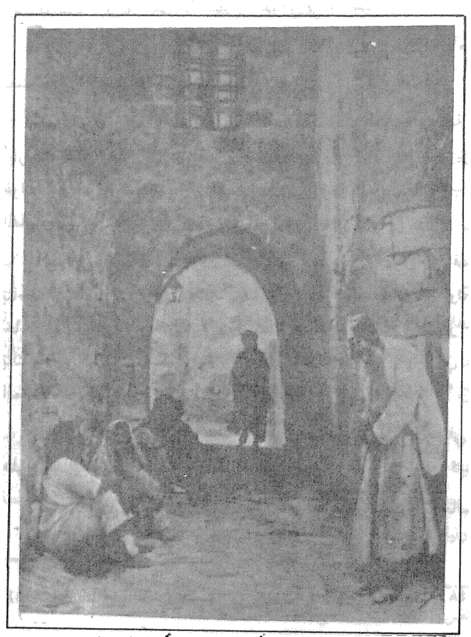
---

(١) « التقرير الإسلامي » رقم ١١ تاريخ ٢٥ تموز ١٩٨٠ ص ٢ (إصدار المركز الإسلامي للتربية ـ بيروت ـ لبنان) .

(٢) من وثائق البطريركية المارونية في بكركي ١٠/٤/١٩٣٤ .

(٣) التقرير الإسلامي رقم ١١ ، تاريخ ٢٥ تموز ١٩٨٠ ص ٢ (المصدر السابق المذكور أعلاه) .

بداية آذار سنة ۱۹۳۷ م ، أبلغه أنه سيسافر بعد أسبوعين إلى روما ، حيث سيلتقي البابا . ومن هناك سيتابع سفره إلى باريس . وفي الزيارة نفسها إلى بيروت ، التقى إلياهو إيلات أميل إدّه وأخبره كما أخبر البطريرك بكل المعلومات المتوفرة لديه عن لجنة بيل الملكية وعن إمكانية طرح مشروع التقسيم .



هكذا كان اليهود يتسكعون في أزقة القدس، في أوائل القرن العشرين.

وأكد البطريرك أنه يأمل أن يلتقي ليون بلوم ، اليهودي ورئيس الحكومة الفرنسية الذي يعده أحد أكبر رجال العصر ، وأضاف أنه في حال لقائه به سوف يعلن أمامه عن تأييده للصهيونية وللمشروع اليهودي في فلسطين . ولهذا وقبل مغادرته بيروت أقامت الجالية اليهودية هناك حفلة تكريم على شرفه حيث قوبل باستقبال ملكي في الكنيس اليهودي الرئيسي في حي اليهود ، وهناك ألقى خطاباً لم يبارك ويمدح فيه الجالية اليهودية في لبنان فحسب ، وإنما أيضاً الاستيطان اليهودي في فلسطين .

ومما قاله عن اليهود في خطابه : « أخوة المصير والأهداف للمسيحيين في لبنان »[1] .

. . . وعلى متن السفينة المسافرة من الاسكندرية إلى البندقية في ٢ أيار سنة ١٩٣٧ م « التقى إلياهو إيلات ورفيقه دوف هوزر مع البطريرك في غرفته الخاصة حيث عبّر دوف في حديثه عن تقديره العميق للخطاب الذي ألقاه البطريرك في الكنيس اليهودي في بيروت وإعجابه به .

وخلال الحديث أكد دوف على أنه إذا قامت دولة يهودية في فلسطين بناء على خطة التقسيم التي تعدها لجنة بيل الملكية فيجب أن لا يكون هناك حاجز بين أرض الدولة اليهودية ولبنان ، وقال دوف : « إنه لأمر حيوي بالنسبة إلى اليهود والنصارى أن يزداد التعاون الوثيق بينهما في جميع المجالات الاقتصادية والتربوية والثقافية والسياسية » .

. . . وأكد إلياهو إيلات على « مدى أهمية حصول الموارنة في لبنان على تأييد الشيعة الذين يقطنون على امتداد الحدود الشمالية لفلسطين » .

. . . ورد البطريرك قائلاً : « . . . لكن الظروف تبدلت في العالم وفي

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٤٦ ـ ٤٨ .

المنطقة بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية وليس باستطاعة المسلمين بعد اليوم تنفيذ رغباتهم ، ووعد البطريرك أنه في أثناء وجوده في روما سيلفت نظر وانتباه رجال الفاتيكان إلى « الخطر الإسلامي » ، وأنه سيحاول تحريك الفاتيكان للقيام بعمل مضاد »[1] .

لقاء البطريرك عريضة مع حاييم وايزمان سنة ١٩٣٧ م :

لدى وصوله إلى باريس أكّد يوسف رحمة سكرتير البطريرك أن الموارنة راغبون بحدود مشتركة مع الدولة اليهودية .

. . وأكّد يوسف رحمة أن هناك مجموعة من الكهنة في بكركي يعملون من أجل إبراز الطابع الماروني للبنان وتحجيم تأثير الإسلام والطوائف المسيحية الأخرى قدر الإمكان .

. . وأثناء وجود البطريرك في باريس زاره حاييم وايزم برفقة إلياهو إيلات . استقبل البطريرك وايزمان بمودة زائدة ، وفي بداية الحديث عبّر وايزمن عن تقديره للخطاب الذي ألقاه البطريرك في الكنيس اليهودي في بيروت ، وردّ البطريرك قائلاً : إن خطابه ليس سوى تكرار لأقوال سبق أن قالها علانية وأكثر من مرة ، وأنه يؤمن إيماناً تاماً بأن على اليهود والموارنة العيش بسلام معاً وتقديم المساعدة لبعضهم البعض . وقال : إن لبنان سيفرح « بحدود مشتركة مع فلسطين اليهودية » .

عبّر وايزمان عن تأييده لكلام البطريرك وقال : إن البطريرك يعرف بالتأكيد أمر المساعدة التي قدمها للبنان أثناء المحادثات التي أقيمت هنا حول مصير صيدا وصور (والمقصود هو إخضاع هاتين المدينتين للسلطة المارونية بالتعاون مع الصهيونية) .

---

(١) نفس المصدر السابق ـ ص ٤٩ ـ ٥٢ .

أجـاب البطـريـرك : أن الأمـر واضـح ، وشكـر وايـزمـان علـى مساعدته . . . وأضاف إن أخطاراً كبيرة ستقف أمام المصالح الفرنسية في المنطقة إذا أعطيت حرية تامة للمسلمين وسوريا المسلمة . فلبنان هو عِكّاز فرنسا في الشرق العربي ، وعلى « بلوم » أن يقوي هذه الدعامة بكل ما في استطاعته »[١] .

محادثات البطريرك عريضة مع البابا في روما :

أثناء وجوده في إيطاليا كان البطريرك يعبر في كل مناسبة عن إعجابه بإيطاليا وموسوليني وبالاستقبالات التي حظي بها ويقول سكرتيره يوسف رحمة : « خلال لقاءاته مع البطريرك في الفاتيكان كان هناك اهتمام شديد بخطة تقسيم فلسطين ، وكان هناك اطمئنان وثقة في أنه عندما سيعلن التقسيم فإن الفاتيكان سيهتم بالحصول على ضمانات دولية بحيث لا تقع الأماكن المسيحيـة المقـدسـة فـي أيـدٍ غيـر مسيحيـة ، وبشكـل خـاص فـي أيـدي المسلمين »[٢] .

أميل إدّه والصهيونية :

يقول إلياهو إيلات في مذكراته : « منذ اليوم الأول لتعرفي عليه ـ أميل إدّه ـ وخلال فترة طويلة من العلاقات الودية بيننا تأكد لي صدق تفكيره وآرائه التي كان معتاد أن يعرضها بصدق لا يثير الشك » .

ورأى أميل إده في الصهيونية وفلسطين اليهودية حليفتين « للبنان المسيحي المحرر » والمحصن من التبعية للإسلام . وقد عبّر عن آرائه هذه في حديث مع إلياهو إيلات . . . وكان أميل إدّه يلحّ على أن يؤمن مشروع

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٥٣ .

التقسيم في فلسطين حدوداً مشتركة بين الدولة اليهودية ولبنان . وقد أكّد على هذه النقطة أكثر من مرّة في أحاديثه مع إلياهو إيلات »[1] .

وتابع إلياهو إيلات قائلاً : عندما علمت أن أميل إدّه سيسافر في نهاية شهر حزيران سنة ١٩٣٧ م إلى باريس ، اقترحت عليه أن يلتقي الدكتور حاييم وايزمن لتبادل الآراء حول موضوعات ذات مصلحة مشتركة بيننا وبين لبنان . . . وقد اشترك في هذا اللقاء إضافة إلى أميل إدّه وحاييم وايزمان وزير الصحة والتربية والاقتصاد في حكومة أميل إدّه ، حبيب أبو شهلا ومدير غرفة رئاسته جورج حيمري . . . » ولا بدّ أن أشير إلى أنه عندما كنت أزور الرئيس إده في بيروت بعد ذلك اللقاء كان يتحدث بانفعال واضح عن لقائه بالدكتور وايزمان » الذي رأى في إدّه « صديقاً مخلصاً يرى الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ليس فقط مصلحة للبلدين إنما أيضاً مصلحة لثبات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط »[2] .

اقتراح ديفيد بن غوريون عام ١٩٣٧ م :

كان بن غوريون متحمساً جداً لإقامة الدولة المارونية في لبنان ، تكون حدودها الجنوبية نهر الليطاني وتكون حليفاً مستقبلياً للدولة اليهودية في فلسطين »[3] .

وفي عام ١٩٣٧ م اقترح ديفيد بن غوريون قيام دولة مسيحية في لبنان على أساس أن قيام هذه الدولة سيشكل مبرراً وحليفاً لقيام دولة إسرائيل . وقد جاء اقتراحه هذا أمام المجلس العالمي لعمال صهيون حيث قال : « إن جوار لبنان يشكل دعامة سياسية رائعة للدولة اليهودية . وذلك أن لبنان هو

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩ ـ ٦٧ .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٦٨ ـ ٦٩ نقلاً عن كتاب : « جلوس صهيون والعرب » .

(٣) Michel Ear -Zohar. The Armed prophet a Biographey of Ben- Gurion, P:91.

الحليف الطبيعي ليهود أرض إسرائيل وإن لمسيحيي لبنان مصيراً مشابهاً لمصير الشعب اليهودي . . . وإن جوار لبنان يوفر حليفاً مخلصاً للدولة اليهودية منذ يوم قيامها ، وليس مستحيلاً علينا أن نجتاز الحدود الشمالية ، حيث يتاخم لبنان حدود الدولة اليهودية ، مما يسمح لنا بالتوسع بموافقة جيراننا المحتاجين إلى عوننا »[1] .

الدعوة لتوثيق العلاقات مع الصهاينة :

في عام ١٩٣٨ م شكل أحد زعماء الموارنة في لبنان المدعو : جورج مشحور فرقة هدفها تدعيم وتوثيق العلاقات بين الموارنة في لبنان واليهود في فلسطين وقد تقدم مشحور بخطة إلى الوكالة اليهودية بواسطة إلياهو ساسون بغية الحصول على جواب من زعماء الحركة الصهيونية جاء فيها : « القدس في ٢٤/٦/١٩٣٨ .

إن إقامة وطن قومي يهودي في أرض إسرائيل (لم يقل فلسطين) !! يعني أنه مع تكاثر عدد اليهود في البلاد سيتغلب العنصر اليهودي على العنصر العربي الذي يضم أكثرية إسلامية . وبما أن السكان المحليين سيعارضون بشدة هذا الأمر ، فإني أعتقد أن على اليهود إيجاد حلفاء لهم في البلدان المجاورة لكي يؤيدوهم في مطالبهم ويساعدوهم على تحقيقها ، ومن الواضح أن غالبية سكان البلدان المجاورة سواء في سوريا أو عبر الأردن هم من المسلمين الذين لن يساعدوا اليهود بأي شكل كان ، لأن الأفكار اليهودية تتعارض مع الوحدة الإسلامية .

ومن جهة أخرى يقع لبنان على الحدود الشمالية ، وعلى اليهود أن يتوجهوا إليه ، وبصورة خاصة إلى منطقته الجنوبية المتاخمة لأرض إسرائيل . . .

---

(١) الصهيونية على لسان زعمائها - جمع وإعداد إسرائيل شاحاك - تقديم الدكتور توما - منشورات جاليلو، القدس سنة ١٩٧٩ - ص ٤٨ .

إنني أتقدم بهذه الأفكار والمقترحات إلى قادة الحركة الصهيونية لدراستها وبحثها ، مع التأكيد على ضرورة الاعتناء بشكل خاص بسكان هذه المنطقة »[1] .

بشارة الخوري يدعو لتهجير أهالي جبل عامل :

ظل جبل عامل الهاجس الذي يشغل رؤوس ساسة اليهود والموارنة ، لأنه يشكل العبء والكابوس الثقيل بمواطنيه المسلمين الشيعة . وبتوصية من المطران عبد الله الخوري فقد زار إلياهو ساسون ، بشارة الخوري عام ١٩٤١ م واقترح عليه هذا الأخير خطة لتهجير أبناء جبل عامل .

ولما تطرق الإثنان في حديثهما إلى ضرورة التعاون بين الدولة اليهودية ولبنان الماروني قال له بشارة الخوري : « يوجد بيننا وبينكم حاجز يجب إزالته ، وهذا الحاجز هو جبل عامل ، هنالك ضرورة لتفريغ هذه المنطقة من المسلمين الشيعة الذين يشكلون خطراً على بلدينا ، وقد سبق لهمْ أثناء فترة الاضطرابات في فلسطين أن تعاونوا مع عصابات المفتي ، (المقصود به الحاج أمين الحسيني) لتهريب السلاح والرجال .

وأوضح الخوري : أنه يجب تفريغ جبل عامل من سكانه وتوطين الموارنة اللبنانيين المهاجرين حالياً إلى أميركا فيه وذلك بعد انتهاء الحرب واقترح على إلياهو ساسون أن تقرض الصهيونية « البطريرك الماروني أنطون عريضة مبلغاً كبيراً من المال لكي يتم شراء منطقة الجبل ـ جبل عامل ـ لإسكان الموارنة فقط هناك في المستقبل وبهذه الطريقة يصبح الموارنة جيراناً لليهود ، ويصبح التعاون سهلاً ودون مضايقات ، وسيقف عندئذٍ اليهود والموارنة صفّاً واحداً أمام الزحف الإسلامي القادم من الشرق ، وبذلك

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٢ ـ ١٠٤ ـ نقلاً عن إلياهو ساسون(في الطريق إلى السلام) .

يحافظ اليهود أيضاً على حدودهم الشمالية »[1] .

ومن خلال هذه الأهداف والاتصالات والتنسيقات والرحلات والمحادثات واللقاءات والاقتراحات والدعوات ، نجد أن جبل عامل لم يغب من مخيلة اليهود وأعوانهم لحظة واحدة ، وقد عملوا على تحويله ليكون بقعة مهمة من الدولة اليهودية في فلسطين ، وليكون منطلقاً إلى غيره من البقاع المجاورة لإتمام قيام الدولة الحُلُم « دولة إسرائيل الكبرى » ، من النيل إلى الفرات » .

ثورة الشيخ عز الدين القسّام وتأثيرها العقائدي :

عزّ الدين القسّام ، سوري المولد ، أزهري الثقافة والعلم ، فلسطيني الجهاد والشهادة .

كان يلقي بمواعظه الدينية ويرغّب الناس بالعودة إلى الإسلام والإلتزام بتعاليمه حتى عمّ المدينة حماس ديني شديد ، فكانت شوارع مدينة حيفا ترى مقفرة إذا أذّن لصلاة الجمعة . وكان قد عوّد نفسه على الجهاد منذ شبابه واستعدّ له ، وكان يتحين الفرص لحمل السلاح والمشاركة في أتون المعارك ، فما أن سمع بغزو إيطاليا لطرابلس الغرب حتى دعا الشعب للجهاد .

وعندما دخل الفرنسيون سوريا باع الشيخ بيته (وهو كل ما يملك) واشترى ٢٤ بندقية وأعلن الجهاد وقاتل حتى سنة١٩٢١ م حيث اضطرّ للهجرة إلى فلسطين »[2] .

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ نقلاً عن ساسون (في الطريق إلى السلام ص ١٠٨ ـ ١١٠) .
(٢) عبد الرزاق ـ جعفر ـ الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ ص ٣٨ ـ ٣٩ .

جهاده في فلسطين :

عُيّن القسّام خطيباً ومدرساً في مسجد حيفا بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة . وكان يجاهر داعياً الناس إلى الكفاح المسلّح ومقاطعة الانتداب البريطاني ، وكان يرفض الخضوع والضعف أيّاً كان مصدره[1] .

وقد استطاع القسام أن يخرّج جيلاً من الثوار حتى أن « ثوار فلسطين في مطلع الثلاثينات كانوا من تلاميذ القسام ، وأعضاء في تنظيماته السريّة . ثم أخذ ينشر بينهم الدعوة إلى الثورة ضد الأجانب الكفّار يهوداً كانوا أو بريطانيين »[2] . ولما كان قد أعد العدة لثورة شعبية تستطيع مواجهة القوات البريطانية والعصابات الصهيونية ، ولما كانت منطقة شمال فلسطين ساحة تحركه وتنظيمه ولضمان أن يثور الشعب الفلسطيني مرة واحدة اتصل بالحاج أمين الحسيني طالباً منه إعلان الثورة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو في الشمال ، وقد رفض الحسيني الثورة المسلّحة لأنه يؤثر التوصل إلى الحلول السياسية ، وعندما أيقن أن موعد الثورة قد حان ، ألقى خطاباً في جامع حيفا ، استقال فيه من وظائفه ودعا الشعب إلى اللحاق به في الجبال »[3] .

الثورة المسلّحة :

في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ م غادر القسّام يرافقه ٢٤ رجلاً من أنصاره المسلّحين ، حيفا قاصدين ضواحي جنين للحضّ السري على الثورة ، وتدريب الفلاحين على السلاح ، وتشكيل « البؤرة الثورية » وهي الصيغة التي اعتمدها تشي غيفارا في بوليفيا بعد حركة القسّام بأكثر من

---

(١) نفس المصدر ـ ص ٣٩ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٤١ .
(٣) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢ .

ثلاثين عاماً . وجاء اختيار القسّام لقضاء جنين دون غيره لوقوع هذا القضاء وسط جبال الجليل الوعرة ، ذات المواصلات الصعبة ، التي تعيق تحرّك قوات الاحتلال البريطاني . ولما اكتشف أمر القسّام من قبل البريطانيين ، اجتمع المندوب السامي بكبار القادة العسكريين في فلسطين لمواجهة الموقف والحيلولة دون انتشار شرارة الثورة إلى بقية البلاد ، فجهزت حملة عسكرية بريطانية ، حيث ضيقت الخناق على القسّام ورفاقه المختفين في غابة (يعبد) . ودار اشتباك غير متكافىء حيث كانت الحملة البريطانية تقدر بخمسماية جندي ، واستمرت حوالي ثماني ساعات أسفرت عن استشهاد القسام واثنين من رفاقه هما : الشيخ يوسف الزيباوي والشيخ محمد حنفي أحمد (مصري) .

لقد كان لاستشهاد القسام البطولي أثر عميق في فلسطين كلها ، وأصبح رمزاً للتضحية والفداء حيث أثار الحادث عواطف الجماهير وحماسها فقابلوه بمظاهر جياشة من الإكبار وشيع جثمانه في حيفا بتظاهرة كبرى نادت بسقوط الإنكليز والوطن القومي اليهودي »[1] .

الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ م :

ثورة كأكبر ثورات العالم الإسلامي ، جماهير غاضبة تتصدى للحاكم الظالم ، تضحي . . . تبذل دماءها . . . أموالها . . . أبناءها في سبيل هدف مقدس قد تقترب منه .

كان تلاميذ القسام الذين بذر في نفوسهم بذرة الرفض والثورة وعلمهم دروس الجهاد في مدرسة العقيدة ، هم الذين أشعلوا فتيل الثورة ، انتقاماً لقائدهم ومعلمهم ، وانتقاماً لكل الدماء التي سفكها الصهاينة ، وانتقاماً للكرامة المهدورة والشخصية المسحوقة . امتدت الثورة واتسعت كالنار في

(١) نفس المصدر السابق ـ ص ٤٣ ـ ٤٤ .

الهشيم فشملت المدن الفلسطينية وعمّت الاشتباكات والتظاهرات والإضراب العام في البلاد إلى أن تعلن الحكومة موافقتها على مطالب الشعب الفلسطيني .

وإسلاماه تتجدد :

فبعد شهر ونصف من بدء الحركات الثورية أخذ يتسرب إلى فلسطين من شرقي الأردن وسوريا ولبنان والعراق مسلّحون يقاتلون إلى جانب إخوانهم . « وجاء على رأس فريق منهم ثلاثة من أبطال الثورة السورية الكبرى وهم الشيخ محمد الأشمر ، وسعيد العاص ، وفوزي القاوقجي الذي كان يعمل حينذاك مدرساً في الكلية العسكرية ببغداد فاستقال وتوجه يرافقه خمسماية من المجاهدين العراقيين . . . وكان لقدومهم أثر كبير على الفلسطينيين فازداد حماسهم واندفاعهم ، وانتعشت آمالهم »[1] .

وكان أهالي جبل عامل المعين الأول لهذه الثورة التي قادها المجاهد المناضل الشيخ عز الدين القسّام ضد الإنكليز والاستيطان الصهيوني . « وتحول سكان البلدان والقرى الحدودية العاملية إلى خير مساعد بالرجال والمال والسلاح والتموين لثوار فلسطين ، وتحولت قرى المنطقة إلى مأوى ومنطلق أساسي لرفاق القسام في مواجهة جيش الانتداب البريطاني وعصابات الإرهاب الصهيونية »[2] . واهتمت الأوساط الشعبية في العراق ولبنان والأردن وسوريا بالثورة ، كما ساهم أبناء هذه الأقطار في تغذية الكفاح بما كانوا يرسلونه من مساعدات .

« أما في لبنان فقد كانت الطوائف الإسلامية هي الأكثر اهتماماً وعطفاً ، فتكررت المظاهرات والإضرابات في صيدا وطرابلس وصور بنوع

---

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ٥٦ .

(٢) غانم ـ محمد ـ قضية شعب وأرض ـ ص ٢١ .

خاص وتسلل مسلّحون عديدون من أهلها وجمعت بعض التبرعات »[1] .

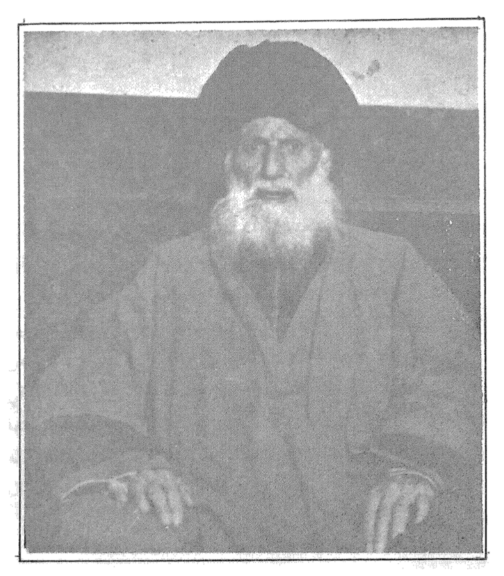
نداء السيد محسن الأمين العاملي :

على أثر ثورة الشيخ عز الدين القسّام التي أشعلت فلسطين بأكملها عام ١٩٣٦ م وعلى أثر المجازر التي ارتكبها الاستعمار البريطاني اللئيم ، وعلى أثر المعارك الضارية التي شنّها المجاهدون ، وجّه حجّة الإسلام المجاهد ، المرجع الكبير السيد محسن الأمين العاملي النداء التالي : « لقد روعت فلسطين ـ شطر الشام الجنوبي ـ بأشد ما روع به قطر ، واستقبل العرب فيها أعظم ما يستقبله الشعب ، وصابروا فيها أقوى ما يصابر الأبطال ويغالب الفحول . ففي كل يوم نضال واقتتال ودم بريء يهدر وحقّ مهضوم يستصرخ وفواجع في الأنفس والأموال والثمرات ، وصراع قائم بين الحقّ والباطل ، ومن خلف الباطل دولة من أقوى الدول عديداً وعدّة ، أما الحقّ في هذا الصراع فهو أعزل إلاّ من قوة الإيمان ، مخذول إلاّ من نصرة العقيدة . إن هذه البقعة من الأرض التي تضم أولى القبلتين وثالث الحرمين ، والتي درج منها عيسى ، وأطلّت منها دعوته ، هي اليوم موطىء الطوائف من أخلاط الشعوب يمدون الأيدي لاستلاب الإرث القومي التليد وانتزاع مخلفات الجدود . ولئن هوجمت هذه البقعة المقدسة هذا الهجوم الجائر ، فقديماً ما ثبتت على الكوارث ومحن الحياة وقاومت بشمم وإباء غارات الطامعين ، وناضلت بأنفٍ وحفاظ جيوش الفاتحين . ولم تكن تلك الغارات التي أذكاها الغرب شنتها أوروبا يوم ذاك لتوهن صخرة الجهاد فيها وتغل عزائم الذائدين عن الديار والمحامين عن الحقائق . وما تبرح ذكرى حماتها المغاوير وأبطالها المذاويد ماثلةٍ في كل ناحية تحفز الخلف إلى تقفّي السلف في الجهاد والذياد ، وليس الأبناء اليوم بأقل عزيمة ، وألين شكيمة

---

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ .

من الأجداد بالأمس . كما خرجت فلسطين من تلك الغمرات هازمة ظافرة وظلت عربية صريحة فكذلك يحقق حماتها اليوم الظفر لها والهزيمة لأعدائها ، وستخرج ظافرة هازمة وتظل عربية صريحة »[1] .



سماحة آية الله العظمى السيد محسن الأمين العاملي (أعلى الله مقامه).

---

(١) الأمين ـ حسن ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ـ م ٣ ـ ج ١٢ ـ ص ١٩٤ . دار التعارف ـ بيروت ـ سنة ١٩٨١ ـ الطبعة الثالثة .

صيحات التحذير

ما انفك العلماء المجاهدون والمصلحون والغيارى على جبل عامل يرفعون أصواتهم جهراً مطالبين بإنصاف هذه البقعة لتحصل على حقوقها المشروعة ، فكانت صيحات العلماء المحذرة والمنددة بما لا يتوافق مع القواعد الإنسانية المشروعة ، وكانت توجيهاتهم ونصائحهم للمسؤولين والمعنيين . وكانت كلمات الاستغاثة عبر الجرائد والصحف والمنابر من قبل الغيارى على هذا الجبل الأشم في حقبة عصفت رياح الغرب الحاقد في بلادنا ، في حين ثبتّت فيه فرنسا المستعمرة ، طائفة معينة وصنعت منها الإبن المدلل ، فيما فرض الإذلال والإهمال على جبل عامل تأديباً له ولسكانه على ما فعلوه في انتفاضة عام ١٩٢٠ م . فكان جبل عامل ومازال يدفع الغرم ومن الغنم يحرم .

مواقف العلماء :

. . .وأول من حمل هموم هذا الجبل المرابط هو سماحة العلاّمة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس ثراه) الذي ما برح يطالب بحقوقه في كل محفل ومقام .

وها هو يوجه نداءً إلى الدول المتحالفة إبان الحرب العالمية الثانية ، يجدد فيه الإصرار على استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ، وإعادة ما اقتطع منها وذلك في ١١ تشرين الأول سنة ١٩٤١ م جاء فيه :

« كان للعرب خلال الحرب العالمية الأولى صوت بعيد المدى متجاوب الصّدى ، وجهاد صادق بذلوا فيه أموالهم وأنفسهم . مؤثرين فيه موت الكرام ، على حياة اللئام . يريدون ليحطموا الأغلال ، طلباً للحرية والاستقلال .

وكان ساسة العرب يعلقون كبير آمالهم ، على الحلفاء ، وينيطون بهم الثقة البلهاء في ظروفهم السوداء . حتى إذا وضعت الحرب أوزارها ، تكشف للعرب أنهم وضعوا آمالهم في معسلة من الكذاب ، ومشربة من السراب . فإذا بتلك الوعود هراء ، وتلك العهود هباء . وأنهم يعانون على يد (حلفائهم) من الإحن ، ما يعاني المفاجأ بقلب ظهر المحن . وقد خبّأ الدهر له عجباً .

ولم يكن أشرس المخبآت ، ضروب العدوان ولا أمضّيها ألوان الهوان . ودع عنك تقطيع البلاد ، دويلات أشتاتاً . وتمزيق الأديان طوائف أنداداً . وتفريق الصفوف طرائق آهادا .

وهذه سورية مختزلة التخوم ، مجتزأة الأطراف ، وقد بيع لواء اسكندرونها ، ومقاطعة عموريتها . حتى إذا ثارت حفيظة رجالاتها رموهم بالعصيان ، وأخمدوا ثائرتهم بنيران الطغيان .

. . . وإن الشعب العاملي . وهو سهمٌ في كنانة العرب . وسيف في قرابهم ، يدلي بدلوه مع دلائهم بمطالبه المصيرية التالية :

أولاً : الاستقلال التام الناجز لسورية بحدودها الطبيعية التي عرفت بها في مختلف حقب التاريخ والتي كانت عليها قبل الحرب العالمية الماضية .

ثانياً : إن سورية بحدودها هذه وحدة لا تتجزأ . وإعادة أجزائها المقتطعة التي كانت تعرف ببرّ الشام في العهد التركي وما قبله ، شرط حياتي لا نتنازل عنه .

ثالثاً : إن الدولة العربية السورية ترى نفسها بحكم العوامل الجغرافية والتاريخية والاقتصادية واللغوية والقومية مضطرة مصيرياً إلى المساهمة في اتحاد عربي مع الدول العربية الشقيقة المجاورة . يكون مبنياً على إلغاء الحواجز الجمركية ، وتوحيد برامج التعليم والسياسة الخارجية ، والدفاع .

رابعاً : إن فلسطين من سورية بمنزلة العينين من الوجه ، ومن العرب بمنزلة القلب من الجسد . ولا قرار واستقرار بانفصالها عنها ، والرفض حتى الموت لوعد بلفور .

خامساً : لا يرضى السوريون والعرب إلاّ باسترجاع لواء الإسكندرون ، ومقاطعة عمورية إلى سوريا الوطن الأم .

سادساً : العفو العام عن جميع المعتقلين والمبعدين من جميع الأنحاء السورية .

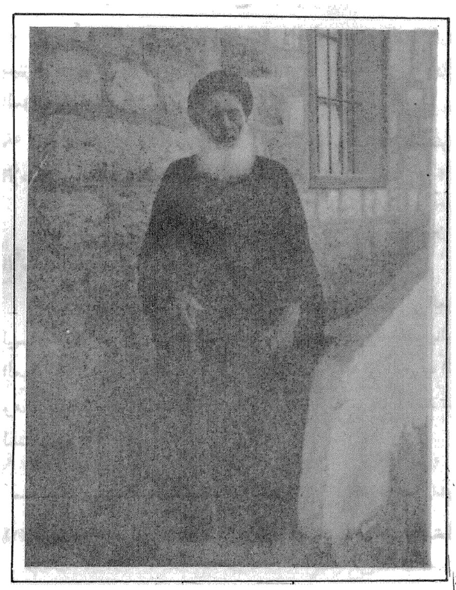
إننا إذ نتوجه بهذا النداء إليكم فلأننا نعلم أن النظرة إلى العرب ، اليوم ليست كالبارحة وأن حلفاء اليوم يريدون ليكفروا عن الخلف بالوعد ونقض العهد بعد الحرب العالمية الأولى ، بالوفاء للعرب في الحرب الراهنة . . . وهذا ما تقررونه أنتم سلباً أو إيجاباً . فاختاروا ما هو أحمد للعقبى وإننا لمنتظرون »[1] .

---

(١) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين ـ ص ١٧ ـ ١٩ بخط ولده السيد جعفر .

انتفاضة جبل عامل سنة ١٩٣٦ :

ومن الذكريات العاملية ، التي تستحق الذكر والوقوف عندها ، انتفاضة بنت جبيل وصيدا وصور والنبطية . بل انتفاضة جبل عامل على مدى فترة الانتداب . عندما كانت قضية فلسطين تتفاعل من جراء ثورة الشيخ عز الدين القسّام . « وقد انتفضت مدينة صيدا سنة ١٩٢٨ م فاعتقل المجاهد



سماحة العلامة
المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين: الصوت المدوي في العالم الإسلامي

الشيخ أحمد عارف الزين »[1] .

كانت سنة ١٩٣٦ محطة وطنية في جبل عامل على أثر إعلان الثورة في فلسطين وفرض الفرنسيين شركة حصر التبغ وتزويرهم الانتخابات الفرعية في النبطية . هذه الأحداث حركت أحلام العامليين والوطنيين بالوحدة مع سوريا وعمّدوا توجههم بالبطولة والشهادة والسجن ففي تلك السنة شغر مقعد أحد نوّاب النبطية فرشح المستشار الفرنسي القوي بتشكوف من يرتضيه لتمثيل النبطية في مجلس النواب غير مبال برأي الناخبين وقد واجهه جبل عامل في اجتماع منقطع النظير برفض مرشحه وفرض مرشح الشعب ، ورفع الشعر الشعبي شعار المرحلة فتلقفت الجماهير العاملية حداء ونداء :

بشكـــــوف خبّـــــر دولتـــــك   مبعـــوثنـــا عبـــد اللطيـــف
بـــاريـــس مـــربـــط خيلنـــا   ورصـــاصنـــا يلحـــق جنيـــف

واستمر الرفض لتسلط الانتداب وعملائه « حتى بلغ حد المناداة بالوحدة مع سوريا فاعتقل الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان وعادل عسيران ومعروف سعد في صيدا . وخرجت صيدا وصور والنبطية وبنت جبيل إلى الشوارع وأقاموا المهرجانات في المساجد.ولم يستقروا حتى أفرج عن المعتقلين »[2] .

وانتفضت بنت جبيل وعيناثا ترفض البندرول وتساند مزارعي التبغ فواجهتهم حراب المستشار ليبلوا بلاءً حسناً في صدها ، « ويمعن المستشار في غيه فيعتقل الحاج علي بيضون وعلي بزي (النائب والوزير السابق) . وموسى الزين شرارة وأنيس الإيراني . وتتطور المواجهة فيستشهد مصطفى

(١) من دفتر الذكريات الجنوبية ـ ج ٢ ـ ص ٣٠ ـ المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيرت ـ سنة ١٩٨٤ (ذكريات السيد جعفر شرف الدين) .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٣١ .

العشي من بنت جبيل ومحمد جمَّال وعقيل دعبول من عيناثا وتقتحم الجماهير دار الحكومة ويحطم المناضل حسن بسام باب سجنها »[1] .

(١) نفس المصدر ـ ص ٣١ .

جبل عامل بين عهدين

جبل عامل بين عهدين : (الاستعمار ـ الاستقلال) :

تحت هذا العنوان في العرفان عبّر الدكتور نزار رضا عن واقع الحال في تلك الفترة من تاريخ جبل عامل الحافل بالحرمان المتعمد والقهر المفروض فأورد ما يلي : « جبل عامل بقعة تبلغ ربع لبنان مساحة وسكاناً ، تغذي الدولة بالقسم الأوفر من ميزانيتها . . . وبالرغم من مشيئة سكانها قاومت الضم إلى لبنان الكبير والجمهورية اللبنانية ، معلنة سخطها متظاهرة محتجة بعد أن قامت بثورتها التي كبدتها خسائر في الأموال لم تزل تئن من ثقلها إلى اليوم ! كانت في عهد الانتداب ثورة دائمة على الغاصب تحن إلى الرجوع لأمها سورية . . . فأهملت من كل إصلاح أو رقي . . . فكان عليها أن تقاوم على جبهات عدة ، أهمها شبح الطبيعة ، وإجحاف السلطات وتنكر المنتدب ، ورغم كل هذا فقد تمكن أهلها بفضل عصاميتهم من اقتباس كثير من سبل المدنية فحسنوا أحوالهم ورشفوا لبان العلم فتفتحت أمامهم السبل . . . تستوفي الخزينة اللبنانية ثلث مالية هذه المنطقة ولا يصرف عليها شيء ، فعليها الغرم ولغيرها الغنم ، تلك حالتها في عهد الانتداب ثم كانت

الحرب وكان أن توصل لبنان بفضل الوضع العالمي والتنافس الدولي إلى استقلاله . . . فاستبشر القوامون على الحركات الوطنية الاستقلالية في جبل عامل وحسبوه عهداً وضّاء . . . وإذا بالمقاييس تبقى كما كانت . . فلم يشاهد أهل هذه المنطقة طريقاً عُبّد أو إصلاحاً أجري ، أو سهولاً أرويت ، أو مياهاً أصبحت في متناولهم . . سوى مواعيد عرقوبية ، وموازنات توضع ثم تصرف لغير ما وضعت له . وزاد الطين بلّة أن أشاعت الحكومات بينهم روح التفرقة وغذّت الزعامات الإقطاعية . . . ألا وقد طفح الكيل واتسع الخرق ولم يعد بالإمكان وقفه . هذه هي حالة جبل عامل بين عهدين : عرف من الأول مرارته وحرمانه ، ولم يعرف من الثاني إلاّ اسمه وإعلانه »[1] .

الاستعمار ـ الانتداب ـ الاستقلال :

« . . . إن عهد الاستعباد التركي والانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال في جبل عامل سواء . فقد أهمل رجال عهد الاستقلال جبل عامل ، كما أهمله الفرنسيون من قبلهم ، والأتراك قبل ذلك ، وهو يعتب على الزعماء والنواب وقد وعدو الجنوب المواعيد الكثيرة ولم يهتموا به »[2] حيث « مازالت الطائفية مراعاة في حكومة لبنان ، فغرش الفقير وزع على المعاهد والمدارس حسب الطائفية ، بيد أن الطائفة الشيعية ما برحت ولم تبرح ولن تبرح محرومة من حقوقها في التوظيف ، فلا محافظ لها ولا مدير ولا رئيس محكمة في المحافظات ولا ولا . . . الخ »[3] . ولم يصادف جبل عامل في عهد الاستقلال إصلاحاً يذكر ، « ولم ينفّذ به فعلاً إلى الآن مشروع تعليم ، ولا مشروع طرقات ، ولا مشروع ماء ، ولا مشروع إصلاح ولا موظفين ولا

---

(١) العرفان ـ م ٣٦ ـ ج ٦ ـ ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .
(٢) العرفان ـ م ٣٦ ـ ج ٢ ـ ص ٢١٦ .
(٣) العرفان ـ م ٣١ ـ ج ٧ ـ ٨ ـ ص ٤٤٠ .

ولا إلى آخر ما هنالك من ولا فإلى متى ؟! وإن قيل ما بعد الصبر إلاّ الفرج . فنقول من كثرة الصبر الروح قد خرج ومن له أذنان فليسمع »[1] .

« وإنه لمن العار أن نرى جبل عامل الذي كنّا نأمل أن نراه مهد العلم والثقافة والرقي في العهد الجديد نراه اليوم مهداً للفقر والجهل . . . إن رقي الأمم يتوقف على رقي شبابها المثقف المدرب وشبابنا محروم أسباب الرقي والثقافة . أين شبكة المواصلات المنتشرة في جبل عامل كما هي في جبل لبنان ؟ من السبب في كل هذا ؟ لا يجهل أحد السبب : إن جرثومة جبل عامل الفتاكة هم زعماؤه ومن لفّ لفّهم »[2] .

وقد عبّرت العرفان أيضاً في تلك الحقبة عن المرارة التي يعانيها سكّان جبل عامل ، وعن حياة السكان فيه : « إن الوطن يتساوى سكانه في الحقوق والواجبات ، لكن جبل عامل مجبر على القيام بالواجبات ، ومحروم من نيل الحقوق »[3] .

واقع الزعماء العامليين في الأربعينات :

استطاع الفرنسيون أن يجتذبوا عدداً من الزعماء في جبل عامل إلى جانبهم ، وقد شاركوا الاستعمار الفرنسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في قهر وظلم وحرمان أهالي جبل عامل من أبسط حقوقهم . وقد عبر المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية (طاب ثراه) عن ذلك الواقع عبر مقال طويل في مجلة العرفان جاء فيه : « أما النوّاب فقد بعدت الشّقة بينهم وبين العامليين ، فعمّ الاستياء جميع الأفراد ، وتجاوز المتعلمين وأهل الإفهام إلى رجل الحقل والشارع . والنواب هم الذين سببوا هذا السخط والإشمئزار . فلم

---

(1) العرفان ـ م ٣١ ـ ج ٧ ـ ٨ ـ ص ٤٤٣ .
(2) العرفان ـ م ٣٦ ـ ج ٧ ـ ص ٧٦٢ ـ ٧٦٣ .
(3) العرفان ـ م ٣٧ ـ ج ٥ ـ ص ٥٨٠ .

يبلغوا منصب النيابة حتى أعلنوا الحرب على بعضهم بعضاً وأطلقوا العنان لغرائزهم ونسوا الأمة التي منها استمدوا قوتهم ونفوذهم .

إن صالح الأمة يحتم عليهم الإتفاق والعمل يداً واحدة في سبيل الحصول على حقنا المغتصب لنصل إلى بعض ما نالته الطوائف التي يضمها لبنان ، ويكون جيلنا المنكوب جزءً قولاً وعملاً من جمهوريته المحروسة !! .

لم يمرّ دور من أدوار التاريخ على جبل عامل سنحت فيه فرصة العمل مثل هذا الدور الذي أضاعه النوّاب بالتناحر والمناورات . إن انقسامهم لم يسبب إهمال البلاد وضياع حقوقها فحسب ، بل أساء إلى سمعتها وشرفها ، وأعانت على إظهار ما تنطوي عليه نفوسهم من النزعة إلى الاستقلال وجمع المال وحبّ الشهرة والسلطان الذي أثار في قلوبهم الغلّ والأحقاد .

. . . يا ويلتا ، أنبقى نحن نتخبط في ظلمات الجهل والفقر ؟ أيبقى الفلّاح العاملي يشرب الطين والزبل المذاب ، ويذوق من الأمراض ألوان العذاب ؟ أنبقى صاعدين في جبل هابطين إلى واد ؛ تمزق ثيابنا الأشواك وأجسامنا الأوعار ؟ أتبقى أطفالنا على المزابل تلعب مع القطط والكلاب ؟ أتبقى رجالنا منبوذين في زوايا الإهمال والخمول . والنوّاب وأذنابهم يركبون السيارات الفارهة ويلبسون الثياب الفاخرة ، وينعمون بأطايب العيش ، ويسيحون للنزهة ، ويقضون أوقاتهم في المقاهي والملاهي على حساب العامل والفلاح الذي يكابد حمّارة الصيف ، وصبارة الشتاء ، ويعاني في جميع أدوار حياته البؤس والشقاء »[1] .

قفوهم إنهم مسؤولون :

لقد تجاوز صوت السيد عبد الحسين شرف الدين الأصقاع الإسلامية

(١) العرفان - م ٣٢ - ج ٤ - ص ٣٦٤ - ٣٦٥ - مقال للشيخ محمد جواد مغنية (قدس ثراه) .

والبقاع اللبنانية فتردد صداه في بريطانيا وأميركا وإيران وأفريقيا .

لم يترك بارقة أمل إلّا وقد نفذ من خلالها هادراً ، مزمجراً ، مجاهراً ، مطالباً بحقوق المسلمين عامة والعامليين خاصة .

أحبَّ هذا الجبل الأشم حتى الإلتصاق ، فأحبه الجبل بطيبه وطيبته ومناخه وأهليه وصار السيد (قدّس ثراه) جزءً من هذه البقعة ، والبقعة جزءٌ منه . كيف لا ، وهو سليل رسول الله (ص) ، وهو المردد دائماً :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم فلا مشت بي في طرق العلى قدم

وها هو السيد عبد الحسين شرف الدين يستصرخ أحمد الأسعد الذي كان زعيم جبل عامل في الأربعينات ، طالباً منه أن ينهض ببلاده رافضاً الهون لها ، سالخاً عنها سوط الاستعمار ويد المستأثرين ، عاملاً على تقدمها وتطويرها .

« زعيم البلاد العاملية . . . وقد جاء دورك في هذا الدور . . . فانهض ببلادك ولا ترضى لها الهون ، ولا تقنع بالدون ، بعد أن ضربت عليها الذلّة عشرين سنة ، يسوطها الاستعمار ، وتقودها يد الاستئثار . حتى أصبحت ترى أن الحتف ، أولى بها من الذلّ والخسف .

وقد احتشد بالأمس عندنا جمعها ، واحتفل لدينا حشدها . تعهد إليكم بانتزاع حقها الصراح ، ونصيبها المستباح . وإذا كان لا بد من تسمية المطالب التي أناطوا استنجازها بكم فهذه هي :

١ ـ الحقوق المشروعة في الوظائف بمختلف الدرجات في مختلف الدوائر والمؤسسات . والظلامة أوضح من الشمس . إذ لم ينل جبل عامل عشر حقه . بينما تتمتع بعض المناطق والفئات بحقوقها كاملة . ويتمتع بعضها الآخر بحقوقه وحقوق غيره .

٢ ـ إرواء جبل عامل أرضاً وبشراً من الليطاني الذي تهدر مياهه في البحر

بينما يتحرق الناس عطشاً ، وتبور أرضهم سغباً . وربما ورد الناس والسائمة معاً البرك والمياه الآسنة .

٣ ـ تعميم المدارس الرسمية . فإن سائر القرى العاملية محرومة منها . أما القصبات فإن فيها مسمى مدارس . ولا تزال الكتاتيب تقوم مقام الحكومة بتعليم الناشئة كأننا في القرون الغابرة .

٤ ـ تعبيد الطرقات . فإن القرى كافة معزولة عن الطرق العامة . فضلاً عن الطريق الرئيسية ؛ بحيث أن المريض يموت قبل أن يصل إلى المدينة . والحامل تسقط حملها . فضلاً عن العزلة التامة التي يعانيها سكان القرى .

٦ ـ إصلاح المحاكم الشرعية . وإسناد القضاء إلى عدول العلماء ليلوا الحكم بما أنزل الله .

هذا ما عهد به السواد الأعظم إليكم من مطالب البلاد الملحّة . ولا شك أنكم عهدتم به إلى نفسكم من قبل . وأنت أعزك الله أولى من ينهض بهذا الأمر . ولا نرضى لك إلاّ الصدوع به لدى المسؤولين . وإذا رأيتم أن أكون ظهيركم فيه ، فإنني ذلك الذي عرفتم شكيمته أو بلوتم عزيمته ، ثم لا أرجع حتى أعقد آمالكم بالفوز ، وأذلل مسعاكم بالنجح .

وها إني صدقتكم رأيي ، ومحضتكم رجائي . وأنتم أهل ومحل ، للأهل والمحل .

والسلام عليكم ورحمة الله »[١] .

---

(١) من رسائل السيد عبد الحسنين شرف الدين المخطوطة ـ كتاب للزعيم أحمد الأسعد في ٩ كانون الأول سنة ١٩٤١ م . ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ ـ بخط ولده السيد جعفر .

. . ومذكرة بعثها (قدس سره) إلى ملك بريطانيا :

ويوم أعلن استقلال لبنان في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ م استل السيد عبد الحسين شرف الدين قلمه مذكراً بريطانيا بشخص مليكها بمطالب العرب المسلمين ، الثابتة ، وذلك عن طريق سفارتها في القدس :

« أتوجه بمذكرتي هذه إلى مقام صاحب الجلالة ، أنزع فيها رجاء العرب عامة ، والمسلمين خاصة ، ولا سيما مسلمو سورية ولبنان متوسلاً بأسباب آمالهم التالية :

أولاً : يود العرب لا يتناسون الذكريات الأليمة ، ويدفنون الجراح

سماحة العلامة المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس ثراه)، ظلت قضايا المسلمين همّه الدائم.



الثخينة . وقد منّاهم بهذه وبتلك رفض بريطانيا العظمى وحلفائها عهدهم ، ونقضهم ودهم . آمل أن يكون الحاضر غير الماضي ، والغائب غير الآتي .

ثانياً : الاستقلال الذي أعلن في لبنان هذا اليوم ٢٦ ـ ١١ ـ ١٩٤١ ـ مهزلة من المهازل التي كانت تمثلها حكومة فرنسا الغابرة ، في ليل طويل ، مقداره عشرون سنة . ومثل هذا الاستقلال يتناقض مع مفهوم العهد الجديد الذي أعلنت بريطانيا بزوغه . وأبرز قواعده ، حرية كل بلد في تقرير مصيره . على ضوء الحق والعدالة والحرية . وربط الاستقلال بدستور مرتبط بدولة أجنبية ، وهو تسلط صارخ ، يجتاح الاستقلال أرضاً وجوهراً .

ثالثاً : أمنيتنا الكبرى توحيد العراق وسورية بحدودها الطبيعية المدونة في حقب التاريخ المختلفة . لأنّ هذين القطرين الشقيقين يجمعهما وحدة طبيعية أو عوامل تاريخية وجغرافية واقتصادية ولغوية وقومية .

رابعاً : إذا مني العرب باستحالة وحدة القطرين ، لتناقضات عربية أو عالمية . فإن سورية بحدودها الطبيعية ، وحدة لا تتجزأ . وإن أشلاءها التي اقتطعت منها ، وكانت تعرفَ ببر الشام تجمع مع العرب على أن أعادتها مطلب مصَيري غير قابل للمساومة .

خامساً : إن فلسطين ليست جزء سوريا الجنوبي ، بقدر ما هي قلبها النابض المتصل بقلوب العرب جميعاً . والعرب يستميتون دون وعد بلفور .

سادساً : إن الدولة السورية العربية المرتجاة ، بحكم عوامل الزمان والمكان واللغة ووحدة الهدف والمصير ، ترى نفسها صاحبة الحق في الدعوة إلى اتحاد عربي مع الشقيقات المجاورات ، يقوم على إلغاء الحواجز الجمركية ، وتوحيد برامج التعليم والسياسة الخارجية والدفاع .

هذه يا صاحب الجلالة ، أمنيات العرب . فإذا تجاوبت بريطانيا العظمى معهم فيها كان لها عليهم عهد لا يخفر ، وعقد لا ينقض . وإلاّ

فالدرب طويل ولا بد من صنعا(*) وإن طال السفر . والسلام عليكم ما حفظتم الود ووفيتم بالعهد »[1] .

. . وكتاب آخر إلى حبيب باشا السعد :

ما فتىء السيد شرف الدين (قدست نفسه الزكية) يحث كل مسؤول أو زعيم أن ينهض بمسؤوليته قوي العزم ، خادماً للأمة ، ملتفتاً إلى مطالبها وحاجاتها ، غير آبه بنوعيته وتصرفاته ، وغير مميز لدينه أو مذهبه .

وها هو يوجّه كتاباً إلى حبيب باشا السعد إبان رئاسته للوزارة زمن الاستعمار الفرنسي في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ . طالباً منه أن يمد يد العون لتحقيق الآمال للبنان عامة ولعاملة خاصة :

« حبيب » نفوسنا مناط آمالنا .

. . . ولبنان تربة خصبة يزدهر فيها الزرع ، ويدر في ربوعها الضرع . فتعهّد هذه الأرض الطيبة تؤت أكلها بإذن ربها .

أما الجنوب و« عاملة » قسمه الأوفى ، فإن مرابعه يباب ، وماءه محض سراب . لم تمتد إليه يد بناء ، ولم تلح له قط بارقة رجاء ، ولعلّ يدك الكريمة تسرع إليه بما أبطأ عنه وتعود عليه بما حرم منه .

هذه تمنياتي لك وآمالي فيك والسلام عليك ورحمة الله »[2] .

(*) صنعا : المقصود بها صنعاء اليمن وهو مثل يضرب للدرب الطويلة الصعبة .

(1) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين ـ مذكرة أرسلها إلى ملك بريطانيا . مخطوطة ـ ص ١٩ ـ ٢٠ (بخط ولده السيد جعفر) .

(2) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين ـ كتاب أرسله إلى حبيب باشا السعد (مخطوطة ص ٢٣) (بخط ولده السيد جعفر) .

خلط الأوراق :

قام الجنرال كاترو ، وهو المفوّض السامي الفرنسي بإقالة الفرد نقاش وسامي الصلح من رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الوزراء واستبدالهما بأيوب ثابت ليكون رئيساً للجمهورية وللدولة معاً وكلّفه الإشراف على الانتخابات والإعداد لها .

« سعى أيوب ثابت وهو من غلاة أنصار أميل إدّه منذ تولّيه رئاسة الحكومة بتشجيع من الأوساط المارونية والنصرانية المتطرفة والفرنسيين إلى تعزيز الوجود النصراني في المجلس النيابي فأصدر مرسوماً بإعادة توزيع المقاعد في المجلس النيابي وجعلها أربعة وخمسين مقعداً ، إثنان وثلاثون منها للنصارى ، وإثنان وعشرون للمسلمين »[١] .

وقد ثار المسلمون على هذا المشروع ، واعتبروا أن المحاولة هي مؤرنة نهائية للبنان ونظروا إلى إعطاء مقاعد للمغتربين على أنه مؤامرة

(١) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٢٣٥ .

مفضوحة . « ويعترف كاترو بأن المسلمين اتحدوا « لمقاطعة الانتخابات » على أثر تحيّز الدولة وأيوب ثابت مع الفئة المسيحية بإصداره قراراً يسجّل بموجبه المهاجرون اللبنانيون في قائمة الناخبين لإكثار عدد مقاعد النصارى في المجلس »[1] .

وقام البطريرك أنطون عريضة بتوجيه برقية إلى رئيس الدولة في ١٣ تموز سنة ١٩٤٣ قال فيها : « نقاوم كل سعي لتعديل قرارات حكومتكم العادلة بشأن الإحصاء وتوزيع المقاعد النيابية ونؤيد حكومتكم في موقفها التاريخي الشريف »[2] .

تسارعت الأحداث وتوالت ، وجرت الانتخابات النيابية في أواخر صيف سنة ١٩٤٣ بنسبة ستة للمسيحيين مقابل خمسة للمسلمين الذين يشكلون الأكثرية الساحقة .

« وقد جرت تحت رقابة بترو طراد والجنرال سبيرز البريطاني والمندوب السامي الفرنسي فكان طبيعياً أن يسودها الغش والتزوير ، وقد أوصلت هذه الانتخابات « الكتلة الدستورية » إلى الفوز ، ثم انتهت بوصول بشارة الخوري زعيم الكتلة إلى رئاسة الجمهورية »[3] .

الوجه الحقيقي للاستقلال :

كان بشارة الخوري الزعيم الأول في حزب الكتلة الدستورية الذي رعت تأسيسه بريطانيا وكانت لهذه الكتلة صلة وثيقة بالسلطات البريطانية في المنطقة وذلك بواسطة أحد أقطابها كميل شمعون »[4] .

---

(١) تقي الدين ـ منير ـ ولادة استقلال ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢) بيهم ـ محمد جميل ـ قوافل العروبة ومواقفها خلال العصور ـ ج ٢ ـ ص ١١٢ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ سنة ١٩٥٠ .
(٣) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦ .
(٤) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٢٣٦ .

وبعد وفاة بشارة الخوري انتقلت قيادة هذا الحزب إلى الأحضان الأميركية .

« إن الذين كانوا يتنافسون على حكم لبنان سنة ١٩٤٣ م لم يكونوا في الواقع من المتحمسين لقضية الاستقلال ، ذلك لأنهم كانوا أفراد تلك الطبقة الغنية التي تعتبر أي مكان في العالم كلّه وطناً لها ، والتي تطلعت إلى فرنسا بوصفها الحكَم الأول والأخير في قضايا الذوق ومصدر المباهج المترفة الصافية ، وكان رجال هذه الطبقة أصحاب مصارف وممتلكات عقارية ، كانوا يمتلكون ضيعاً وأحراش زيتون وحقول قمح واسعة ، ويزرعون الحشيشة وكانوا أغنياء إلى درجة بعيدة ، إذ لم يكونوا يدفعون ضرائب يُعتدُّ بها »[1] .

من المفوض السامي الفرنسي إلى المفوض الماروني :

بعد تعديل الدستور في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ م جرى إلغاء النصّ على صلاحيات المفوّض السامي . ونقلت هذه الصلاحيات إلى رئيس الجمهورية ومما لا شك فيه أن مهمات المفوّض السامي قد انتهت ، لكن صلاحياته الواسعة قد انتقلت إلى الموارنة من خلال أهم مواقعهم في السياسة اللبنانية ، أي رئاسة الجمهورية . حيث أصبح هذا الرئيس حاكم لبنان الأول ، لا رئيس جمهورية فحسب ، بل لأنه الوريث الدستوري للحاكم الفرنسي المنتدب المطلق التصرف .

ولما كان المفوض السامي الفرنسي يمثل دولته في حكم البلاد فإن الأقليّة المارونية أصبحت تحكم لبنان من خلال رئيس الجمهورية الماروني الذي يملك صلاحيات لا يملكها الملوك والأباطرة . إذ يحقّ له وحده فقط

---

(١) سيبرز ـ الليدي ـ قصة الاستقلال في سوريا ولبنان ـ ص ٥٠ ـ بيروت دار العلم للملايين ـ سنة ١٩٤٧ .

عقد المعاهدات ويعلن الحرب ويحل المجلس النيابي ويقيل الوزراء ، ويدير مكتبه أبناء طائفته . وإضافة إلى ذلك فمنذ العام ١٩٤٩ م أصبح رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للجيش »[1] .

وعن استقلال لبنان ، يعتبر الموارنة ، أن مارونية الرئاسة الأولى « هي ضمانة لاستقلال لبنان » .

ويقول بطرس ضو : « إنها ضمانة لا للكيان اللبناني فحسب ولكن للوجود المسيحي والماروني أيضاً » .

ويؤكد بأنّ هذه الضمانة تقوم مقام « الانتداب والحماية الغربية » .

ويزعم أيضاً « أن لبنان بفضل نظامه هذا ذي الرأس المسيحي ، أكثر تطوراً من كل البلدان الإسلامية ، وأكثر ازدهاراً وأرفع مستوى من الناحية الثقافية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية من أي منها . . . وإبدال النظام ذي الرأس المسيحي بنظام إسلامي من شأنه أن يعيد البلاد إلى الوراء . . . لأنه لا يقر الحقوق التي تقرّها شرعية حقوق الإنسان وكل دساتير الأرض .

ويعتبر أيضاً « أنّ النظام المسيحي هو لا طائفي وعلماني بالواقع ، لأنه مستوحى من الإنجيل ، والإنجيل لا يميز في التعامل بين الناس ، بين مؤمن وكافر وقريب وعدوّ ، بينما هذا التمييز من صميم الدين الإسلامي .

وبعد أن يثني على « التشريعات الإنسانية المعاصرة كالدستور الفرنسي والأميركي وشرعة الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان » التي « انبثقت » برأيه « من العدل والمحبة والمساواة » ، ثم يخلص إلى أن « لبنان هو في الشرق المعقل الوحيد للديموقراطية في العالم وخاصة في العالم الثالث المختلف » مضيفاً :

---

(١) المشروع الماروني ـ مصدر سابق ـ ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ .

« هذا ما يجب بيانه وإبرازه بالوقائع للعالم الحرّ وللأمم المتحدة وغيرها » .

وأضاف : « إن الرئاسة حقّ مكتسب للموارنة منذ الفتح العربي ، ـ المقصود به الفتح الإسلامي ، وعهد المردة ـ أي الموارنة الأولين . . . حتى المتصرفية إذ كان المتصرف مسيحياً كاثوليكياً مروراً بعهد الأميرين اللذين كانا مارونيين أي فخر الدين وبشير الكبير » ، ثم دعا الموارنة إلى المجاهرة بهذا الحق والتمسّك به دون ضعف »[1] .

ميثاق سنة ١٩٤٣ م :

أثبتت الأحداث المتعاقبة منذ سنة ١٩٤٣ م حتى الآن أن الحكم في لبنان هو حكم فئوي ، برز في كل عهد من عهوده مجموعة من المستغلين السماسرة الذين حولوا الدولة إلى مزرعة خاصة ، فيما لم يتمكن الطرف الآخر من الظفر بأية مكاسب تذكر .

ومنذ مطلع الاستقلال ، اتّسمت الإدارة بالسياسيين الذين تعاقبوا عليها . ففي عهد بشارة الخوري كان الشعار الدستوري هو السائد . وفي عهد كميل شمعون درجت كلمة الشمعوني ، وفي عهد فؤاد شهاب خلقت كلمة « الشهابية » أجواء الإدارة ـ حتى أن اسم إحدى القرى العاملية بدّل من اسم « طير زبنا » إلى اسم الشهابية (*) وفي عهد شارل الحلو تقاسم الإدارة الموظف الكتائبي والشهابي خلال فترة ولايته ، وفي عهد سليمان فرنجية عمّت كلمة « الزغرتاوي » معظم إدارات الدولة . وهكذا مروراً برئاسة

---

(١) محاضرة بطرس ضو بمناسبة عيد مار مارون في ٨ شباط سنة ١٩٧٧ م ـ ويمكن الاطلاع عليها في كتاب المسألة اللبنانية من منظور إسلامي ـ فتحي يكن ـ المؤسسة اللبنانية للطباعة والصحافة والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩ ـ ص ٤٥ .

(*) ملاحظة من المؤلف على استبدال اسم هذه القرية باسم عائلة رئيس الجمهورية آنذاك (وما زال اسمها في دفاتر الإحصاء في صور باسم طير زبنا) .

الياس سركيس وأمين الجميل .

إن الميثاق الوطني هذا كان في الحقيقة صكّ اندحار ، وقّع فيه المسلمون التسليم بأن الحكم للموارنة فقط دون أي منازع ، ولم يحصلوا في المقابل إلاّ على مكاسب تافهة ، وقد اضطر زعيم كل طائفة أن يحلّق نفسه على الدوام بالتحالف مع النظام من أجل الظهور على شاشات التلفزيون وفي وسائل الإعلام الأخرى .

وأمام هذا الواقع اضطر المواطن المسلم المطالِب بحقوقه أن يبحث الأمر مع زعيم طائفته لكي يحصل على وظيفة . فالمسؤول عنه هو الزعيم وليس الحكومة أو الدولة . لقد بكّر الفرنسيون في اجتذاب زعماء المسلمين ليكونوا حلفاءلهم في بلاد الشام . وهذا القنصل الفرنسي في بيروت (كولوندر) يبعث رسالة مطولة إلى رئيس دولته (بوانكاريه) في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩١٢ م . نقتطع منها ما يلي :

« . . . إن تقرّب كامل الأسعد من فرنسا لهو أمر ثمين ذو معنى . فهو يحقق لنا نمواً ملحوظاً في النفوذ الفرنسي في منطقة كانت حتى هذا الحين بعيدة تماماً عن تأثيرنا كذلك يحقق لنا مساندة حوالي سبعة آلاف محارب في وقت الحاجة . وهو يدل فضلاً عن ذلك أن نفوذ فرنسا لا يضعف في سوريا »[١] .

الاستقلال في الكتب المدرسية :

لعلّ أهم ما تركّز عليه كتب التاريخ المدرسية الرسمية هي : حادثة اعتقال رئيس الجمهورية ووزرائه ، وقد ربط إنجاز الاستقلال بإطلاق سراحهم الذي اعتبر عيداً وطنياً للاستقلال . ولعلّ ظاهرة التركيز على

---

(١) مجلة المنطلق العدد ١٥ ـ رمضان ١٤٠١ هـ (أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية) ص ٣٢ .

العلاقة بين « الاستقلال » ومساجين قلعة راشيا أعطى لهؤلاء امتيازات جمة ، فما يزال بعضهم حتى الآن ، هو وورثاؤه يحتلون مقاعد في مجلس النواب ومجلس الوزراء . والحديث عن الاستقلال في كتب المدارس الرسمية هو مناسبة للحديث عن جميع رؤساء الجمهورية منذ عهد الانتداب حتى أيامنا الحاضرة ، مع تسليط الضوء على منجزاتهم وذلك بقصد الإشارة إلى أهمية سدّة الرئاسة الأولى التي هي من صنع طائفة واحدة في لبنان .

ومما يلفت النظر ويدعو إلى الدهشة ، أنه في العام ١٩٨٤ عممت وزارة التربية الوطنية على المدارس الرسمية في لبنان عدم اعتماد كتاب التاريخ الرسمي لطلبة الصف الخامس الابتدائي الصادر عن المركز التربوي للبحوث والإنماء ، بحجة تغيير هذا الكتاب ، مع العلم أن الكتاب كان قد صدر عن المركز التربوي قبل سنتين فقط ، ولما صدر الكتاب الجديد عن المركز التربوي أيضاً ، فوجىء المعلمون في هذه المدارس بأن الكتاب بقي على حالته السابقة ولم تتغير منه كلمة واحدة سوى إضافة صورتين فوتوغرافيّتين لرئيسي الجمهورية الجديدين بشير الجميل وأمين الجميل ، والمقصود بذلك : تذكير التلاميذ برؤساء جمهوريتهم الجدد .

تأسيس الجيش ودوره :

لقد اعتبر الموارنة أن الجيش هو ضمانة دائمة لبقائهم على رأس الحكم ، بدليل واضح هو : أن حكومة الاستقلال بعد استلامها لقيادة جيشها عمدت إلى تعيين قائد ماروني له (فؤاد شهاب) . ولم يكّلف حتى الآن مسلم واحد لهذه المهمة ، بالرغم من وجود ضباط مسلمين كفؤ لمثل هذا المنصب .

وإضافة إلى ذلك عمد فؤاد شهاب نفسه إلى تعيين ضباط موارنة في المراكز الأساسية والإدارات الحساسة في الجيش يأتي بعدهم بقية

النصارى . ويأتي المسلمون في الدرجة الثالثة . هذا ، بالرغم من عدم وجود أي نصّ في الدستور أو القوانين اللبنانية في ذلك الوقت ، يقضي بطائفية أو فئوية هذا المنصب أو ذاك .

. . . فمنصب رئيس الأركان على سبيل المثال ، منصب شبه بروتوكولي ، والقائد هو الذي يعيّن مفتش الجيش خلافاً لكل قوانين العالم العسكرية .

« وبعد حرب فلسطين التي أثرت بشدة على دور الجيش وعلى نظرة اللبنانيين إلى جيشهم ، زجّوا الجيش في حوادث ثأرية ضد أبناء إحدى



كتيبة من الجيش اللبناني عام ١٩٤٨ ـ في مسيرة استعراضية .

عشائر بعلبك والهرمل انتقاماً لمقتل أحد ضباط الجيش المجرمين بحق أبناء المنطقة نفسها وهو كاثوليكي الانتماء .

وقد عمد الحكم اللبناني إلى استنفار قواه ، وأرسل وحدات الجيش المتمركزة في ثكنة أبلح ودفع رئيس الجمهورية بشارة الخوري بقواته . وقد تمخضت هذه الحادثة عن هزيمة الجيش في جرود بعلبك والهرمل ، فأثارت هذه الحادثة المطران مبارك والبطريرك أنطون عريضة ، اللذان احتجا لرئيس الوزراء رياض الصلح على الحادثة ، فقال له المطران مبارك : « ماذا يريد المسلمون من لبنان ، فللشيعة العراق والكوفة ، وللسنة الجزيرة ومكة أما لبنان فلنا نحن المسيحيين »[1] .

هذه الحادثة دفعت المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس ثراه) أن يوجه كتاباً لرئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري على أثر تجريد الحملة العسكرية على عشائر الهرمل ، وذلك في أيلول سنة ١٩٤٩ م جاء فيها :

« السلام عليك شيخ لبنان . رئيس دولته ورأس حكمته ورحمة الله . .

وبعد فإن عشائر الهرمل لم يخرجوا على طاعة ولا فارقوا جماعة . فلمن إذن تُسرج الخيل العراب ، وتشرع الأسنّة والحراب ؟! .

ألهؤلاء وهم أباة ضيم . لا يبيتون على خسف ولا يقيمون على هوان ، في عصر تفتحت على نوره العقول والأبصار ، واغترف منه لبنان حتى غدا قبلة الأنظار . دون أن يصيبهم صيّب من ديمته ، أو فاضل من نعمته . بل تركوا للتخلف يحبس عليهم في مكانهم . يتأكلهم الثأر . ويغتالهم الجهل والمرض والفقر ، حتى أصبحوا بين نارين : نار الحكومة الموقدة ، ونار أوضاعهم الموصدة .

---

(١) مجلة الشراع ـ العدد ١١٣ ـ ١٤ أيار ١٩٨٤م ـ ص ١٤ .

وإنّ أخشى ما أخشاه أن تدخل النائحة إلى كل بيت في لبنان ، إذا التقى الجمعان ، والتحم الصفان ، فالحملة العسكرية لا يستهان بها عدة وعدداً ، والمعتصمون في الجرود لهم من المواقع ما يسلطهم على الوقائع . والدم ينادي الدم .

ألا أعدتم النظر يا صاحب الفخامة في أسلوب تأديب الجامحين ، وغزو المتمردين ؟ .

ألا ترون أن تغزوهم بجيش من التسامح ، تريشون به جناح الوطن المهيض ، وتشفون جنبه المريض ؟ .

ألا ترون أن تؤدبوهم بنقلهم من البداوة إلى الحضارة ، ومن البطالة إلى العمل . ومن اليأس إلى الأمل ؟ .

ألا ترون أن إعمار المدارس والمستشفيات يغني عن إعمار السجون والقبور . وشق الشوارع والطرقات يغني عن شق الجيوب والصدور ؟! .

أجل . . إنّ لنا من سمو خلقك وفكرك ، وسعة أفقك وصدرك ما يكفل تحقيق ذلك ، ويضمر للبنان التقدم والازدهار ولأبنائه السعادة والخير والاستقرار .

والسلام عليك تفشي السلام وترعى الذمام ورحمة الله »[1] .

التحيّز التام :

لم تنصف الدولة أبناء جبل عامل ، أسوة بأبناء الوطن من الطوائف الأخرى ، بل تعمدت عكس ذلك ، إذ راحت تظهر تحيّزها الصارخ ، الفاضح في الوظائف العامة ، وحتى في لقمة عيش هؤلاء المواطنين الذين

---

(١) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ (بخط ولده السيد جعفر) .

كانوا يدفعون الغرم ، ومن الغنم يحرمون .

وقد أسفت مجلة العرفان سنة ١٩٤٧ م لتعيين محافظين من كل الطوائف ، ولم يعيّن شيعي واحد . فأوردت ذلك الحدث كما يلي :

« بين المحافظين الخمسة ، لا يوجد محافظ شيعي واحد ، بل اكتفت الحكومة الرياضية ـ نسبة إلى رياض الصلح ـ بترقية محمد بك السهيل إلى درجة قائمقام ممتاز درجة أولى ، ولما قلنا لرياض بك في وزارته الأولى : بين خمسة محافظين لا يستحق الشيعة محافظاً ؟ فقال كلمته الخالدة : أنت شيعي أكثر مني ؟! »[1] .

وأما المعاناة الاجتماعية والاقتصادية المتمثلة آنذاك بزراعة التبغ ، والتي كانت مورد الرزق الأساسي لأهالي جبل عامل ، فإن الدولة كانت تزيد المرارة في نفوس المزارعين ، مضافة إلى مرارة التبغ نفسه . وقد لفتت مجلة العرفان إلى هذه المرارة :

« كان تسعير التبغ هذا العام بغاية التحيّز ولم ينل السعر العالي في جويّا مثلاً ، إلاّ من كان واسطته بعض مساحي الأحذية في ظهور الشوير ، لأنهم كانوا يخدمون المُسعِّر السيد صوايا مجاناً . وكذلك كان توزيع دونمات التبغ في الجنوب التي لم ينلها سوى الوزراء والنوّاب وأذنابهم »[2] .

---

(١) العرفان ـ م٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ٣١٩ ـ عدد كانون الأول سنة ١٩٤٧ .
(٢) العرفان ـ م ٣٤ ـ ج ٢ ـ ص ٣١٩ ـ عدد كانون الأول سنة ١٩٤٧ .

الفصل الخامس

ضياع فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل.. جذور المقاومة في جبل عامل

« أيها العرب ، أيها المسلمون

إن لكم في فلسطين تراثاً ، وإن لكم في كل غور ونجد وحزن وسهل منها دماً عجن به ترابها ، واختلط به ماؤها ونباتها . . . إن إخوانكم في فلسطين قد أقض مضاجعهم ما هم فيه من محنة وبلاء ، وأسهر عيونهم وبرّح أجسامهم ما يلاقونه من كبد الخصوم » .

سماحة العلامة المجتهد السيد محسن الأمين العاملي (أعلى الله مقامه)

« أيها العرب ، أيها المسلمون

هذا شهر المحرم الدامي الذي انتصرت فيه عقيدة ، وبعث فيه مبدأ . ألا إن قتلة الحسين عليه السلام ، بكر في القتلات فلتكن قدوتنا فيه بكراً في القدوات . ولنكن نحن من فلسطين مكان سيد الشهداء من قضيته . ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من مجد وخلود »

سماحة المجاهد الأكبر

العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين

(أعلى الله مقامه)

حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م
والتآمر على جبل عامل

ما قبل الحرب :

بدأ شبح السيطرة اليهودية على فلسطين يظهر جلياً بعد نشر الكتاب الأبيض الذي أصدره الإنكليز ، وبعد الهجرة الكثيفة لليهود إلى فلسطين ، ومن خلال العطف الذي لقيه اليهود من الحلفاء ، وأمام الهجمة المسعورة هذه ، كان العرب والمسلمون يئنون تحت وطأة الهُيمنة الاستعمارية ، مما دفع الملك عبد العزيز آل سعود أن يعطف على « المساكين اليهود » بالتنازل عن فلسطين ، وحذى حذوه كذلك نوري السعيد رئيس وزراء العراق صاحب « الكتاب الأزرق » الذي « تضمن اقتراحات ، على الحكومة البريطانية أن تعمل لقيام وحدة عربية تشمل بلاد الشام والعراق ، على أن يكون للموارنة في لبنان كيان واستقلال ذاتي . . وأن يعطى لليهود في فلسطين كيان واستقلال ذاتي أيضاً »[١] .

وقد أشيع في لندن عام ١٩٤٥ م أن هناك اتفاقاً فرنسياً لبنانياً يتضمن قسمة الأراضي اللبنانية بحيث يلحق القسم الجنوبي حتى مدينة صيدا بفلسطين ، ليسمح بزيادة الهجرة اليهودية على أن يبقى القسم الآخر من لبنان

---

(١) جريدة النهار ـ ٢٣ أيلول ١٩٤٧ ـ العدد ٣٦٩٥ .

تحت النفوذ الفرنسي »[1] .

لقد بدا واضحاً أن العصابات الصهيونية المنظمة كانت على علاقة وثيقة ومنسّقة مع الإنكليز بكل تحركاتها . ومنذ صدور قرار التقسيم ، اكفهر الجوّ السياسي والعسكري بين العرب واليهود ، وبدأ الطرفان يستعدان للمواجهات . وبالفعل فقد حدثت هذه المواجهات العنيفة بينهما في وقت مبكر ، وذلك قبل انسحاب البريطانيين من فلسطين بفترة طويلة ، فيما كانت المؤامرة تأخذ منحى عالمياً مؤيداً لليهود بضغط من الدول الكبرى المتمثلة بالولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ؛ إضافة إلى

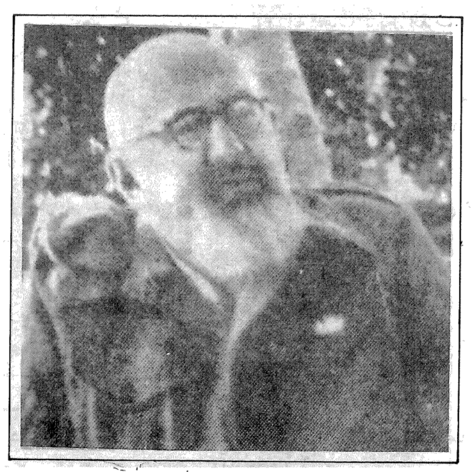
عدد من الفتيات اليهوديات يتدربن على السلاح استعداداً للحرب من أجل إعلان دولة إسرائيل.



(١) شمعون ـ كميل ـ لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية سنة ١٩٤٩ ـ بيروت ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

الحكومات العربية الهزيلة المرتبطة بالدول الغربية ، والتي أجبر بعض زعمائها النافذين على توقيع صكوك التنازل عن فلسطين « للمساكين اليهود » على حدّ تعبير الملك عبد العزيز آل سعود كما أسلفنا ، وكما فعل الملك فيصل بن الحسين أيضاً عندما وقّع على وثيقة وضلّلوه بترجمتها من الإنكليزية إلى العربية. وكما فعل نوري السعيد والملك فاروق وبعض الساسة اللبنانيين الذين أصبحوا جميعاً في ذمة الله.

لم تجد المؤتمرات نفعاً ولم تعط المحادثات والمباحاثات والتوصيات نتيجة تذكر ، ولم تحرك النداءات ضمائر الحكام ، فهبت العاصفة ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين ، علّها تسترجع ما سلبه اليهود بالقوّة .



اسحاق سادة : مؤسس منظمة البالماخ اليهودية الإرهابية ورئيس أركان الهاغانا سنة ١٩٤٨ . كان ضابطاً في الجيش الروسي سنة ١٩١٧ .

وقد اندفع السيد عبد الحسين شرف الدين أعلى الله مقامه ، محذراً الملك عبد الله بن الحسين ، شاحذاً همته العربية ، مذكراً إيّاه بأجداده الهاشميين ، أباة الضيم ، لكن :

لــو نــاديــت لأسمعــت حيّــاً مــا لجــرح بميِّــت إيــلام

وفي شهر نيسان من عام ١٩٤٨ وقبل الكارثة وجّه إليه النداء التالي :

« . . .الآن ، وقد أسفر الصبح لكل ذي عين ، وأعلن الطائرون إلى الظل والماء ، ترددهم في خوض المحنة ودفع الكارثة ، أروا الأمة ما عودتموها عليه ـ بني هاشم ـ من هبوبكم للأخذ بكظمها كلما ارجحنت الخطوب وابتسموا لها في ثنايا ليلها الفاجع على مفترق الدروب .

وليس ذهاب فلسطين فاجعاً ، لولا أنه ذهاب لريح العرب وعزِّ الإسلام ، وكرامة الإنسان المسترق في غد هذا الشرق القريب »[1] .

ثم أعقب (أعلى الله مقامه) هذا النداء ببرقية أرسلها إلى الملك عبد الله بن الحسين ، يوم أعلن اليهود قيام دولتهم في ١٥ أيار ١٩٤٨ م . وذلك على أثر انعقاد مؤتمر عمان لإنقاذ فلسطين :

« كرامة العرب الجريح تنظر إلى مؤتمركم من مأساة لا موضع فيها للصبر .

تنمّر الصهاينة يتحدى رسالة القرآن .

انبعثوا على بركة الله بذات محمد .

الشعب العربي يجيش بثورة ضارية ، فكونوا من وراء تضحيته ، يكفكم الله عدوان شذاذ الآفاق ! »[1] .

---

(١) شرف الدين ـ السيد عبد الحسين ـ بغية الراغبين ـ تحقيق ولده السيد عبد الله ـ ص ٤٦٠ ـ الدار الإسلامية الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٩١ م .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٤٦١ .

المؤامرة على جبل عامل :

إن الحلم اليهودي بالسيطرة على جبل عامل ليس حديث العهد ، إنما يتخطى إلى ما قبل مطلع هذا القرن ، حيث أشار مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل في مذكراته : « إنّ المؤسسين الحقيقيين للأرض الجديدة القديمة ـ المقصود دولة إسرائيل ـ هم مهندسو المياه ، فعليهم يعتمد كل



جنود بريطانيون يدربون فتاة يهودية على استعمال المدفع .

شيء في تجفيف المستنقعات إلى ري المساحات المجدبة ، وإنشاء معامل توليد الطاقة الكهربائية من الماء » .

وقد أكّد بن غوريون فكرة هرتزل هذه في وثيقة سرية كتبها في عام ١٩٤١ م وجاء فيها : « علينا أن نتذكر أنه من أجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء لا بد أن نكون من جهة ، جيراناً للبنان المسيحي . . . ومن جهة أخرى يجب أن تكون أراضي النقب القاحلة . . . وكذلك مياه الأردن والليطاني مشمولة داخل حدودنا »[1] .

أما الأطماع الصهيونية والتآمر على جبل عامل فيعود إلى ما قبل مؤتمر الصلح في فرساي عام ١٩١٩ م حين اتصل ديفيد بن غوريون وحاييم وايزمان بالبطريرك الماروني الياس الحويك وأقنعاه بالتخلي عن جبل عامل لقاء وعد بتقديم مساعدات مالية لتطوير لبنان بحيث يصبح بعد سلخ الجنوب عنه « ذا أكثرية مسيحية »[2] .

اليهود يجتاحون جبل عامل :

بعد المجازر البشعة التي قام بها اليهود في فلسطين بمساعدة الإنكليز ومباركة أميركا وفرنسا والاتحاد السوفياتي ، انقضّت العصابات الصهيونية على جبل عامل ، وارتكبت مجازر مروعة بحق سكانه الآمنين الأبرياء ، ووصلت إلى مشارف نهر الليطاني الذي طالما حلم ساسة اليهود بالسيطرة عليه وقد ارتكبوا مجزرة رهيبة في قرية « حولا » سقط فيها حوالي ثمانين شهيداً ومجزرة أخرى في قرية صلحا العاملية ، سقط فيها أقل من هذا العدد بقليل . ودام الاحتلال اليهودي هذا لجبل عامل يومها ما يقارب الستة أشهر ، انسحبوا بعدها مقتطعين أكثر من ثلاثين قرية جنوبية ومساحات كبيرة من الأرض .

---

(١) مجلة المنطلق ـ العدد ٢١ ـ حزيران ١٩٨٣ م ـ ص ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) المشروع الماروني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٦٥٩ .

وفي خطاب لرئيس الحكومة البريطانية الأسبق « ونستون تشرشل » عام ١٩٤١ م قال فيه : « إن اليهود طالبوا الحكومة البريطانية بضم الجنوب اللبناني الذي يجري فيه نهر الليطاني إلى فلسطين مقابل وضع اليهودية العالمية إمكانياتها في تصرف بريطانيا والحلفاء »[١] .

أما بيغال آلون قائد القوات الصهيونية عام ١٩٤٨ م فيرى أنه : « لولا أمر بن غوريون بوقف القتال لكانت قواتنا احتلت الليطاني وحررت « وطننا »[٢] ـ على حدّ قوله ـ .



عدد من الشبان العامليين يتدربون على المدافع



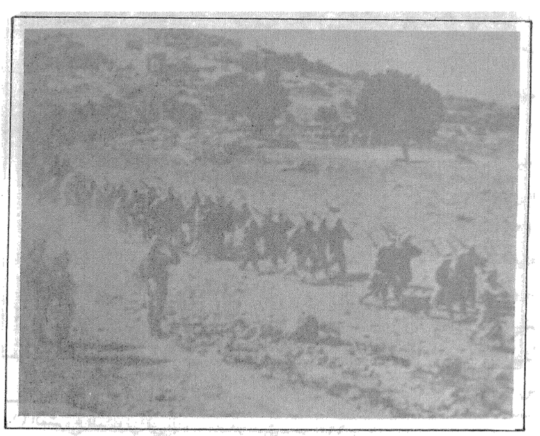
إبان حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، وهم فصيل من جيش الإنقاذ.

(١) المشروع الماروني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦٠ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٦٦٠ .

. . . والمراجع الأعلام يعلنون الجهاد المقدس :

على أثر اندلاع المعارك الضارية بين العرب واليهود في فلسطين وعلى أثر صدور قرار التقسيم ، انبرى السيد المجاهد عبد الحسين شرف الدين (أعلى الله مقامه) يوجّه نداءه المدوي للمسلمين والعرب في شهر محرّم الحرام ، سنة ١٣٦٧ هـ . وقد جاء فيه : « أيها المسلمون . أيها العرب : هذا شهر المحرّم الدامي الذي انتصرت فيه عقيدة ، وبعث منه مبدأ . ألا إن قتلة الحسين عليه السلام بكر في القتلات . فلتكن قدوتنا فيه بكراً في القدوات . ولنكن نحن من فلسطين مكان سيد الشهداء من قضيته . ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود .

أيها العرب . أيها المسلمون



أحد أفواج جيش الإنقاذ عام ١٩٤٨ يستعرضه قائده فوزي القاوقجي .

لقد حُمَّ الأجل وموعدنا فلسطين . عليها نحيا وفيها نموت . والسلام عليكم يوم تموتون شهداء ، ويوم تبعثون أحياء »[1] .

أما المرجع الأكبر سماحة العلاّمة المجتهد السيد محسن الأمين العاملي فقد أذاع نداء آخر للجهاد من أجل فلسطين جاء فيه :

« أيها العرب . أيها المسلمون .

إن لكم في فلسطين تراثاً ، وإن لكم في كل غور ونجد وحزن وسهل منها دماً عجن به ترابها واختلط به ماؤها ونباتها ، وإن أربعة عشر قرناً زاخراً بالمفاخر والمآثر تحدق بكم ، وأمجاداً من معد ونزار ترفرف أرواحها في آفاقكم ، تستفز عزائمكم وتستصرخ نجدتكم . إن إخوانكم في فلسطين قد أقضّ مضاجعهم ما هم فيه من محنة وبلاء ، وأسهر عيونهم وبرح أجسامهم ما يلاقونه من كبد الخصوم ، ففي كل ناحية دم وفتك ، وهدم وتدمير ، وخوف وذعر ، وفي كل مكان جرحى وقتلى وثكالى ومفجوعون ، وإن بني أبيكم ليقدمون إقدام الآتي ، ويدافعون دفاع المستميت وقد وقفوا على برزخ بين الجلاء والفناء ، والحياة والبقاء ، يتطلعون إليكم تطلع الغريق في لجج التيار ، فلا تضنّوا عليهم ببذل التافه الحقير وهم بذلوا الجليل العظيم ، ولا تبخلوا عليهم بالقليل وقد بذلوا الكثير من المال والأرواح والبنين . فوالله لا يستسيغ الغمض من بات وأخوه مفترش القتاد ، ولا تطيب الحياة لحر يضام أهله وذووه ، وأي لذة للعيش والبلاء محيط ، والقلق مساور . وأي سعة تطيب « إذا شكا الضيق قريب حميم » [2] .

على أثر هذه النداءات اندفع الشباب العاملي المؤمن يتطوع في جيش الإنقاذ الذي تألف من جموع المتطوعين من الشعب الفلسطيني وعموم

---

(١) مخطوطة للسيد عبد الحسين شرف الدين ـ ص ٣١ (بخط ولده السيد جعفر) .
(٢) العرفان ـ م ٣٤ ـ ج ٤ ـ آذار سنة١٩٤٨ م ، ص ٦٢١ .

الشعوب العربية والإسلامية ، لاسترداد الكرامة العربية الإسلامية ، واسترجاع الأرض التي سلبها يهود الشتات ، وقد قاتل أكثرهم بحماس منقطع النظير ، لكن المؤامرة كانت أكبر مما كان يتصوره المتطوعون وحتى الجيوش التي حاربت ، لأنّ الحكومات العميلة في الوطن العربي آنذاك قد أسدلت الستار على قضية فلسطين وتنازلت عن أرض المقدسات ، لأنجس الشعوب وأشدها لؤماً : اليهود !! .

وكيف تقاتل ثلة من المتحمسين جيشاً منظماً ودولاً تملك عتاداً متطوراً ؟ في حين دخلت فيه الجيوش العربية أرض فلسطين لاستردادها ، لكن قياداتهم السياسية كانت تخيّب آمالهم ، وتضيّع جهودهم ، وتحوّل انتصاراتهم إلى هزائم مقيتة .



أحد علماء الدين الشيخ نسيب البكري، وعدد من المجاهدين يتصدون لليهود في القدس.

لقد عانى سكان الطرف الجنوبي من جبل عامل القريبون من حدود فلسطين مرارة القتل والتدمير والتهجير ، تماماً كأخوانهم الفلسطينيين الذين شردوا من ديارهم وأرضهم منذ العام ١٩٤٨ م وما زالوا حتى اليوم يعانون من هذا الواقع الأليم . كان الأهالي يرون تحركات الصهاينة على حدودهم وأسلحتهم مصوبة إلى صدورهم في حين يتغيب الدفاع الوطني تغيباً شبه كامل .

كان الإسرائيليون يغيرون على القرى أمام أعين ضباط وجنود الجيش اللبناني ، وكثيراً ما كان يعاقب بعض أفراد هذا الجيش الغيورين بسبب تصديهم للصهاينة ، لأن هذا التصدي مغاير للشعار الذي كان يردده حكام لبنان على لسان بيار الجميل « قوة لبنان في ضعفه » . وقد عبرت مجلة العرفان في عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٩ عن الواقع المأساوي الذي آلت إليه الحالة في جبل عامل إبان تلك الفترة قائلة : « يصرح المسؤولون في لبنان بتبجّح أن اليهود لم يدخلوا حدود لبنان بينما قتل ٨٥ رَجلاً في حولا . بيد اليهود ، فلم يذرف عليهم أحد حكام لبنان دمعة ، ولم ينظروا إلى أقاربهم بعين عطف . إنها قلوب تحجّرت ونفوس عبدت المادة . لم تزل للآن عشرات القرى في الجنوب القريبة من الحدود بدون استقرار ولا أمان ، فلا من يدفع عنها عاديات اليهود . فأين الجيش اللبناني والحكومة اللبنانية ؟ ولا ندري ولا المنجّم يدري . أما اللاجئون من الجنوب القاطنون ضبيّة والغبيري وغيرهما فحالتهم تدعو إلى الشفقة والرحمة ، ولولا شهامة ومروءة أديب الفطرة السيد محمد قرّه علي لكانت حالتهم في الويل ، فهو الذي يصرف كل وقته في الاهتمام بشؤونهم والجمع لهم »[1] .

---

(١) العرفان ـ م ٣٦ ـ ج ١ ـ ص ١٠٩ .

صرخة السيد عبد الحسين شرف الدين :

. . وعلى أثر اعتداء الصهاينة على حدود لبنان الجنوبية وجه السيد عبد الحسين شرف الدين كتاباً للشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية ، يحثه فيها على حماية ورعاية السكان جاء فيها :

« عرفك لبنان يا شيخة خطير النفس ، رفيع الأهواء ، واسع الأرجاء . وقد رآك منذ حباك تصبو إلى شريف المطالب وتسمو إلى رفيع المنجزات والمكاسب وما اكتهلت حتى كنت حديث أحلامه في يقظته ومنامه .

وحين حققت له أسمى الآمال أو عرجت به إلى ذروة الاستقلال نادى بك قائداً حكيماً ورئيساً زعيماً .

وقد ظنّ أن الدهر أسعفه بمراده ، ومالأه على تحقيق أبعاده . لكنه ولا



سرية من الهاجانا أثناء تقدمها نحو القرى والمدن الفلسطينية سنة ١٩٤٨م .

سيما الجنوب منه زعم في غير مزعم ، وكرم في غير مكرم . إذ كانت أحوال حول الوزارات ، وما إليها من تافه السياسات ، تستخف الحكيم عن رشده ، وتستنزل الحليم عن جدّه . وكم زينت من مجال وموّهت من ضلال .

وحسبنا الآن نكبة جبل عامل في حدوده المتاحة ، ودمائه المباحة . وقراه وقد صيح فيها نبهاً ! وأطفاله وقد تأودت رعباً . وشبابه وقد استحرّ بهم الفتك . إلى ما هنالك من هلاك الحرث والزرع .

هذا الجبل العريق تضرب عليه الذلّة والمسكنة ، ممن ضربت عليهم الذلّة والمسكنة في سحيق التاريخ .

هذا الجبل الذي يقوم بما عليه من واجبات ، ولا يعطى ما له من حقوق ، كأنه الشريك الخاسر ، يدفع الغرم ومن الغنم يحرم .

ألم تسمع يا رئيس لبنان شاعر الجبل يوجز هذه المأساة :

لهفي على « صلحتها » وليتني	عليك « يا حولة » أقضي أسفا
شبابك الفواح زهراً نتفت	أكمامه والدهر فيه عصفا
ومن نجا من أسرهم يفترش الـ	أرض وبالسماء التحفا
لولا الإبا لقلت غير ظالم	سقى عهاد المزن عهداً سلفا

أجل جاسوا خلال دياركم يتصرفون بها تصرف الفاتح . فإذا لم يكن من قدرة على الحماية . أفليس من طاقة على الرعاية . وإذا لم تؤدّ الحقوق فلماذا يستمر العقوق . وإذا قرأ تم السلام على جبل عامل فقل السلام عليكم وعلى لبنان »[1] .

لم تعطَ أية أهمية لهذا التحذير ولا لغيره ، بل استمرت الحكومات

(١) مخطوطة للسيد عبد الحسين شرف الدين ـ ص ٢٥ ـ ٢٦ (بخط ولده السيد جعفر) .

اللبنانية المتتابعة متجاهلة كل ما يحدث ، صامة آذانها وغير معنية بما جرى ويجري . وكان رئيس أساقفة بيروت الماروني ، أغناطيوس مبارك يعلن في كل مناسبة وعلى مسامع المسلمين ، بأن هؤلاء المسلمين « طوائف لاجئة إلى لبنان ويحاول في كل خطاب أن يفرض شفاعة مار مارون على جميع اللبنانيين ، كأن اللبنانيين هم الموارنة »[1] .

وقد جاء في كلامه إلى لجنة التحقيق الدولية الإنكليزية ـ الأميركية ، حول فلسطين :

« إن لجنة التحقيق الدولية الإنكليزية ـ الأميركية ، لم تسمع صوت لبنان الحقيقي ولا الرأي العام عندما استمعت إلى شهادات الشهود في بيروت . لو سمعت اللجنة صوت لبنان الحقيقي لكانت سمعت ذلك الصوت يعلن مؤازرة العمران اليهودي في فلسطين ، ومؤازرة الصهيونية باعتبارها شعاراً للتقدم لشعوب الشرق الأوسط كلها »

ثم زاد المطران مبارك قائلاً : « . . . وإني أتهم رئيس جمهوريتنا بأنه لم يعط رأيه الحقيقي عن الصهيونية لأنه يخاف من الجامعة العربية وهو يعتقد عكس ما يقول . . . وإني أقول لكم بصراحة إنكم إذا قاومتم الصهيونية في فلسطين فإن ذلك يعني إرجاع الشعب إلى حكم الهمجية وإرجاع البلاد إلى حالة الفوضى والبرطيل كما كانت أيام حكم سلاطين بني عثمان »[2] .

خطط عمل إسرائيلية حول لبنان :

في نهاية العام ١٩٤٦ م قدم موشي شاريت خطة عمل إلى المؤتمر الصهيوني ، نقتطف منها ما يلي : « . . . يتوجب علينا تشجيع العناصر الطامحة لتقسيم لبنان إلى دولتين مسيحية وإسلامية . . . وإقامة دولة

---

(١) فروخ ـ د. عمر ـ دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن ـ ص ٣٧ وثائق ودراسات لبنانية / ٢ ـ جامعة بيروت العربية دار الأحد ـ بيروت سنة ١٩٧٧ .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٥١ ـ ٥٢ .

مسيحية نقية من العنصر الإسلامي داخل هذه الحدود . . . ومن المستحسن العمل لإيجاد طرق أخرى لتحقيق هذا الهدف مثل :

١ ـ تقوية نفوذ الكنيسة المارونية .

٢ ـ تقوية الصحافة المارونية .

٣ ـ تقوية الكتل البرلمانية والمنظمات والأحزاب ذات الميول الإسبارطية » .

وإذا تم تقسيم لبنان وإقامة دولة مسيحية في أحد أجزائه قبل إقامة الدولة اليهودية فإن هذا الوضع سيستغل من جانبنا كنموذج سابق لحل مشكلة فلسطين ، وسيضعف إلى حد كبير المعارضة العربية لتحقيق أهدافنا السياسية . أما إذا تم تقسيم لبنان وإقامة الدولة المسيحية بعد إقامة الدولة اليهودية ، فهذا الوضع سيسهل إقامة تعاون مخلص بين الدولتين الجديدتين : المسيحية واليهودية من جهة ، وبين الدول الديموقراطية العظمى وهاتين الدولتين من جهة أخرى وكذلك سيشجع هذا الوضع خلق جبهة مسيحية ـ يهودية مشتركة في قلب المحيط العربي من أجل تطويره حقيقياً في شتى المجالات »[1] .

أما المطران مبارك فقد أعلن في باريس عام ١٩٤٨ م : « إن لبنان بلد كاثوليكي ، ويحاول المسلمون أن يستعيدوه كما يحاول استعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد ، كاليهود في فلسطين يجب أن يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش الهادىء ، وإلا فإن أية ولاية غير إسلامية لا تستطيع أن تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة إسلامية بحت »[2] .

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٧ ـ (نقلاً عن مذكرات ساسون) .

(٢) مجلة بيروت المساء ـ ٢١ حزيران سنة ١٩٤٨ م ـ ص ٥ ـ نقلاً عن مجلة (Paris-soir) الباريسية .

وفي عام ١٩٤٨ م كتب ديفيد بن غوريون في مذكراته ، الفقرة التالية المتعلقة بلبنان : « إنَ نقطة الضعف في اتحاد العرب تكمن في لبنان ، وإن سيطرة الإسلام في هذا البلد سيطرة مفتعلة ، وإن إزالتها شيء عملي بسيط ، ويجب أن تتواجد حكومة مسيحية في لبنان ، حدودها الجنوبية نهر الليطاني ، وعلينا في المستقبل البعيد أن نعقد معاهدة سلام معها »[1] .

الإهمال المتعمد من قبل الدولة :

عمّت الكارثة كل فلسطين وشرد أهلها منها ، فكان جبل عامل السبّاق إلى استضافة المسلمين الفلسطينيين والمسيحيين منهم ، الذين أرغموا على ترك ديارهم وقد عدّوا بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف . وأمام هول الكارثة إضافة إلى ما كان يعانيه هذا الجبل الأشم من ويلات الحرمان والقهر المتعمد من قبل الدولة الاستعمارية الفرنسية المنتدبة ودولة الاستقلال ، فإنه اندفع بعلمائه وشبابه وشيوخه يذود بالغالي والنفيس لقتال الكفرة الذين لعنهم الله في كتابه العزيز . وبالرغم من المعاناة التي كان يكابدها سكان الجبل العريق نتيجة المظلومية التي فرضت عليهم إبان ثورة سنة ١٩٢٠ ، فإنهم تطوعوا للقتال مع إخوانهم المجاهدين في فلسطين ، وساعدوا المشردين بالمأوى والملبس والرعاية والإغاثة ، وقد كان لنداءات المراجع الأعلام : السيدان عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الأمين وقعاً كبيراً في نفوس العامليين ، الذين سارعوا إلى الإلتزام بما أمر به السيدان الجليلان من جهاد بالأنفس والأموال ، وإيواء ورعاية للمشردين .

لقد كانت نكبة فلسطين اللّبنة الأولى التي وضعت جبل عامل على طريق مقاومة ومقارعة اليهود ، وابتلى الله المؤمنين بهذه الشراذم الملعونة ، واستمرّ الجهاد المقدس ، تارة يتأجج وطوراً ينفجر كالبركان الثائر . .

(١) المشروع الماروني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٥٧٧ ـ ٥٧٦ .

وسوف تستمر المسيرة حتى تحقيق النصر المظفر ، يوم خروج المهدي الموعود المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وإخراج الذين كفروا وأشركوا من ديارنا صاغرين تحت راية الإسلام العزيز المنتصر .

ورغم الإهمال المتعمد من قبل الدولة اللبنانية تُجاه جبل عامل ، فإن اليهود راحوا يطلقون التصريحات والتهديدات للإستفادة من مياه الأنهار الجارية في جبل عامل ، والعمل على قضم قراه وضمها إلى دولتهم المصطنعة . وقد أوردت مجلة العرفان عام ١٩٤٩ م خبراً مفاده أنه : « جاء في أنباء لوزان أن اليهود يطلبون التوسع في حدودهم لغاية نهر الليطاني ليستفيدوا من مياهه . وقد صرّح كبير حاخاميهم في انكلترا بأنهم يريدون مدينة القدس لأنها وإن كانت مقدسة عند المسلمين والمسيحيين ، إلاّ أنها قدس الأقداس عند اليهود ، فهل من يسمع ؟! »[1] .

زفرات الكبت :

ما إن استتب الأمر لبني صهيون في فلسطين حتى أضيفت إلى هموم وشجون جبلِ عامل الجريح هموم وأشجان وأعباء ثقيلة . وكلما كان المتحسسون آلام الشعب العاملي يزفرون بشكواهم عبر جريدة أو يطالبون زعيماً مزعوماً أو ينبهون الحكومة إلى الفوارق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين جبل عامل وبقية المحافظات ، كانت القيامة تقوم على رؤوسهم ، ويُتهمون بأنهم يعرقلون أعمال الحكومة ويسيؤون إلى قضية فلسطين المقدسة التي كانت تشغل العرب آنذاك !! والتي أصبحت قميص عثمان ، كما عبّر عنها أحد الكتّاب في مجلة العرفان حيث قال : « التاريخ يعيد نفسه : الحكومة تحمل قميص عثمان ، تتغنى الحكومة بالحرية ، وتغرّد بالاستقلال ، ولا نراها إلاّ تخنق الحريات وتعتدي على

---

(١) العرفان ـ م ٣٦ ـ ج ٧ ـ ص ٧٧٩ .

الكرامات . . . ثم جاءت قضية فلسطين فحملوها (قميص عثمان) يستعملونها آلة حادة ضد خصومهم ومعارضيهم ، فكلما انتقد شخص أعمالهم قالوا : إنه يعرقل قضية فلسطين . وكلما عارضهم معارض ، قالوا : إنه يهيىء أعوانه ليقوموا بالثورة إذا عادت الحرب في فلسطين . أعيدوا الحرب إلى فلسطين وأنا كفيل أنه لن يقوم أحد بحركة ما »[1] .

صبراً آل عاملة :

ما اهتمت السلطة يوماً بأبناء الجنوب ، لا قديماً ولا حاضراً ، ولا اعتبرت نُفسها مسؤولة عن حياتهم وحمايتهم . هذه البقعة المباركة التي امتزج أبناؤها وهواؤها وترابها بفكر المجاهد الجليل الصحابي الكبير : أبي ذرّ الغفاري ـ حسب المأثورات ـ حتى بزغت من جبل عامل شمس الإسلام المشرقة يعكس بريقها العلماء الأجلّاء ، والشهداء المضحّون .

هذا الجبل المجروح بسياط الأتراك وسيوف المستعمرين الفرنسيين الحاقدين ، وبقذائف اليهود المجرمين . هو تلك الجذور العميقة للأمة الإسلامية ، وقلبها النابض ، وقلعتها الصامدة السرمدية . من أجل هذا كله قرروا إذلاله واحتلاله وإخضاعه .

هذا الجبل العتيق المطهّر جزء من لبنان إبان دفع ضرائب الكهرباء والماء وغيرها ، وشراء التبغ بأثمان بخسة . صور وصيدا وسهليهما جزء من سهول لبنان عندما تريد الدولة دعم الاقتصاد اللبناني بتصدير الفواكه والحمضيات . أما إذا طالب أبناء جبل عامل بأدنى حقوقهم : الأمن والهدوء والاستقرار ، وأن تدافع الدولة عنهم بصد الغارات والهجمات اليهودية فلا أحد عندئذٍ من المسؤولين يعنيه هذا الجبل العريق وعندما تنشر وسائل الإعلام الرسمية المسموعة والمرئية خبراً عن غارة أو هجوم يهودي

---

(١) العرفان ـ م٣٥ ـ ج٩ ـ ص ١٤٢٩ .

على قرية ، فإنها تقتضب الخبر كثيراً بشكل خجول جداً ، كي لا ينزعج رواد المسارح والملاهي والمراقص ، خوفاً من تعكير صفو هذه « الموارد الاقتصادية الهامة » التي تسد العجز الحاصل في الخزينة ! .

كانت الدولة ومازالت تسد العجز الحاصل في الدفاع عن أرض الوطن بتقديم الشكاوى إلى مجلس الأمن الدولي وهناك ينتهي الأمر .

فصبراً آل عاملة . إن الصبح لقريب ، والديك سوف يصيح مؤذناً بالخلاص مع انبلاج الفجر الجديد الذي تنشدونه .

نتائج النكبة

منذ العام ١٩٤٨ م ، وعلى أثر نكبة فلسطين المروعة ، بات السكان في جبل عامل مجاورين لعدوّ طامع ، حاقد ، لئيم . وبدل أن تهتم الدولة بهم ، وتوكلهم الأهمية ، تناست وجودهم ، ونسيت أنهم مواطنون لبنانيون تابعون للجمهورية اللبنانية . وقد لاحظنا الرسالة التي وجهها السيد عبد الحسين شرف الدين إلى رئيس الجمهورية بشارة الخوري ، حيث يحثه أن ينظر إلى مواطنيه بعين الرعاية والحماية .

وفي الوقت الذي كانت قرى جبل عامل تتعرض للقصف والتدمير كان وزير خارجية لبنان يومذاك حميد فرنجية يعلن على مسامع المسلمين في حفلة موسيقية في قاعة الأعياد بجامعة القديس يوسف اليسوعية ، بذكرى تتويج البابا بيوس الثاني عشر :

« إن لبنان لا يعتد بأية أهمية له في مجال القوة المسلّحة ، بل يبقى في دائرة الفاتيكان بلداً مختاراً فهو جزء من تلك القيم الروحية »[1] .

---

(١) لبنان والفاتيكان ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٨ .

العامليون دائماً في الواجهة :

ما أن حلت الكارثة سنة ١٩٤٨ م والتي أدّت إلى قيام الكيان الصهيوني وتهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من ديارهم إلى لبنان بعد المجازر الجماعية التي اقترفتها العصابات الصهيونية ، تقاسم سكان وبلدات وقرى المنطقة الحدودية اللبنانية المتاخمة لفلسطين منازلهم ولقمة الخبز والغطاء مع أشقائهم أبناء فلسطين .

« كما استقبل سكان المنطقة الحدودية وحدات « جيش التحرير العربي » المعروف « بجيش الإنقاذ » الذي ضم مئات المتطوعين العرب الذين قدموا من مختلف أقطار العالم الإسلامي للمساهمة في استعادة فلسطين إلى أهلها ، وقدّموا له كل الاحتياجات الضرورية وانخرطوا في صفوفه .

وخاض سكان المنطقة الحدودية مع وحدات من الجيش اللبناني « معركة المالكية » سنة ١٩٤٨ التي قادها واستشهد فيها الضابط اللبناني « محمد زغيب » مع عدد من الجنود والمتطوعين من أبناء المنطقة الحدودية »[١] .

القضم والضم والإرهاب :

في عام ١٩٤٨ م اغتصب الصهاينة خمسة وعشرين ألف دونم من الأرض الخصبة تعود لأهالي ميس الجبل بلدة أبي ذرّ الغفاري ، الشاهد والشهيد »[٢] .

وفي نفس العام نقل الجيش الإسرائيلي سكّان قريتي أقرث وكفر برعم

---

(١) قضية شعب وأرض ـ مصدر سابق ـ ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٢) جريدة السفير تاريخ ١/٣/١٩٧٩ م ـ ص ٥ .

بعد أن أعطوا وعداً بالعودة إلى منازلهم بعد انتهاء العمليات الحربية ولكن حتى الآن لم يسمح لأهالي القريتين بالعودة على أساس أنهم يشكلون « خطراً على أمن الدولة » وأعطيت أراضيهم إلى الصندوق القومي اليهودي ، دون أن يدفع ثمنها إلى أصحابها الشرعيين »[1] .

ومنذ العام ١٩٤٨ اغتصبت إسرائيل أيضاً جزءً من أرض يارين طوله ثلاثة كيلو مترات بعمق وسطي يبلغ سبعماية وخمسين متراً أي ما يقدر بحوالي ٢٣٠٠ دونم تقريباً وضمته إليها ، كما اغتصبت أراضي أخرى من جبل عامل المجاورة لفلسطين وأقامت عليها نقاط عسكرية ثابتة ، وإحدى أهم هذه النقاط أقيمت في أرض تابعة لقرية رامية عام ١٩٦٨ م »[2] .

ومن جهة أخرى اقتطعت بريطانيا أثناء تخطيط الحدود مع لبنان عام ١٩٢٠ م عدداً كبيراً من القرى اللبنانية الشيعية ، وأصبحت فيما بعد جزءً من دولة إسرائيل : كطربيخا وصلحا وقدس والنبي يوشع وهونين والمالكية والمنصورة وغيرها من القرى والمزارع الكثيرة التي يزيد عددها على ثلاثين قرية ومزرعة .

وبعد الهزيمة التي مُنيَ بها العرب في عام ١٩٦٧ م ، أصبحت قرى جبل عامل على موعد دائم مع الاعتداءات الإسرائيلية والقذائف والصواريخ .

« وفي عام ١٩٦٨ م وقع اعتداء إسرائيلي على بلدة ميس الجبل أسفر عن استشهاد عدد من المسلمين فيها . وتهدم عدد من البيوت »[3] . وكثيراً ما كان اليهود ينسفون المنازل ويروعون السكان بلا سبب ، لترغم الأهالي

---

(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٤٠ .
(٢) جريدة السفير ـ ١/٣/١٩٧٩ م ـ ص ٥ .
(٣) جريدة السفير ـ ١/٣/١٩٧٩م ـ ص ٥ .

على أن يمارسوا دور الحارس لحدودها .

هذا الواقع الجديد أرغم أهالي القرى الحدودية على ترك منازلهم وهجرتها إلى الأماكن الآمنة .

« ومنذ العام ١٩٥٦ م دخل الإسرائيليون إلى قرية الظهيرة وأبادو عائلة بكاملها بعد أن نسفوا المنزل فقتل الزوج والزوجة مع أولادهم الخمسة »[1] ، ثم دخلها في الأعوام ١٩٧٠ م و١٩٧٤ وفي مرات أخرى عديدة ، كان السكان خلالها يتعرضون للقتل والأسر ، وتتعرض بيوتهم للنسف والتدمير .

« وفي عام ١٩٦٩ م تعرضت قرية رامية لقصف مدفعي من جانب العدو عدة مرات . . . وكان هذا القصف يستهدف الإرهاب والإضرار بمصالح الناس ، بقصد حملهم على النزوح ، ودخلها الكومندوس الإسرائيلي لأول مرة عام ١٩٧١ م ونسف عدة بيوت . وفي عام ١٩٧٣ تعرضت رامية لعدوان إسرائيلي واسع النطاق »[2] .

وفي الأعوام ١٩٧٠ م حتى ١٩٧٢ م كانت قرية يارين تتعرض للقصف المدفعي العنيف مما أدى إلى إحراق وإتلاف العديد من المنازل والحقول ونفق المواشي .

« وفي نهاية العام ١٩٧٠ م تعرضت بلدة ياطر لعملية كوماندوس واسعة النطاق على أيدي لواء المشاة المعروف باسم « جولاني » وأسفر الاعتداء عن نسف أربعة منازل ومقتل رجل وطفلة من المدنيين وتصدع ١٨ منزلاً ومقتل أكثر من عشرة من الفدائيين وقد قصفت البلدة بعنف شديد بعد

(١) جريدة السفير - ١٩٧٩/٣/١ م - ص ٥ .
(٢) نفس المصدر - ١٩٧٩/٣/١م - ص ٥ .

انسحاب هذه القوات منها »[1] .

ظلّت قرى جبل عامل عرضة للإعتداءات حتى عام ١٩٧٥ حيث كانت عمليات الكوماندوس ونسف البيوت واقتياد الناس إلى داخل الأرض المحتلة ماتزال مستمرة وبدون انقطاع ، كما كان يحصل في كفركلا ورب ثلاثين والطيبة وحولا وعيثرون وبليدا وبنت جبيل وعيناثا وغيرها من قرى جبل عامل .

---

(١) الاعتداءات الإسرائيلية - يوميات - لبنان ١٩٤٩ - ١٩٨٥ - (المركز العربي للمعلومات - ص ٥٥ (بالإضافة إلى معلومات من المؤلف الذي كان حاضراً في قريته المذكورة أثناء العدوان) .

الأهداف اليهودية في لبنان

محاولات الاستيلاء :

وحين دخل لبنان تحت حكم الانتداب الفرنسي ، جدد وايزمان محاولاته مع سلطات الانتداب « بشأن الاستيلاء على جنوب لبنان ، فقد اجتمع بالجنرال غورو المفوّض السامي الإفرنسي ، في باريس والمسيو دي مونفري أثناء انعقاد مؤتمر السلام ، وحاول إقناع الجنرال غورو بأهمية الليطاني »(١) . وحينما ذهبت جهود الصهيونية أدراج الرياح في اقتطاع جزء من لبنان أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها باستغلال ظروف الحرب وما تلاها من اتصالات وراء الكواليس ، « استغلت ظروف الحرب العالمية الثانية ، فساومت من جديد على جنوب لبنان لقاء خدمات تقدمها إلى الحلفاء »(٢) .

---

(١) علي محمد ـ علي ـ إسرائيل والشرق الأوسط ـ ص ٢٨٣ ـ نقلاً عن مذكرات وايزمان ـ ص ٣٦٠ .

(٢) عاصي ـ عبد الله ـ خط إسرائيل على لبنان الجنوبي ـ ص ٢٢ ـ منشورات المجلس الثقافي في لبنان الجنوبي .

لقد استطاع المرابون والسماسرة اليهود شراء مساحات واسعة من الأرض كان يملكها لبنانيون وغيرهم داخل فلسطين منها سهل الحولة ومرج بني عامر ، المتاخمة أو القريبة من الحدود اللبنانية بالإضافة إلى أراضي واسعة أخرىٰ تقع ضمن الحدود اللبنانية . واستطاعت المنظمة الصهيونية ، بما لديها من ضغوط أن تعدّل من هذه الحدود لأول مرة سنة ١٩٢٣ بالاتفاق مع الدولتين المنتدبتين على لبنان وفلسطين وقد شمل هذا التعديل طول الحدود اللبنانية ، لفلسطين ، فألحقت بموجبه قرى كثيرة إلى فلسطين ، بعد أن كانت تابعة إلى لبنان الجنوبي منها : صلحا وهونين والمنصورة وطربيخا الخ . . .

وبعد نشوب الحرب الفلسطينية في سنة ١٩٤٨ م خططت الحدود من جديد مع لبنان ، فظلت بعض الأراضي الإسرائيلية داخلة ضمن الحدود اللبنانية على الرغم من الإجحاف الذي لحق بلبنان في رسم الحدود وإدخال أراضي واسعة في مناطق كثيرة من الحدود وضمن دولة إسرائيل »[٣] .

خطّة بن غوريون :

كان ساسة اليهود يرون أنّ لبنان هو الحلقة الضعيفة في التحالف العربي ، لذا يجب تمزيق هذا التحالف ، وبالتالي تمزيق لبنان نفسه ، وقد ورد في مذكرات موشي شاريت وثائق تبين النيات والأهداف الإسرائيلية تجاه لبنان . ففي خطة مطولة وضعها ديفيد بن غوريون ، وأرسلها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي موشي شاريت عام ١٩٥٤ م يبين فيها الأهداف التي يمكن الوصول إليها إذا ما تم تمزيق لبنان على أساس الخطة الصهيونية . حيث يقول : « . . . من الواضح أن لبنان هو النقطة الأضعف في الجامعة العربية . . . ولكن المسيحيين في لبنان . . . هم أكثرية . . . لذلك فإن

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ .

إيجاد دولة مسيحية ، هو عمل طبيعي ، وله حدود تاريخية وسيجد الدعم لدى أوساط العالم المسيحي الكاثوليكي والبروتستانتي . . . للعمل على إقامة دولة مسيحية بجوارنا . . . ودون مبادرتنا ومساعدتنا القوية لن يتم ذلك . . . وأن علينا أن نعمل بكل الطرق الممكنة لتحقيق حصول تغيير جذري في لبنان . ويجب تعبئة ساسون وبقية خبرائنا بالشؤون العربية . . . علينا أن نركّز كل جهودنا على هذا الموضوع ، فهذه فرصة تاريخية . ولن يسامحنا أحد إذا أضعفناها . . . ولن نصل إلى الهدف طبعاً ، دون تصغير الحدود اللبنانية ولكن إذا ما عثرنا في لبنان ، وبين المغتربين منه ، على رجال مستعدين للتعبئة لإقامة دولة مارونية فإن الحدود الموسعة والعدد الكبير من السكان المسلمين لن يفيدوهم ، وهذا لن يشكل أي عامل مزعج »[1] .

رد موشي شاريت :

كان شاريت رئيساً للوزراء في إسرائيل عام ١٩٥٤ م . وقد ردّ على بن



موشي شاريت رئيس الوزراء الصهيوني سنة ١٩٥٤م وصاحب المخططات الهدامة .

(١) دافيد بن غوريون ـ ٢٧ شباط ١٩٥٤ م ص ٢٣٩٧ ـ ٢٣٩٨ (مذكرات موشي شاريت) .

غوريون قائلاً : « لا أستبعد تحقيق هذا الهدف في أعقاب موجة من الهزّات التي تجتاح الشرق الأوسط وتدمر عناصر التركيبة الحالية . . . . وكان شاريت متردداً على الدوام لأسباب منها :

- أن المسيحيين لا يشكلون الأكثرية في لبنان .
- أن الحرب الدموية التي ستنفجر حتماً نتيجة لمثل هذه المحاولة ربما لا تقتصر على لبنان .
- أن جبل لبنان لم يكن وحده مكتفياً بذاته ، ولا يمكن فصله عن بقية المناطق ، وقد يؤدي ذلك إلى انتحار لبنان اقتصادياً .

وأخيراً يوصي بالحفاظ على جانب السرية في العمل قائلاً : « إذا لم يحافظ على سرية الخطة ، وأصبحت معروفة ، وهو خطر لا يمكن التقليل منه في ظروف الشرق الأوسط ، فإن الضرر الذي سنعاني منه لن يوازيه حتى النجاح المحتمل للعملية نفسها »[1] .

مشروع دايان :

خلال اجتماع مشترك لكبار مسؤولي وزارتي الدفاع والخارجية في ١٦ أيار سنة ١٩٥٤ م عاد بن غوريون بعد أن أصبح وزيراً للدفاع إلى ما يسميه شاريت : « حلمه القديم » في التدخل في لبنان ، وأثار مجدداً المطالبة بأن تفعل إسرائيل شيئاً بالنسبة للبنان ، وقد عبر دايان عن دعمه المتحمس قائلاً : « إن الشيء الوحيد الضروري هو العثور على ضابط لبناني ، ويمكن حتى لضابط برتبة رائد أن يؤدي المهمة ، وعلينا أن نستميله أو نشتريه بالمال كي يوافق على إعلان نفسه منقذاً للسكان الموارنة وبعد ذلك يدخل الجيش الإسرائيلي إلى لبنان ويحتل الأراضي اللازمة ويقيم نظام حكم مسيحي

---

(١) موشي شاريت ١٨ آذار ١٩٥٤ م ص ٢٣٩٨ - ٢٤٠٠ (مذكرات موشي شاريت) .

متحالف مع إسرائيل ، وستضم الأراضي الواقعة جنوبي الليطاني بشكل نهائي إلى إسرائيل ويصبح كل شيء على ما يرام »[1] .

. . . ويوم ٢٢ أيلول ١٩٥٤ م ، وقعت عملية فدائية في فلسطين ، فقد هوجمت سيارة باص في الجليل ، قرب صفد فقتل شخصان وجرح عشرة من الصهاينة وحتى قبل أن يستطيع التحقيق معرفة الجهة التي أتى منها المهاجمون . . طلب دايان القيام بعملية انتقامية ضد لبنان . وتم اختيار قرية لبنانية لتنسف منازلها »[2] .

وفي ١٩٥٤ أيضاً قال ديفيد بن غوريون في رسالة جوابية إلى الزعيم الفرنسي شارل ديغُول : « إن أمنيتي في المستقبل هي جعل نهر الليطاني في حدود إسرائيل الشمالية » .

وفي صيف ١٩٥٦ م وأثناء التحضيرات السرية للعدوان الثلاثي على مصر جرى تدعيم التحالف العسكري والسياسي مع فرنسا وعرض بن غوريون الذي كان رئيساً للحكومة الإسرائيلية أمام المسؤولين الفرنسيين في اجتماع سري عقد في قصر سيفر تفاصيل خطته التي تتلخص بالأمور التالية :

أولاً : اجتياح مصر .

ثانياً : احتلال الضفة الغربية .

ثالثاً : تتقدم القوات الإسرائيلية إلى نهر الليطاني جاعلة منه الحدود الشمالية لدولة إسرائيل ، أما القسم الآخر من لبنان فتقام عليه دولة مسيحية »[3] .

---

(١) مذكرات موشي شاريت ـ يومان إيشي ـ ١٦/ ٥/ ١٩٥٤ م ـ ص ٩٩٦ .

(٢) المشروع الماروني في لبنان ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ص٥٩٧ ـ ٥٩٨ ـ نقلاً عن The armed prophet abyography of Bengorion. p: 236 (MichealBarzchar).

رياح المؤامرات :

في الوقت الذي كانت فيه رياح المؤامرات تعصف بالمنطقة ، كانت أميركا وإسرائيل من خلف هذه المؤامرات تهيىء المناخ الملائم للسيطرة على كل مقدرات المنطقة وتربطها بالمعاهدات والأحلاف وتهيىء صنائع لها لاستلام الحكم في الدول التي كانت تحصل على استقلالها حديثاً لتحل محل الإستعماريين القديمين : بريطانيا وفرنسا . وخصوصاً أميركا حيث أقدمت على إنشاء حلف عسكري دفاعي سمي : حلف بغداد ، انضمت إليه أكبر الدول الإسلامية آنذاك : كالباكستان وتركيا وإيران والعراق وغيرها .

وكان أكثر المتحمسين لهذا الحلف المعادي للإسلام والمسلمين رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق يومذاك كميل شمعون « الذي تمادى في غيّه وكان له مشروع (لفينقة) البلد وتقطيع أوصاله الروحية مع الماضي ومع الجوار ومع ذاته وجنحت به هذه السياسة إلى تأييد وطن قومي مسيحي في لبنان على شاكلة إسرائيل »[1] .

وقد تحمس الكثيرون لفكرة إنشاء « الوطن القومي المسيحي » وتطورت في أذهانهم إلى حدّ المجاهرة والمصارحة .

كل ذلك كان يجري في وقت كانت فيه المؤامرات العالمية تمهد الطريق لاستيلاء إسرائيل على ما تبقى من أرض فلسطين : كالضفة الغربية وقطاع غزة ، وتوسيع حدودها نحو الشمال باتجاه جبل عامل . ففي كانون الأول سنة ١٩٤٦ م نزلت فرقة عسكرية أميركية في بيروت وأحيطت بهالة واسعة من الدعاية .

وفي ١٢ كانون الأول سنة ١٩٤٧ م تقدم الرئيس الأميركي ترومان

---

(١) جنبلاط ـ كمال ـ حقيقة الثورة اللبنانية سنة ١٩٥٩ ـ دار النشر العربية سنة ١٩٥٩ ـ ص ١٠ .

باقتراح شامل عرف فيما بعد « بمبدأ ترومان » يقول بنصه الحرفي : «إنه يرمي إلى تأييد الشعوب الحرة للصمود في وجه الأقليات المسلّحة في الداخل أو الضغوط الخارجية »[1] .

ويبدو واضحاً من خلال النص الحرفي لمبدأ ترومان ، هو وضع شعوب العالم الإسلامي تحت الوصاية الأميركية المباشرة لحمايتها من أية ثورة داخلية مسلّحة ، ومن ثم ترسيخ التمزق داخل منطقة الشرق الأوسط وربط عجلة الاقتصاد الإسرائيلي على حساب هذه المنطقة وشعوبها ، وهذا ما حصل فعلاً فيما بعد .

وعلى أساس هذا المبدأ وقّعت تركيا معاهدة مع الولايات المتحدة حول المساعدات الحربية عام ١٩٤٧ م وفي العام التالي اتفاقية تعاون اقتصادي . وفي عام ١٩٥١ م وافق الكونغرس على أن يشمل المبدأ دول الشرق الأوسط فوافق رئيس لبنان ووقعت إتفاقية مساعدات اقتصادية فنية . وقد اعترف الأميركيون بأن مساعدتهم للدول النامية مشروط بتحقيق أغراض سياسية . وجاء هذا التصريح لرئيس بعثة « النقطة الرابعة » في مبدأ ترومان أثناء مؤتمرٍ صحافي عقد في بيروت قال فيه : « إن جميع المشاريع التي تضعها الحكومة الأميركية للمساعدات الفنية والاقتصادية والعسكرية تخضع لإشراف دوائر الدفاع المشترك »[2] .

موقف مشرّف لأحد علمائنا :

ذكرت صحيفة المحرر في ١٦/ ١١/ ١٩٥٣ م ـ العنوان التالي : « هذا عربي عزيز ! » رجل من موطني هذا ، وقف وقفة عزٍّ وكرامة وإباء لن ننساها له . إنه من رجال الدين الكبار . . .

---

(١) جريدة المحرر ـ ٢٨ تموز ١٩٧٥ م ـ ص ١٣ العمود الأول .

(٢) نسيان ـ هوفها ـ النضال الوطني والتحرري في لبنان ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨ ـ دار الفارابي ـ بيروت ـ ص ١١٩ .

لقد زاره وفد من السفارة الأميركية يوم كان الأسطول الأميركي في بيروت من نحو أسبوعين ودعاه إلى زيارة حاملة الطائرات « روزفلت » وقال له :

ـ إن التدابير اتخذت لاستقبال سماحة الأستاذ استقبالاً لا يليق بمركزه الكبير ، ومن هذه التدابير سيارة خاصة فخمة .

وقال رجل الدين : أما السيارة . . . فلا حاجة لنا بها . . فالمدينة ملأى بالسيارات وأما الزيارة فنرفض أن نقوم بها ، لأن إخواننا وأبناءنا في فلسطين إنّما يقتلون بالسلاح المجرم الذي تغدقه أميركا على إسرائيل .

ووقف سماحته منهياً المقابلة . . . »[1] .

أما الحادثة فقد جرت مع العلاّمة المقدس المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية وقد أوردها كما يلي : « زارني في منزلي بعد ظهر يوم مشمس من أيام تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ أحد كبار الدبلوماسيين الأميركيين في السفارة الأميركية في بيروت وكان برفقته اثنان آخران أحدهما مترجم .

وبعد المجاملات والرسميات ، والسؤال عن الصحة والأحوال وإغداق الابتسامات الرقيقة المصطنعة التي غمرنا بها سعادة الدبلوماسي الأميركي ، سألته مباشرة عمّا يريد :

قال : باسم السفير الأميركي في لبنان أدعو سماحتكم إلى زيارة الأسطول السادس الراسي في مياه بيروت حيث تلتقي مع سعادة السفير على ظهر حاملة الطائرات ، ولقد أُخذت التدابير اللازمة لاستقبالكم ، بما يليق بشخصكم الكريم وبمركزكم الكبير .

ـ أخذتني المفاجأة لبرهة ، لأنني لم أكن أتوقع شيئاً من هذا القبيل ،

---

(١) جريدة المحرر ـ ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ م .

مع علمي أن الأميركان لن يزوروني قربة إلى الله تعالى ، لكنني ظننت أن الزيارة محض دبلوماسية لمجرد التعارف والبروتوكول . .

وأجبته بروية : ما هو السبب لهذه الدعوة ؟ وما هو الهدف من هذه الزيارة ؟ .

قال مردداً ـ ندعوكم لزيارة الأسطول ، حيث سيجري استقبالكم ولقاؤكم مع السفير الذي يرغب في محادثتكم والتعرّف عليكم .

لقد رأيت أن أنهي الزيارة لمّا وصلنا بالحوار إلى طريق مسدود .

قلت بهدوء : آسف لا أستطيع قبول هذه الدعوة ، وعذراً لذلك .

قال : لماذا ترفض يا سماحة الشيخ ؟ هل يوجد شيء على غير ما يرام ؟ قال ذلك ببراءة الذئب وقد غابت الابتسامة عن وجهه .

قلت بحدّة ـ إسمع يا هذا ، إن أميركا ألدُّ عدوة للإسلام والأمة العربية ، أميركا أوجدت إسرائيل ، وقتلت شعبنا في فلسطين وشردته من دياره ، إن دماء أبنائنا مازالت تنزف في دير ياسين وعلى أرض فلسطين ، وأخوتنا يقتلون بسلاح أميركا الذي تغدقه على إسرائيل . . إن أميركا هي قوة إسرائيل وما هذه إلّا مخلب في يدها . . وبعد هذا تدعوني إلى زيارة الأسطول السادس . . »[1] .

بهذه المواقف الصلبة ، وبهذه الصراحة ، كان علماؤنا الأجلاء يجاهرون بالحق ولا يخافون صولة السلطان ، ولا يكترثون بالنتائج ، ولا يخافون العواقب ، فمرضاة الله ، والواجب الشرعي الإلهي ، يحتمان عليهم الوقوف بشجاعة وصلابة في وجه الأعداء الماكرين ، ولا تنطوي عليهم أحابيل الضالين ، ولا يتهاوون أمام المغريات الدنيوية التافهة . وهكذا تعلم

---

(١) مغنية ـ محمد جواد ـ تجارب محمد جواد مغنية ـ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ـ دار الجواد ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٨٠ .

السواد الأعظم من العامليين ، تعلموا من هؤلاء العلماء أن الحق يعلو ولا يُعلا عليه ، وأن التضحية في سبيل العقيدة والمبدأ والأرض ترخص دونها كل الماديات التافهة .

. . . ونداء مدوّي للسيد عبد الحسين شرف الدين أثناء عدوان السويس سنة ١٩٥٦ م :

عشية العدوان الثلاثي (الإسرائيلي ـ الإنكليزي ـ الفرنسي) الغادر على أرض مصر الإسلامية عام ١٩٥٦ م وجه السيد المجاهد المرحوم عبد الحسين شرف الدين (أعلى الله مقامه) عبر إذاعة « وكالة إذاعة الشرق الأوسط » في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ م ، النداء التالي إلى علماء الدين في العالم : « في هذه الفترة الحاسمة التي يمتحن فيها الاستعمار مناعة الإنسان في الحرية وتقرير المصير .

في هذه الفترة التي يغزو بها الاستعمار مصر المجاهدة ، أبتهل إلى الله عز وعلا أن ينصر الحقّ ويزهق الباطل ، وأناشد إخواني في الله تعالى علماء الدين في كل مكان أن يقولوا كلمتهم : فتدوي صارخة توقظ النائمين وتدفع الواقفين إلى الدفاع عن معقل هو أعز معاقلنا تحت راية الحق وأهيب بجميع أبنائنا في الله في المشرق والمغرب إلى الإشتراك في معركة المصير هذه ، وإعلان الحرب على الاستعمار الذي جعل من شرعة حقوق الإنسان شريعة قراصنة وذؤبان تغدر بالوطن المؤمن الآمن ، فيسوّر عليه جوّه وأرضه ومياهه ويلتحم معه ناباً مسموماً ، وظفراً لئيماً في حرب إبادة فيرى فيه الموطن العظيم جيشاً وشعباً ورئيساً .

ألا وإن الاستعمار الغربي يغزونا في عقر دارنا ، معتدياً غاشماً .
ألا ومن مات دون حفنة من تراب وطنه مات شهيداً »[1] .

---

(١) بغية الراغبين المطبوع ـ تحقيق ولده السيد عبد الله شرف الدين ـ ص ٤٦٢ ـ مصدر سابق .

ثورة سنة ١٩٥٨م الشعبيّة

كان للتغيير الذي أحدثته ثورة « الضباط الأحرار » في مصر أثره البالغ على أكثر دول المنطقة . وأمام صراع الحرب الباردة التي كانت في بداية اشتدادها بين المعسكرين الغربي بزعامة أميركا والشرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي ، كان لا بد من عملية فرز في المنطقة ، والارتباط بالأحلاف حسب أنظمة الحكم السائدة في بلدان الشرق الأوسط آنذاك ، وبعد قيام حلف بغداد ، « أعرض المسلمون في لبنان عن هذا الحلف ، ولكن حكومة شمعون خانت هذه الإرادة وأخذت تتعاون سرّاً مع حكومات الدول الأعضاء في الحلف ، ولا سيما في تركيا وإيران والعراق ، مستمدة من الحكومة العراقية المال ، يتسلمه شمعون نفسه ويتصرف به على هواه ، وقد استقدم من تركيا وحدها حمولة اثنين وعشرين طائرة « داكوتا » من السلاح والذخيرة لقتال المسلمين ولا سيما أثناء الثورة »[1] .

وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م كان من المفترض

---

(١) عمون ـ فؤاد ـ سياسة لبنان الخارجية ـ ص ٦٢ ـ دار النشر ـ سنة ١٩٥٩ ـ بيروت .

أن يتمخض هذا العدوان في حال نجاحه عن تقدم الجيش الإسرائيلي حتى نهر الليطاني ، وعندها يتحقق الحلم الهاجس الذي كان يراود مؤسسي دولة إسرائيل في فلسطين . لكن وقفة الشعب المسلم في مصر وصده للعدوان ، والظروف الدولية التي كانت تتحكم بوضع المنطقة حالت دون دخول اليهود إلى جبل عامل .

العلاقات الأميركية اللبنانية :

في شهر كانون الثاني من عام ١٩٥٧ م أقرّ الكونغرس الأميركي مبدأ أيزنهاور الذي يسمح للرئيس الأميركي « بأن يستخدم القوات المسلّحة التابعة للولايات المتحدة لحماية أية دولة في الشرق الأوسط تطلب مساعدتها »[١] . وفي ربيع عام ١٩٥٧ م أرسل الرئيس الأميركي رئيس العلاقات الخارجية جيمس تشارلز إلى لبنان لإجراء محادثات مع شمعون حول الانضمام إلى المشروع والقبول بمبدأ أيزنهاور مما أثار سخط المسلمين واحتجاجهم »[٢] . وكان من أكبر المنظرين لدخول لبنان في مشروع أيزنهاور وزير الخارجية يومذاك ، شارل مالك .

وفي شهر حزيران سنة ١٩٥٧ م حدثت فضيحة ، عندما جرت انتخابات نيابية سادها الإرهاب والتزوير ، ومولت المخابرات الأميركية الحملة الانتخابية بعشرات الآلاف من الدولارات »[٣] .

وكان كميل شمعون يسعى إلى تعديل الدستور وتجديد رئاسته كما فعل سلفه بشارة الخوري ، ولهذا الغرض فقد تلاعب بالانتخابات وزوّرها ليأتي

---

(١) جريدة المحرر ـ ٢٨ تموز ١٩٧٥ م ـ ص ١٣ العمود الأول .
(٢) حروب التدخل الأميركية في العالم ـ ريتشارد بارنت ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ ـ دار ابن خلدون ـ بيروت .
(٣) حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ جوناثان راندل ـ مراسل الواشنطن بوست ـ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ العهد للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٨٤ .

بمجلس مطواع في التجديد له ، وفي تنفيذ سياسته ، وعلى أثر ذلك وأمام صرخة المسلمين واحتجاجهم تقدم رؤساء الحكومات السابقين وسواهم من ممثلي المسلمين بعريضة يرفضون فيها قبول أي مركز مسؤول في العهد القائم »[١] .

جبل عامل محور الثورة :

على أثر اندلاع المواجهات في عهد الرئيس الأسبق كميل شمعون ، شارك عدد كبير من شباب المنطقة الحدودية في هذه المعركة ، وقدّموا عدداً من الشهداء .

« وكان سكان جبل عامل أول من رحبوا بإعلان الوحدة العربية الأولى بين سوريا ومصر سنة ١٩٥٨ م وأقاموا مهرجانات الفرح والتأييد لقيام هذه الوحدة التي حققت بعضاً من أحلامهم ، وكانوا أول من حزن للإنفصال الذي أدّى إلى تخريب الآمال »[٢] .

الثــورة . . :

. . وأول انطلاقة للثورة كانت من جبل عامل ، من مدينة صور ، رافقها انفجار شعبي عارم في كل المناطق الإسلامية من لبنان . ويقول فؤاد عمون : « وانتفض الشعب في ربيع ١٩٥٨ م انتفاضة لم يسبق لها مثيل من قبل في شدّتها ومداها »[٣] .

كانت أكثر القيادات التي تولت قيادة الثورة من الزعماء التقليديين أصحاب المناصب في المجلس النيابي وإدارات الدولة ؛ أمثال : أحمد الأسعد وصائب سلام وغيرهم من هؤلاء الزعماء ، لكن المسلمين في

---

(١) حقيقة الثورة اللبنانية ـ ١٩٥٩ ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥ .
(٢) قضية شعب وأرض ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢ .
(٣) سايسة لبنان الخارجية ـ مصدر سابق ـ ص ٣٣ ـ ٣٤ .

بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبعلبك وغيرها من المدن والحواضر شرعوا بإقامة المتاريس عند النقاط الحيوية لهذه المدن وبالأخص في مدينة بيروت ، وحفروا الخنادق حول مناطق تجمّعها .

وكانت الأسلحة والذخائر تُصل بغزارة إلى شمعون وأنصاره من دول حلف بغداد . وإلى جانب تلك المساعدات « كان شمعون يتزود بالسلاح الإسرائيلي ولم يكن قدوم السلاح من إسرائيل أمراً جديداً ، فتلقى خمسمائة رشاش طومسون وريناوبرنّ ، وتعاون رابين كما كتب في مذكراته حين كان في قيادة المنطقة الشمالية مع شمعون ليضعا حدّاً لتسريب السلاح من سوريا إلى لبنان بغية قلب النظام الماروني »[1] .

« وقامت وحدات عسكرية من الجيش اللبناني مضمونة الولاء لقائدها فؤاد شهاب بضرب الثوار المسلمين في منطقة بعلبك والهرمل وطرابلس ، وفي أكثر من منطقة لبنانية . واستعمل سلاح الطيران في قصف تجمعات الثوار في البقاع وفي تدمير جزء من قرية عرسال ويحكى أن الطائرات اللبنانية كثيراً ما لاحقت السيارات على طرقات البقاع المكشوفة فيما قامت قوة من الجيش اللبناني بمحاولة اقتحام قرية عرسال فصُدّت وقتل قائدها « بنوا بركات »[2] . ومما يجدر الإشارة إليه أن الضابط المذكور هو من قرية عين إبل المسيحية الجنوبية ، وقد أطلق اسمه على ثكنة الجيش في مدينة صور ، وقد غيَّر جيش لبنان العربي إسم الثكنة عام ١٩٧٦ ، وسميت باسم أحد الضباط المسلمين الذي استشهد في معركة الطيبة ضد العدوّ الإسرائيلي وعملائه واسمه « غسان برو » ولما استلمت الدولة الثكنة بعد اتفاق الطائف أعادت اسمها الأول : « ثكنة بنوا بركات ! » .

لم يستطع شمعون أن يسوق كل الجيش اللبناني إلى هذه المعركة ،

---

(١) حرب الألف سنة ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٤ .
(٢) مجلة الشراع ـ العدد ١١٣ ـ ١٤ أيار ١٩٨٤ ص ١٤ ـ ١٥ .

لكنه استطاع أن يسوق كل قوى الأمن الأخرى وجزءً كبيراً من الجيش ، واستطاع أن يشكل ضغطاً كبيراً على قائد الجيش فؤاد شهاب ، مما جعل هذا الأخير أن يحمي مؤخرة شمعون في كثير من الجبهات .

« فالجيش كان هناك ليحمي حيث يستطيع ، المقرات الحكومية ورموز السلطة ، والجيش كان هناك ليضمن بقاء شمعون إلى آخر دقيقة من حكمه ، وقد هيأ بعض الضباط انقلاباً على كميل شمعون ، وكادوا يقدمون على هذا العمل لولا أن فؤاد شهاب تدارك الأمر في آخر لحظة وحافظ على استمرار ولاية شمعون إلى نهايتها ، واستعان شمعون خارج قوى الدولة بالكتائب وأنشأ فرق أنصار يقاتلون إلى جانبه بأموال الدولة دون أن يكونوا من الموظفين »[١] .

الإنزال الأميركي :

لم يكن لدى كميل شمعون الأعداد الكافية من المسلحين « لكن اعتداده بإمكانية التدخل الأميركي عند الطلب ، كما ينص على ذلك مبدأ أيزنهاور ، جعله متصلباً في مواقفه »[٢] ثم أعلن السفير الأميركي في بيروت أن للرئيس شمعون الحق في طلب المعونة العسكرية الأميركية استناداً إلى نصوص المبدأ السابق الذكر[٣] . وفي ١٤ تموز سقطت حكومة نوري السعيد في العراق ، ثم أعلن شمعون ، جلاد الشعب ، طلب المساعدة العسكرية من أميركا فتعهد له السفير وصولها خلال ثمان وأربعين ساعة وهذا ما حدث فعلاً « في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، استجاب الرئيس الأميركي لطلب جاء في برقية من شمعون بإنزال القوات الأميركية في لبنان مرسلاً أربعة عشر ألفاً من

(١) المارونية السياسية ـ من منشورات جريدة السفير .
(٢) كوبلاند ـ مايلز ـ لعبة الأمم ـ تعريب مروان خير ـ ص ٢٧٠ ـ مكتبة الزيتونة ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٧٠ .
(٣) نفس المصدر ـ ص ٢٧٣ .

الجنود في مشاة البحرية أو ما يقارب ضعف حجم جيش لبنان في ذلك الوقت »[1] ، ووصل الأسطول الأميركي في أقل من ٢٤ ساعة وتدفق الجنود منه أفواجاً بوجوه متجهمة وبنادق مصوبة على شواطىء بيروت »[2] .

ووقف إلى جانب الأميركيين كل من كميل شمعون ووزرائه ، ومعظم المسيحيين اللبنانيين ، وطبقة رجال الأعمال الأميركيين بالإضافة إلى وكالة الاستخبارات المركزية »[3] .

ولما نزل الأسطول السادس على شاطىء بيروت ليجمد الوضع كان ثلثا الوطن اللبناني في يد الثوار ، وكان الثلث فقط في ظل دولة شمعون . « ويقول الموفد الأميركي روبرت مورفي في كتاب ألّفه عن مهمته أنه لاحظ أن العلم اللبناني كان يرفرف على مناطق مزدهرة اقتصادياً أما حيث لا ازدهار فلم يكن هناك علم لبناني . وكأن مورفي كان يعطي بعداً اجتماعياً للحرب الناشبة ويلفت النظر إلى أن الدولة الشمعونية التي خاضت الحرب ضد الثوار على أساس الحفاظ على لبنان لم تكن تعامل القسم الأكبر من اللبنانيين على أنهم لبنانيون »[4] .

« وكان شمعون قد طلب من الأميركيين أن يسدوا كل المنافذ المؤدية إلى لبنان لمنع تدفق الأسلحة التي كانت تأتي من سوريا إلى الثوار المسلمين ، وأن يراقبوا الجبال والأودية »[3] هادفاً من ذلك التدبير أن يستولي الأميركيون على كل لبنان من أجل تصفية المسلمين تصفية جسدية نهائية ، لكن الأميركيين دبّ في قلوبهم الرعب مكتفين « بأن للرئيس شمعون الحق بتقرير ما يروق له ، دون أن يظهر أي لين ، أو يبدي خضوعاً

(١) حروب التدخل الأميركية في العالم ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٦ .
(٢) لعبة الأمم ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧٣ .
(٣) لعبة الأمم ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧٤ .
(٤) المارونية السياسية ـ كتاب السفير) .
(٥) لعبة الأمم ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧٥ .

« للإرهابيين » في بيروت وهكذا لم يتجاوز بيروت إلى مناطق أخرى .

على أن إنزال هؤلاء الجنود لم يضع حدّاً للثورة ولم يحمل المسلمين على إلقاء سلاحهم بل كانوا يصرّون على تغيير النظام السياسي واستقالة كميل شمعون الذي باع البلاد للدول الاستعمارية »[1] . وكان أحد الأميركيين قد قال : « ١٩٥٨ كانت ثورة لبنانية حقيقية ، بإرسالنا للمارينز ، منعنا تطورها الطبيعي الذي يمرّ عبر سلطة سياسية متنامية لصالح المسلمين »[2] .

تسوية اللاغالب ولا مغلوب :

في ١٦ تموز ١٩٥٨ ، أي بعد نزول القوات الأميركية بيوم واحد وصل روبرت مورفي ، وكيل وزارة الخارجية الأميركية ، إلى بيروت موفداً من الرئيس الأميركي أيزنهاور لمساعدة كميل شمعون في محنته وإنقاذ النظام الماروني من السقوط . « بعد محادثات ومشاورات تم تعيين الاحتياطي الماروني فؤاد شهاب خلفاً لكميل شمعون في ٣١ تموز ١٩٥٨ »[3] .

لم تتأثر الثورة بهذا التعيين ، ولم يكن هدفها استبدال رئيس بآخر ، إنما كانت تطمح إلى التغيير الجذري ، الذي يلحق لبنان بجاراته الدول العربية المسلمة وإبعاد شبح الأحلاف الاستعمارية ، والمراهنات على التدخلات الأجنبية ، وفرضها على جماهير المسلمين .

لقد رأى المسلمون أن تبديل الرؤساء والحكومات لا يرد حقاً ولا يدفع باطلاً ولا يغني فقيراً ولا يسمن جائع .

---

(١) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧٥ .
(٢) رندل ـ جوناثان ـ حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ ص ١٣٦ ـ دار ابن خلدون ـ بيروت .
(٣) تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥٠ .

« لكن الزعماء طلاب المناصب ، أو « أمراء الطوائف » شاؤو اقتسام الجبنة اللبنانية ، كما يقول فؤاد شهاب وإنهاء الاقتتال « بين الأخوة » طبقاً لصيغة « لا غالب ولا مغلوب »[1] تسارع أمراء الطوائف التقليديون ، أصحاب البيوت العريقة ، للظفر بما صاغته الأيدي الاستعمارية الأميركية الخفية وذهبت دماء الشهداء الذين سقطوا هباء منثوراً ، وخنقت الثورة في مهدها ، لأن الانتهازيين الذين اعتلوا صهوة الجواد الثائر لم يكونوا أكثر من طلّاب مناصب ، وفوتوا الفرصة على إحداث أي تغيير في هيكلية النظام .

« لقد تمكنت إحدى شركات البترول من تحقيق لقاء بين من أسمتهم زعماء المعارضة وبين أنصار شمعون حيث اتفقوا على وجوب التوقف عن تخريب « البلد الحبيب » وعلى ضرورة حسم النزاع بالوسائل السلمية . كما أعربوا عن ترحيبهم بانضمام السفارة الأميركية إلى « هذه البادرة السلمية » وعن رغبتهم في أن تضطلع ببعض المهام فيها »[2] .

إن التدخلات الأميركية عبر سفيرها في لبنان ، كان لها الدور البارز في تقزيم أهداف الثورة ، وتوجيه هذه الأهداف طبقاً للصيغة التي اشتهرت آنذاك « صيغة لا غالب ولا مغلوب » .

لقد مكث الجيش الأميركي المحتل في بيروت ثلاثة أشهر ، قفل بعدها راجعاً إلى قواعده بعد أن تمت التسوية مع أمراء الطوائف الذين تآمروا على الثوار والشهداء والوطن بأسره . والتاريخ دائماً يعيد نفسه .

ثم جاء « اللواء فؤاد شهاب » وأمسك بزمام السلطة ودرجت كلمة الشهابية في الإدارات العامة ، وكلمة المكتب الثاني في الأجهزة الأمنيّة والعسكرية .

---

(١) جريدة اللواء ـ العدد ٣١١١ ـ ٢٤ أيلول ١٩٧٩ ـ ص ١١ ـ العمود الثالث .
(٢) لعبة الأمم ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٧ .

لقد كانت ثورة ١٩٥٨ تحركاً إسلامياً رافضاً لكل أشكال الهيمنة والتسلط ، لكن الزعماء الذين كان أكثرهم نوّاباً في المجلس ، اعتلوا دفّة السفينة وراحوا يتبارون في الوطنية حفاظاً على امتيازاتهم ومكاسبهم ، وقد اندفع بعضهم للسفر إلى مصر وسوريا لإظهار نفسه بمظهر « الوطني » الحريص « والقومي العربي » المتفاني . وبعضهم الآخر انضم إلى التحالف الشمعوني ، وعادت الأوضاع كما لو كانت جولة انتخابية ، يتبارى فيها المرشح ضد الآخر بالزيارات والخطابات والوعود والإصلاحات الوهمية وما إلى ذلك ـ ولما انتهت الثورة بالصيغة الآنفة الذكر ، عاد أمراء الطوائف متآلفين متحابين داخل مجلسهم النيابي العزيز وكأن الحرب لم تحصد أحداً ولم تحرم عوائل من شبابها وبنيها ولم يخرب اقتصاد البلد ولم يحرم مواطن من حقوقه .

ظلت الحسرة في نفوس المسلمين وبالأخص في نفوس العامليين المحرومين ، واندمل الجمر تحت الرماد ، حتى تحين الفرصة المؤاتية .

السياسة الشهابية بعد ثورة ١٩٥٨ م :

تعهد فؤاد شهاب الجيش الذي بناه الفرنسيون منذ العام ١٩٤٥ م ، وحافظ عليه بعيداً عن العواصف السياسية .

« وكان فؤاد شهاب متشدداً في عزل لبنان عن محيطه الإسلامي وتكريس ارتباطه اقتصادياً وثقافياً بالغرب .

والمعلوم أن حكام لبنان ، كان كل منهم يستند إلى قاعدة ، إما طائفية أو عشائرية أو أقليمية ، تدعم موقفه السياسية والمالي في المجتمع .

« أما فؤاد شهاب فلم يجد أمامه من هو جدير بثقته وتثبيت حكمه غير رجالاته الذين تربوا على يديه منذ سنوات عديدة ، ضباط الجيش وعناصره .

ومن بين هؤلاء ، كان أكثر ولاء للقائد وللرئيس في ما بعد ، وموضع ثقته المطلقة ، عناصر جهاز المخابرات العسكرية ، المسماة « الشعبة الثانية »[1] .

لقد توسع نفوذ الشعبة الثانية برعاية الرئيس نفسه ـ فؤاد شهاب ـ « وكان الياس سركيس ، مدير عام الرئاسة ، أحد أبرز المساهمين في عمليات التطهير فقد كان له الرأي الأساسي في اختيار المديرين العامين للإدارات والمؤسسات العامة والمصالح المستقلة في صفوف المثقفين وأصحاب الاختصاص »[2] .

لقد أبدى فؤاد شهاب من التعصب مما جعل البعض يسميه « ببطرك الموارنة السياسي » ومما يثبت ذلك التعصب الحادثة التالية :

« بعد إعلان استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ م ، اتضح أن سلاح الثورة الجزائرية ، لم يكن موحداً بل كان من مصادر متنوعة مما يتنافى مع تسليح جيش نظامي حديث . وعليه فقد أصبح لدى الجزائر فائض ضخم من الأسلحة الجديدة غير الملائمة لسياسة التسليح النظامية ، لذلك وعبر بعض التشكيلات السرية آنذاك ، والتي أصبحت فيما بعد قوى علنية ضخمة في الشرق الأوسط ، قدم عرض لكل من فؤاد شهاب والملك حسين لتسليح قرى مناطق الحدود في بلديهما بالأسلحة الفائضة في الجزائر وبإشراف الجيش اللبناني والأردني ، وقد رفض كلاهما العرض .

وكان جواب فؤاد شهاب للوسطاء المفاوضين : أنا لا أوافق على تسليح أهالي قرى الحدود في الجنوب ولو بإشراف الجيش اللبناني ، لأنهم مسلمون »[3] .

---

(١) المشروع الماروني ـ مصدر سابق ـ ص ٦٣١ ـ ٦٣٢ .
(٢) السفير ـ العدد السنوي ـ ٢٨ كانون الأول ١٩٨١ م ـ ص ٢١ .
(٣) التقرير الإسلامي رقم ٧ ـ ٢١ كانون الأول ـ ١٩٧٩ ـ ص ١ (إصدار المركز الإسلامي للتربية ـ بيروت) .

هزيمة سنة ١٩٦٧م
وأثرها على جبل عامل

يعتقد اليهود بأن الكون كله مسخر لهم من بشر وأنعام وكائنات . وقد أوردت توراتهم تأكيداً على ذلك الامتياز ، ما جاء في سفر يشوع : « أحرقوا المدينة مع كل ما بها . . . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب »[1] وفي سفر التثنية : « قد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق الشعوب على وجه الأرض »[2] . وفي سفر العدد : « خذوا الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم »[3] كما أن اليهود جعلوا لله سبحانه نداً يتصارع معه ثم يتوسل هذا الرب يعقوب الذي ادّعى اليهود أنه تقاتل مع الرب حتى الفجر ثم استعطفه الرب قائلاً : « أطلقني لقد طلع الفجر ، فقال له يعقوب : لا أطلقك إن لم تباركني . . . فباركه الرب ، وسمّاه إسرائيل »[4] .

---

(١) سفر يشوع ـ الإصحاح ٦ ـ فقرة ٢٤ .
(٢) سفر التثنية ـ الإصحاح ١٤ .
(٣) سفر العدد ـ الإصحاح ٣١ ـ فقرة ١٢ .
(٤) سفر التكوين ـ الإصحاح ٣٢ ـ فقرة ٢٢ ـ ٢٩ .

وتشير هذه الفلسفة أو هذه الخرافة أن اليهودي لا غالب له ، حتى الله ـ قدس اسمه ـ يعجز عنه !! وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنص أبْيَن وأوضح في الآية ٦٤ من سورة المائدة : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ وفي الآية ٨١ من سورة آل عمران : ﴿ **قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ .

على هذه الأسس ، ومن خلال هذه المنطلقات شنَّ اليهود حروبهم المدمّرة ضد العرب المسلمين والتي تمخضت عن مآسي مؤلمة على جميع الصُّعد ، ولعلّ أكثر المناطق اكتواءً بنار حروب اليهود المدمّرة ، هي منطقة جبل عامل ، التي استطاعت وحدها وبفضل إيمان شبابها المضحي أن تقهر إسرائيل وتقضي على أسطورة الجيش الذي لا يقهر .

كيف كانت هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ ؟ :

تفاقمت الأوضاع العسكرية على الجبهة السورية ـ الإسرائيلية وتحول القصف اليومي المتبادل بين الطرفين إلى ما يشبه حرب الاستنزاف ، ولمّا قامت الطائرات السورية بقصف تجمعات المزارعين على الحدود بين البلدين ، طاردت المقاتلات الصهيونية ـ الطائرات السورية ، وأسقطت عدداً منها فوق دمشق .

ولم يكن الوضع على الجبهة الأردنية مستقراً لأن الصهاينة كانوا يغيرون بين الحين والآخر على قرى الضفة الغربية ، فيدمرون ويقتلون السكان الآمنين . وأمام هذا الوضع المتأزم ، أجرت القيادة السورية آنذاك إتفاقاً دفاعياً مشتركاً مع مصر عبد الناصر « وكان شغل عبد الناصر وضباطه الشاغل قبل الحرب بشهرين هو خراب اقتصاد البلاد وانهياره »[1] . وعندما استفزّه السعوديون والأردنيون معلنين أنه لم يبدِ أي تأثر بغارات الإسرائيليين

(١) لعبة الأمم ـ مصدر سابق ـ ص ٣١٦ .

المتزايدة على سوريا والأردن ، تحرّك ناصر . . وأغلق مضائق تيران في وجه الإسرائيليين »[1] .

« وأخذت الإذاعة السورية تدعو إلى الحرب علناً وإلى التحرير جهاراً . . . وحصل الإسرائيليون على كل ما أرادوه من أدلة وبراهين ليظهروا أنفسهم بمظهر المدافعين عن أنفسهم والمنادين بالسلام . . . وفي ٢٩ أيار ١٩٦٧ وجّه عبد الناصر خطاباً نارياً شديد اللهجة حيث قال فيه : لقد باتت استعداداتنا كاملة ، ونحن الآن مهيئون لمواجهة إسرائيل . . ولقد أصبحنا قادرين على معالجة قضية فلسطين بأكملها . . . وسوف نقرر نحن وليس هم زمان المعركة ومكانها »[2] .

وبالفعل اندفع الجيش المصري بكل قطاعاته إلى صحراء سيناء وشرم الشيخ وقطاع غزة والعريش . وبات الجيشان السوري والأردني على أهبة الاستعداد . وتوتر الجوّ السياسي في المنطقة ، وحشدت أميركا أسطولها السادس على مقربة من السواحل الفلسطينية المحتلة ، والشواطىء المصرية . وفي ليلة الخامس من حزيران كان المشير عبد الحكيم عامر قائد الجيش المصري قد أقام حفلة ترفيهية استمرت حتى الفجر في نادي ضباط الطيران في مكان ما من سيناء على شرف كبار ضباط سلاح الجو وقادة القطاعات والوحدات البرية . « وبعد فجر الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ م ، ركزت القوة الجوية الإسرائيلية أولاً على ضرب المطارات وعندما امتدت الحرب لتشمل سوريا والعراق والأردن ، وفي وقت متأخر من ذلك الصباح ، استخدمت إسرائيل التكتيك نفسه الذي اتبعته في مصر ، فالحرب ليس حدثاً رياضياً . وقد صَمَّمَتْ القيادة الإسرائيلية أن تؤمن للجنود الإسرائيليين مساعدة دفاعية جوية لن يتمتع بمثلها أعداؤهم ، عندما يشتبك

(١) نفس المصدر ـ ص ٣١٩ .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

الفريقان على الأرض .

كانت الأهداف المحددة في القواعد العربية الجوية متمثلة في الطائرات ومحطات الرادار والثكنات ومراكز القيادة والمدرجات نفسها وقد أطلق الإسرائيليون قنابل خاصة من طراز فرنسي زنتها ٦٠٠ كلغ تقريباً مربوطة بمجموعتين صاروخيتين : واحدة تكبح زخم السلاح عند إطلاقه ، والأخرى تقوده مباشرة نحو الأسفل إلى سطح المدرجات حيث ينفجر الرأس الحربي . واشتركت ١٨٣ طائرة في موجة الهجوم الأولى و١٦٤ في الموجة التالية . وكانت منذ اللحظات الأولى ناجحة جداً فخسرت مصر ٣٠٩ طائرات من أصل ٣٤٠ طائرة وهو مجموع طائراتها العاملة ، مع ما يوازي ثلث طياريها تقريباً . كما دمر جميع سلاح الجو الأردني الذي يبلغ ٣٠ طائرة ، وكذلك معظم سلاح الجوّ السوري الذي خسر ٥٧ طائرة ، وخسر العراق ١٠ طائرات . وخلال ساعات قليلة أصبحت إسرائيل ، كما قال أحد ضباط الأركان العامة الإسرائيلية « القوة الجويّة الوحيدة في الشرق الأوسط »[1] .

إذن قبل أن تشرق شمس الخامس من حزيران كانت طائرات الميراج الفرنسية الصنع ـ الإسرائيلة الاستعمال ـ تغير على المطارات في كل سيناء . ولم يبق إلّا بضع طائرات في عمق مصر هرّبها الفريق الجوّي مذكور أبو العز إلى السودان ، وانكشف الجيش المصري على رمال الصحراء وخلال ستة أيام كانت القوات الإسرائيلية قد وصلت إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وأصيب الجيش المصري بكارثة رهيبة ، وفقد عشرات الآلاف من الجنود القتلى والجرحى والأسرى . أما الجبهتان السورية والأردنية فلم تستطيعا الصمود أمام ضربات الجيش اليهودي ، فسقطت الضفة الغربية ومرتفعات الجولان .

---

(١) جريدة السفير ـ العدد ٤٩٠٩ ـ تاريخ ١٩٨٨/٢/٢٢ م ـ ص ٨ ـ العامود ٣ .

تهديد لبنان بالغزو والتذرع بأعمال الفدائيين :

بتاريخ ٧ أيار سنة ١٩٦٧ أعلن ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل أن سوريا هي الدولة المسؤولة بالدرجة الأولى عن عمليات التخريب ، وأضاف أن لبنان ليس خالياً من المسؤولية عن العمليات التي نفذت من أراضيه . ولدى إسرائيل قناعة تامة أن الحكومة اللبنانية تحرص بشدة على أن لا تكون أرض لبنان منطلقاً للعمليات الفدائية حتى لا يسود التوتر في المنطقة وتعطي إسرائيل تبريراً للعدوان على لبنان . . . ولما كانت غارات الفدائيين الفلسطينيين على إسرائيل قبل حرب حزيران وبعده تعد بالمئات وما حدث منها قريباً من حدود لبنان لا يتجاوز أصابع اليد ، قصد رئيس وزراء إسرائيل من إلقاء التهمة على لبنان في البيان الذي ألقاه هو إيجاد ، مبرر لغزوه . . . وأما مسؤولية لبنان من الدرجة الأولى وسيكون القصاص جزئياً ، وكأن أشكول يريد أن يقول : سنكتفي بالجزء الجنوبي من لبنان فقط تنفيذاً لرغبته السابقة وهي الاستفادة من المياه الفائضة في نهر الليطاني في المشاريع الإنمائية الإسرائيلية .

« ومع أن لبنان لم يحرك ساكناً في حرب حزيران . . . فقد راح راديو إسرائيل يصف اللبنانيين بالجبن والخوف . . . وينقل رغبات الإسرائيليين في غسل أقدامهم في نهر الليطاني ، وتزلجهم على قمم الأرز وقضاء عطلتهم في مصايف صنين ، واشتياقهم لتذوق تفاح الجبل . . . وما إلى هنالك من ادعاءات وإشارات »[1] .

مواقف لبنان بعد الحرب :

لم يحرك النظام اللبناني ساكناً ، فبعد انقضاء شهرين على الهزيمة ، وفي ٧ آب سنة ١٩٦٧ ، وجّه البطريرك المعوشي رسالة إلى شارل حلو

(١) خطر إسرائيل على لبنان الجنوبي ـ مصدر سابق ـ ص ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ .

رئيس الجمهورية كانت بمثابة الإعلان عن خطوة جريئة . . وأعلن عن رفضه القاطع لتقديم بعض التسهيلات العسكرية البسيطة في لبنان ، كوضع رادار لمجلس الدفاع العربي المشترك »[1] .

الخطر الإسرائيلي على لبنان بعد حرب حزيران :

يقول هرتزل : « المساحة من نهر مصر إلى الفرات ، لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون الحاكم فيها يهودياً . . . وما أن تصل نسبة السكان اليهود إلى الثلثين حتى تفرض الإدارة اليهودية نفسها سياسياً »[2] . ويعتبر لنان من الوجهة القومية العبرية ضمن دولة إسرائيل الكبرى (من النيل إلى الفرات) التي تسعى دولة إسرائيل إلى تحقيقها . وقد صرّح أحد زعماء حزب حيروت : بن إليعازر في تل أبيب بتاريخ ٦ حزيران سنة ١٩٦٧ : « لم نتنازل قط ولا في أي يوم من الأيام عن مبدأ (كامل حدود الدولة) أي (من النيل إلى الفرات) »[3] .

ويصرّح يوسف عجنون المفكر المتدين ، الأديب العالم الحائز على جائزة نوبل للسلام ، حيث يضع في روايته الأدبية (قلب البحر) مدينتي صيدا وصور ضمن نطاق دولة إسرائيل التي يطمع بها »[4] .

وحينما وضع شعار الدولة الإسرائيلية على حائط الكنيست لم يستثن لبنان من مملكة إسرائيل الممتدة من النيل إلى الفرات »[5] .

---

(١) جريدة نداء الوطن الناطقة باسم بكركي ـ ١٧ آب سنة ١٩٦٧ .
(٢) يوميات هرتزل ـ ص ١١٣ .
(٣) الحلو ـ أنجلينا ـ عوامل تكوين إسرائيل ـ ص ٣٥ .
(٤) كنفاني ـ غسان ـ في الأدب الصهيوني ـ ص١٥٦ .
(٥) خطر إسرائيل على لبنان الجنوبي ـ مصدر سابق ـ ص ٥١ .

الحلف الثلاثي :

تجمّع الموارنة في لبنان من وراء الحلف الثلاثي (كميل شمعون ـ بيار جميل ـ ريمون إدّه) ومعهم زعامة موارنة الشمال : سليمان فرنجية . وقد لعب حزب الكتائب الدور الرئيسي في توجيه سياسة الحلف ، لكونه الفريق الأقوى .

أعطى الحلف لنفسه صفة إنقاذ لبنان وانتهج سياسة هجومية ترمي إلى تكريس الطابع الماروني للبنان .

وقد نزل الحلف موحداً في انتخابات سنة١٩٦٨ م النيابية وبشعارات معادية للمسلمين ، وجاءت نتيجة الانتخابات مرتفعة جداً لصالح الحلف . ثم جاءت الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت في ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٩ لتعطيهم أصواتاً إضافية .

وقد استقالت حكومة عبد الله اليافي فتأزمت الأوضاع ، ورفض الحلف الثلاثي تشكيل حكومة من خارج المجلس النيابي . وفي آذار عام ١٩٦٩ م طالب الحلف المذكور بالاستعانة بالبوليس الدولي وهدد باللجوء إلى السلبية . وفي هذه الأثناء كانت إتفاقية القاهرة قد عقدت ، وبموجبها تم تنظيم العمل الفدائي الفلسطيني في لبنان . وفي مطلع نيسان سنة ١٩٦٩ م شنت السلطة حملة من الإعتقالات ووقعت صدامات دامية واسعة وانطلقت مظاهرات الاستنكار في بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبر الياس وبعلبك ، فواجهتها السلطة بالقمع يومي ٢٣ و٢٤ نيسان عام ١٩٦٩ م فكانت حصيلتها قرابة ثلاثين شهيداً ومئة جريح .

المرحلة الجديدة :

بدأت مرحلة جديدة إفتتحها البطريرك المعوشي بخطاب جديد ضمّنه أن : « لبنان نظامه الديموقراطي في احتضار ووضعه الدستوري في

انهيار »[1] .

تكاثر التواجد الفدائي الفلسطيني المسلح في لبنان عامة وفي جبل عامل خاصة وتأزمت الأوضاع العسكرية على الحدود في الجنوب ، نتيجة الغارات الإسرائيلية المتكررة على قراه . ثم انبرى أركان الحلف الثلاثي إلى تأليف ميليشيا مسلّحة حددت أهدافها المعلنة بالقضاء على الحركات « المعادية للبنان » .

---

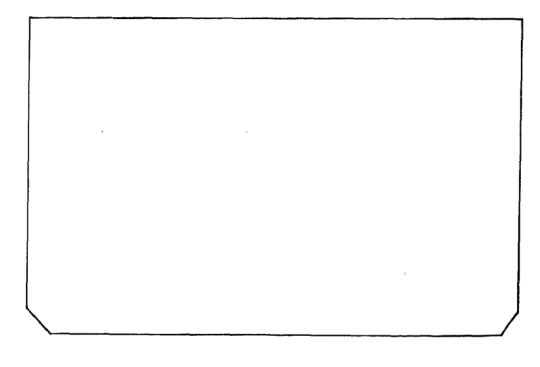
(۱) كرم ـ فؤاد ـ الحلف الثلاثي في لبنان ـ ص ۹۰ .

الفصل السادس

جبل عامل أمام التحدّيات الراهنة

« في الوقت الذي تنشط فيه أكثر دول البلدان الإسلامية بالتحركات والمفاوضات غير المجدية وأحياناً بمساعدة الصهاينة على جرائمهم ، تاركين المجاهدين من أبناء فلسطين ومقاتلي الجنوب اللبناني الذين يقفون ببسالة ورجولة في مواجهة العدوان وحدهم في ساحات القتال » .

من نداء الإمام الخميني (أعلى الله مقامه)
إلى المسلمين ، لنجدة أبناء الجنوب اللبناني
(٢٣ آذار سنة ١٩٧٨ م)



جبل عامل يحتضن المقاومة الفلسطينية

أثبت العامليون أن لديهم من المناعة النفسية والاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية والتراثية ، ما يكفي لإفشال مخططات العدو الصهيوني مهما تنوعت وتشعبت أساليبه ووسائله وأدواته .

لقد أرضعتنا أمهاتنا العامليات حليب المقاومة منذ الصغر ، نتوارثها جيلاً بعد جيل ، حتى يأتي اليوم الموعود الذي وعدنا الله به ، يوم يعم السلام على وجه هذه الأرض .

إن التمسك بالكرامة والأرض يقتبسها الابن عن الأب والحفيد عن الجد ، إنها سيرة الآباء والأجداد ، إنها التربة العاملية المباركة التي تفوح منها رائحة الدم الزكي المعطر والعرق المجبول بها ، حتى غدت أرضاً طيبة معطاءة ، وما كان لله ينمو . . . وأما الزبد فيذهب جفاء . .

لقد ابتُلي العامليون بأسوأ عدوّ وأخبث عنصر بشري في التاريخ ، لكنهم يعرفون كيف يقاومونه ، ويصمدون في وجهه ويفشلون مخططاته ، إن العامليين أكثر تجذراً في تاريخهم وتراثهم ، وأعمق إيماناً ، ولقد سبق

وفرضت عليهم حركة التاريخ ظروفاً أصعب ، وتمكنوا من تجاوزها ، فدحروا أعداءهم الذين تناوبوا على قمعهم ، والغزاة الذين طمعوا بأرضهم ، والفصول السابقة من هذا الكتاب بينت ذلك بالتفصيل . كيف لا يكون الشعب العاملي المسلم ، العريق ، من روّاد التاريخ . وهو شعب يتمتع بإيمان الصحابي الجليل « أبو ذرّ الغفاري » . إنه يأبى أن يستسلم أو يرضخ رغم الجوع والقهر والعطش .

إن العدو اليهودي ، يريد أرض جبل عامل بدون شعب ، والعامليون يتمسكون بأرضهم ، بنواجذهم ، ويربطون قلوبهم بأشجار السنديان وجذور شجرة الزيتون ، وقنطرة البيت ، وشتلة التبغ وسنبلة القمح .

تضحية العامليين من أجل فلسطين :

ومع بداية انطلاقة الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ م ، تسارع العديد من شبان جبل عامل إلى الالتحاق بمجموعات المقاومة وقواعدها ، وتحوّل الجنوب اللبناني منذ بداية السبعينات وحتى الاجتياح الصهيوني سنة ١٩٨٢ م . برجاله ونسائه وأطفاله إلى دروع ومتاريس من اللحم والدم لحماية مقاتلي المقاومة الفلسطينية واحتضنوا مجموعاتها المقاتلة بقلوبهم وعيونهم قبل منازلهم تضامناً مع الثورة وقضية شعبها العادلة في التحرير والعودة واستعادة حقوقه الوطنية المشروعة المسلوبة .

كما شارك مئات الشباب العاملي ، وخصوصاً أبناء المنطقة الحدودية وما جاورها بعشرات العمليات العسكرية ضد العدو ، داخل فلسطين وخارجها ، وذلك انطلاقاً من قناعتهم بأن العدو الصهيوني هو عدوّ مشترك ، اغتصب فلسطين ، وطامع بأرض الجنوب وبقية الأرض العربية المحيطة لتنفيذ مشروعه في إقامة كيانه الكبير .

« لقد قدّم أبناء المنطقة الحدودية مئات الشهداء قرابين فداء وعربون وفاء على مذبح الثورة وفي مقدمتهم الشهيد الأخضر العربي (أمين سعد)

الذي روى بدمه أرض العرقوب والشهيد واصف شرارة وفضل سرور وعمر القادري »[١] والعشرات من أبناء جبل عامل الأشم .

وعندما تكالب الجميع على الشعب الفلسطيني المظلوم ، « اضطرت الثورة الفلسطينية بعد المذبحة ، إلى مغادرة الأردن والاستقرار في لبنان ، حيث وجدت الجماهير المسلمة وهي تفتح أحضانها لها ولقواتها ومعسكراتها وشعبها . ولولا الدفق الجماهيري الإسلامي المؤيد للثورة الفلسطينية لما تركزت أقدامها في لبنان ، حيث كانت تمتلك أرضية جيدة فيه . . »[٢] . لقد احتضن العامليون المسلمون العمل الفدائي في الوقت الذي كان أولئك المسلمون يعانون من ازدياد الغبن والظلم الذي لحق بهم على يد الطغمة المارونية المتحكمة برقابهم في لبنان »[٣] . ولكن ذلك لم يكن بالعائق الذي يمنع من مساندتهم وتأييدهم للفلسطينيين ، فأشركوهم في أرضهم وسكناهم ، وتحملوا جميع الممارسات الوحشية الإسرائيلية .

ولقد وقف الإسلاميون اللبنانيون عامة والعامليون خاصة إلى جانب الثورة الفلسطينية وتعرضوا لرصاص السلطة في ساحة المقاصد والبربير في بيروت عام ١٩٦٩ م عندما قام الجيش بتطويق قاعدة للثورة الفلسطينية في جبل عامل ومنع التموين عنها ، ثم التحرش بها وقصفها ، فسارت التظاهرات الإسلامية الضخمة بهتاف (الله أكبر) . وسرت التظاهرات في قرى الجنوب اللبناني لتستمر عدة أيام »[٤] .

الثورة الفلسطينية ترسخ أقدامها في الجنوب اللبناني :

بعد أن رسخت الثورة الفلسطينية أقدامها في لبنان ، وحين قدم

---

(١) قضية شعب وأرض ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٢ .
(٣) الطليعة الإسلامية ـ العدد ٨ ـ ص ٢٧ .
(٤) الطليعة الإسلامية ـ العدد ٨ ـ ص ٢٨ .

الفلسطينيون بعد طردهم من الأردن في صيف سنة ١٩٧٠ م ، استقبلتهم قرى لبنان بالورود والأزهار ، واحتضنهم جبل عامل بالحب والحنان ، واندفع أبناؤه كما أسلفنا ، لينضمّوا إلى ركب الجهاد كفريضة إسلامية وكواجب مقدس وكممارسة عملية يومية . فانضم الآلاف للعمل الفدائي .

حاولت السلطة اللبنانية عام ١٩٧٣ م تصفية هذا الصعود الجماهيري الإسلامي المتلاحم مع الثورة الفلسطينية ، فكانت معارك أيار سنة ١٩٧٣ م ، حيث وقف الشباب اللبناني المسلم في لجان مختلفة يحملون السلاح ويرفضون هيمنة الشراذم الطائفية .

الإمام السيد موسى الصدر يقف بجانب الثورة :

كان للشعارات والنداءات التي أطلقها السيد موسى الصدر ، دويّاً قويّاً في أوساط المسلمين ، كشعار : « إن التعامل مع إسرائيل حرام » وشعار : « إسرائيل شرّ مطلق » وشعار : « بعمامتي هذه سوف أحمي الثورة الفلسطينية » . وغيرها من الشعارات التي جعلت كل القوى والتيارات الإسلامية تتعاطف مع الثورة الفلسطينية ، « فالإمام موسى الصدر الذي كان يرأس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ، وقف يساند الثورة ويثير الحماس في الجماهير للوقوف في وجه الظالمين والمعتدين . وكان للإضرابات والتظاهرات المسلحة التي تقسم بالله وبالإسلام على مواصلة الجهاد ، أثرها على الساحة السياسية وامتداد العمق الجماهيري للثورة . كما لاقت دعوة « المحرومين في وطنهم والمحرومين من وطنهم » ، التفاف الجماهير المسلمة حيث ربط بين الظلم الذي يحيف باللبنانيين في وطنهم والوضع البائس الذي يعيشه الفلسطينيون خارج وطنهم فكانت (حركة المحرومين) التي مدّت نظرها للمحرومين والمستضعفين دون الإلتفات لهويتهم ومذهبهم »[1] .

---

(١) نفس المصدر ـ عدد ٨ ـ ص ٢٩ .

..ويهيب بالمسلمين أن يستعدوا لحمل السلاح :

« . . . الجنوب والدفاع عن الجنوب ؟ لا دفاع إسرائيل تجرّب أسلحتها في الجنوب ، تعمل مناورات على قرانا بالذخيرة الحية . هذه أحسن أرض لها . أيها المسؤولون ، إن هؤلاء الأبطال مستعدون للدفاع عن جنوب لبنان ، بعلبك ، الهرمل مستعدة لأن تفتح مخيمات التدريب ، فتدرب أبناء الجنوب وتعطيهم سلاحاً ، وفّروا خبزهم وخبز أولادهم لشراء السلاح ، هذا السلاح من زمان اشتروه وهم مستعدون لتقديمه إلى الجنوبيين ليدافعوا به عن الجنوب ، لأنّ الدولة لا تدافع عن الجنوب .

أنا سأطلب منكم إنشاء مخيمات التدريب ، مخيمات في البقاع والجنوب ، وأنا سأتدرب معكم . لا تعتقدوا أن المعركة مع إسرائيل قاربت نهايتها وأن العالم العربي سينام مرتاحاً . إسرائيل لا تترك لهذه المنطقة قراراً .

المعركة لم تنته ، نريد أن نستعد ، نريد أن نربي جيلاً يتمكن من حمل السلاح بيد والمنجل باليد الأخرى ليستمر . لذلك نحن بحاجة ملحّة إلى التدريب العسكري . وطالبنا الحكومة بذلك وليس هناك من مجيب . . . نحن مضطرون إلى تدريب أولادنا وتسليحهم لكي نحفظ كرامة بيوتنا ونحفظ أعراضنا ونؤدي دورنا في صيانة الوطن »[1] .

ولا تنازعوا فتفشلوا :

تفاقمت الأوضاع على الحدود الجنوبية من جبل عامل في مطلع السبعينات أمام تصاعد العمليات الفدائية داخل إسرائيل ، وعلى حدودها ، فراحت تقصف القرى الآمنة كبنت جبيل ومارون الرأس وعيثرون وبليدا

(١) جريدة النهار ـ ١٨/٣/١٩٧٤ م ـ من الخطاب الذي ألقاه السيد موسى الصدر في مهرجان بعلبك .

وحولا وميس الجبل وياطر وبيت ليف ورامية وبيت ياحون ويارين وعيثا الشعب وغيرها من القرى الحدودية ، ثم راحت تركز هجماتها على قرى منطقة العرقوب ، وأضحت المواجهات العنيفة بشكل يومي إلى أن توّجت إسرائيل هذه الهجمات باجتياح في السادس عشر من أيلوول عام ١٩٧٢ فوصلت حتى قانا وجويا إضافة إلى عدد من قرى العرقوب . ولم توفر في عدوانها هذا ، حتى المدنيين الآمنين ، وقد سحقت إحدى الدبابات الإسرائيلية سيارة مرسيدس مدنية بركابها تخص عائلة من بلدة تولين فحولتهم إلى كتلة لحميّة مختلطة بحطام السيارة .

« لم يحافظ الفلسطينيون على علاقاتهم الطيبة بالمسلمين اللبنانيين ولم يلتزموا بضرورة حفظ أمن واستقرار الأرض التي آوتهم ، والشعب الذي استقبلهم بالأعناق ، بل نقلوا معهم صراعاتهم وخلافاتهم ، فظهرت خلافات وصلت إلى مستوى المعارك والصدامات المسلّحة بين أبناء مخيمات لبنان اللاجئين بعد حرب سنة ١٩٤٨ م والقادمين الجدد من الأردن ، وبين « العسكر الفتحوي » في القواعد التي كانت قائمة قبل سنة ١٩٧١ « والعسكر النظامي » المنشق عن الجيش الأردني والقادم إلى لبنان .

وبدأت حملات التصفية بين الزعامات الفلسطينية وتصاعدت بدوافع بعضها عشائرية ، وبعضها الآخر أيديولوجية ، وقسم منها يعود لاختلاف الإرتباطات والتحالفات بهذا الطرف أو تلك الدولة »[1] .

والمؤلم في هذه الخلافات أن الفلسطينيين ، راحو يتدخلون في الشؤون العامة والخاصة لعموم الناس ، وخصوصاً في منطقة جبل عامل ،

---

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

وربطوا أنفسهم في صراعات الأحزاب اللبنانية الوطنية وتناقضاتها ، فانشغلوا بأمور لا تمت إلى قضيتهم بصلة ، أبعدتهم عن الجوهر الأساسي الذي من أجله حملوا السلاح وثاروا .

---

(١) (شيف ـ زئيف) (يعاري ـ أهود) ـ الحرب المضللة ـ حرب إسرائيل في لبنان ـ ص ٢٢ ـ ترجمة حسان يوسف ـ دار المروج ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٥ .

الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥م

الأسباب والذرائع :

أدّت سياسة الحرمان والإفقار والإهمال التي كانت تمارسها الدولة ، ضد المسلمين إلى الغاية التي كانت تهدف إليها ، وقد أُتبع ذلك بحملات إعلامية مكثفة ، تذرعت بوجود المقاومة الفلسطينية في لبنان ، لتثير الحقد والبغضاء ، بعد أن مهّدت لذلك بالإعداد العسكري والسياسي ، وعلى جميع الأصعدة .

من جديد ، تتكرر المذابح والمجازر فتتصل بمجازر مرج الدجاج في أنصار عام ١٦٣٨ م ومجازر بشير الشهابي ضد المسلمين في جبل عامل ، ومجازر الاستعمار الفرنسي في العشرينات . مجازر الموت والدمار ، هذه المرة تنفذ بطريقة مبتكرة وحديثة ، فتتحول إلى أفلام سينمائية تتسلى بها الأمم عبر التلفزيونات فتبكي البار والفاجر .

الاستعدادات :

منذ أواسط سنة ١٩٧٤ م ، أخذ حزب الكتائب يزود ميليشياته بأحدث الأسلحة ، ويستقدم المدربين العسكريين من الخارج ويتعاون بصورة سرية

في هذا الحقل مع إسرائيل ، كما أن ضباطاً من الجيش اللبناني ساهموا مساهمة فعّالة في نشاط مخيمات التدريب ، وإن استيراد الأسلحة لحساب الكتائبيين أخذ يجري تحت سمع السلطة وبصرها ، عبر مرافىء تقع شرقي بيروت . وقد ذكرت صحيفة « شتيرن » الألمانية في تموز سنة ١٩٧٤ م : أن حزب الكتائب قد عقد صفقة شراء أسلحة بصورة سرية مع إحدى الشركات الألمانية الغربية بلغت قيمتها خمسة ملايين دولار وذلك في بداية عام ١٩٧٤ م .

كانت التعبئة العسكرية في بيروت الشرقية آخذة في التصاعد . وكان حزب « التنظيم » المسيحي ، ومعظم أفراده أصحاب مهن حرّة ، أطباء ، مهندسون ، محامون ، . . . والمدعوم بشربل قسيس على رأس « منظمة الرهبانيات المارونية » ينادي بتطهير لبنان من المسلمين وجعله « مسيحياً خالصاً » .

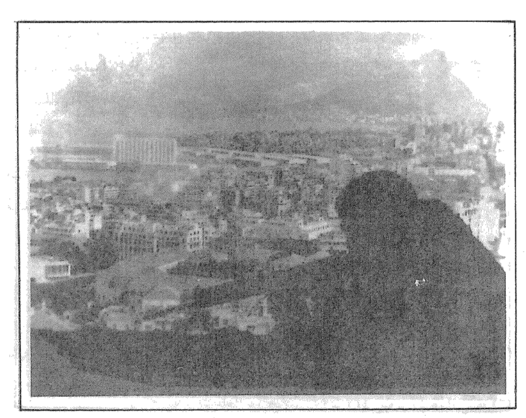
وقد حاول هذا الحزب منذ صيف ١٩٧٤ م المباردة بحوار سياسي مع إسرائيل وأوفد لهذه الغاية مبعوثاً إلى أوروبا حيث التقى ببعض الإسرائيليين . وزعم أعضاء هذه المنظمة أن لبنان هو بيت الشعب المسيحي في الشرق الأوسط تماماً كما هي إسرائيل بالنسبة لليهود .

انفجار البركان :

في ١٢ نيسان سنة ١٩٧٥ م سُئل رئيس وزراء إسرائيل لماذا لم تردوا على عملية (سافوي) . فأجاب : سنترك هذه المهمة لعناصر لبنانية من داخل لبنان . وهكذا فبعد قمع المظاهرات التي قام بها صيادوا الأسماك في صيدا في ٢٥ شباط عام ١٩٧٥ م والتي أدّت إلى تصفية النائب معروف سعد ، عمد النظام إلى افتعال وتدبير الصدامات مع الجيش فذهب العشرات . ثم لجأ الموارنة إلى التفجير العسكري الشامل فكانت حادثة « الباص » في عين الرمانة في ١٣ نيسان سنة ١٩٧٥ م حيث قتل أكثر من كان

في داخله ، ثم راحوا يقيمون المتاريس بسرعة في الدكوانة وعين الرمانة . وانجلت حادثة الباص عن ٢٢ قتيلاً . ثم شرعوا بعمليات القنص « والخطف على الهوية » ، لتهجير المسلمين من المنطقة الشرقية في بيروت ، فداهموا الأحياء الإسلامية الآهلة بالسكان وقتلوا الآلاف ثم سبوا ما تبقى من أهلها .

وكانت الأسلحة تتدفق على الأحزاب المسيحية عن طريق مرفأ جونية ، ففي تشرين الثاني سنة ١٩٧٥ م أفرغت سفينة « الأكواما رينا » أسلحتها في المرفأ المذكور ، قال بعدها رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية حينذاك : إن الجيش رفض تنفيذ الأوامر ومصادرة الأسلحة . وفي ٦ كانون الأول تم اختطاف مائتي مسلم ثم قتلوا جميعاً ، وفي ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٧٦ م شنّت قوات التحالف الكتائبي هجوماً بحرياً وبرّياً على منطقة الكرنتينا فهدمت المنازل والأكواخ وذكر أن ستمائة شخص قد قتلوا ونزح



أحد القناصة يسدد بندقيته باتجاه أحد الأحياء الإسلامية من بيروت الغربية .

عشرون ألفاً من الأهالي قبل أن تحرق المنطقة وتمهد بالجرارات ، وقد خرج السكان يلوحون بالأعلام البيضاء في الهواء ويطلبون الاستسلام . لكن قوات التحالف الكتائبي قتلت الجميع ، واستحيت النساء ، وشوّهت جثث القتلى واستباحت الأعراض ، وكانوا يجرون الأسرى خلف السيارات حتى الموت .

صمد المسلمون أمام الهجمة المنظمة ، رغم تشتتهم وعدم التنسيق بينهم ، وأكثرهم كانوا موزعين بين الأحزاب والتنظيمات اليسارية اللبنانية ، التي كانت تساعدها وتغذيها التنظيمات الفلسطينية المسلحة . وفي ربيع سنة ١٩٧٦ م ، أصيب التحالف الكتائبي بانهيار عسكري شامل على جميع الجبهات ورفض رئيس الجمهورية الاستقالة وانتقل إلى بلدة الكفور فقام



القوات الوطنية المشتركة تتصدى للقوات الكتائبية في منطقة القنطاري.

التحالف الكتائبي بالسيطرة على مقدرات الدولة وراح سلاح الجوّ اللبناني يشنّ الغارات على مناطق المسلمين ، ثم قامت الميليشيات المسيحية بنهب مرفأ بيروت .

الاتصالات مع الصهاينة . . . ثم المساعدات :

وفي هذه الأثناء تكثفت الاتصالات مع الصهاينة ، فقد توجه إلى لبنان « وبناء على طلب كميل شمعون وبيار الجميّل وفداً إسرائيلياً نزل على الشاطىء بالقرب من جونية وكان على رأس الوفد العقيد بنيامين بن اليعيزر ، الذي كان يشغل آنذاك منصب قائد المنطقة المتاخمة للحدود اللبنانية »[1] . وبدأت الملامح الإسرائيلية بعد هذا اللقاء تبرز بشكل نموذجي من سلوك الميليشيات ، من أحذيتهم وأسلحتهم ، وزيّهم ، إلى طريقتهم في حمل الرشاش . وإلى جنوب لبنان وصلت بعض أفراد الميليشيات من جونية عبر مرفأ حيفا الإسرائيلي لتوسيع دائرة الحرب . وبالإضافة إلى ذلك فقد شاركت شعبة الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي (الاستخبارات العسكرية) في الاتصالات مع الكتائبيين ، وقدمت إسرائيل مساعدات مهمة للقوات الكتائبية : الإمداد بالأسلحة والبزات العسكرية . . . وكذلك من حيث التدريب والتأهيل »[2] .

وشملت المساعدات أيضاً المحروقات والمدفعية الثقيلة والدبابات (السوبر شرمن) الأميركية الصنع والآلات الإلكترونية المتقدمة وحتى الثياب »[3] .

---

(١) شيفر ـ شيمون ـ كرة الثلج ـ ص ٣٥٥ ـ سنة ١٩٨٤ ـ بيروت .
(٢) حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ ص ١٤٦ ـ كرة الثلج ـ ص ٣٨ (مصدران سابقان .
(٣) نفس المصدر ـ ص ١٦٤ ـ ١٦٦ ـ الحرب المضللة ـ ص ٢٧ .

« ثم أرسل سليمان فرنجية إلى الجنوب وبسرّية تامة سعد حداد ليقود المنطقة بالتنسيق مع إسرائيل . ووصل أيضاً إلى المنطقة ضابط آخر في الجيش اللبناني هو سامي الشدياق من أجل إقامة علاقات خاصة مع إسرائيل »[1] ، وبناء لطلب من داني شمعون فقد وصلت في تموز بعثة عسكرية إسرائيلية لتقييم الوضع في تل الزعتر . وفي بكفيا اجتمعت هذه البعثة بعائلة الجميّل ووعدتهم بمواصلة الدعم الإسرائيلي لهم . وقد عادت ثانية في أيلول سنة ١٩٧٦ م ثم زار بشير الجميل وداني شمعون إسرائيل لمطالبتها بالتدخل »[2] .

سقوط النبعة وتل الزعتر :

تعتبر منطقة النبعة وبرج حمود من أكثر المناطق في بيروت كثافة بالسكان ، بل في لبنان على الإطلاق ، ومعظم السكّان في هذه المنطقة هم من المسلمين الشيعة الذين نزحوا من جبل عامل نظراً للأوضاع الاقتصادية المتردية ، ونظراً لعدم استقرار الأوضاع الأمنية على الحدود الجنوبية .

وفي السادس من تموز سنة ١٩٧٦ م وبعد حصار طويل تمكنت الميليشيات المسيحية من احتلال أحياء : النبعة وجوارها « فارتكبوا المجازر وسبوا النساء . ونفس المجازر ارتكبت في تل الزعتر الذي عانى من الحصار بضعة أشهر حتى سقط في الثاني عشر من شهر تموز ضحية هذا التآمر المريع . وكان الصهاينة يقاتلون إلى جانب حلفائهم ، وقد اعترف أرييل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي السابق أن إسحاق رابين رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك كان يتعاون مع الكتائب وقد شاركهم أثناء مذبحة مخيم تل الزعتر عن طريق ضباط إسرائيليين شاركوا في تلك المجزرة »[3] .

---

(١) الحرب المضللة ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٨ ـ ٣٠ .
(٣) كرة الثلج ـ ص ٢٥٢ ـ مصدر سابق .

وهكذا استطاع المسيحيون تنظيف المنطقة الشرقية من بيروت من جميع السكان المسلمين وأصبح المفهوم السائد لدى عموم الناس ، بأن المنطقة الشرقية هي منطقة التواجد المسيحي والمنطقة الغربية هي منطقة التواجد الإسلامي . وقد استمرّت الحرب الأهلية هذه بين مدّ وجزر ، وتداخلات ، وتحالفات ، حتى العام ١٩٧٨ ، حين اتخذت طابعاً آخر نتيجة التدخل الإسرائيلي السافر واجتياح الجزء الأكبر من جبل عامل .

نداء الإمام الخميني (أعلى الله مقامه):

وجّه الإمام الخميني الراحل ، أعلى الله مقامه في الجنّة ، دعوة لدعم صمود الشعب اللبناني المنكوب في لبنان حيث قال :

بسم الله الرحمن الرحيم : إنا لله وإنا إليه راجعون : إن مأساة لبنان وما أصاب إخوتنا المسلمين فيه لهي أكبر من أن توصف أو يعبر عنها بعبارات . فالحرب التي شنّها أعداء الإنسان لصالح الاستعمار وإسرائيل ، وتسببت في خراب لبنان خراباً فظيعاً والتي تبدو أن عملياتها قد توقفت مؤقتاً في معظم المناطق ، إنها جعلت آلاف العوائل المحترمة التي كانت تعيش في سرور ورخاء تصارع البرد في الشتاء والمصاعب والآلام التي لا تحصى وذلك بعد أن استشهد رجالها وشبانها وفلذات أكبادها وتهدمت بيوتها وانقطع معاشها ، وأن المساعدات المادية التي قدّمت ـ خاصة من أهل الخير في إيران ـ لا تكفي لحلّ مشاكل إخواننا الكثيرة ، إخواننا الأعزاء ، الأطفال والبنات والشباب ، الذين قام آباؤهم الأشاوس بالتصدي المسلح للهجمة الشرسة التي شنتها عصابات القرون الوسطى المتوحشة ، ودمى الاستعمار وذلك دفاعاً عن عقائدهم وكرامتهم ومثلهم العليا ، وضحوا بحياتهم تضحية باسلة ـ شكر الله سعيهم وجزاهم الله خيراً ـ إن عوائلهم قد أصبحت أيتاماً وأرامل من دون رعاية ؛ بالإضافة إلى الأمهات والآباء الذين فقدوا أبناءهم وشبانهم ، والآلاف من الجرحى والمشوهين ، الآن يواجهون حياة صعبة

تتراكم فيها المشاكل والصعوبات . فعلى الشرفاء المسلمين الطيبين أتباع الرسول الكريم (ص) وهم أتباع أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، مدُّ يد العون إلى أبناء الإسلام هؤلاء والقيام بنجدتهم . ويجب على أصحاب الحمية الإسلامية من الأغنياء الإسراع إلى خدمة أبناء القرآن ، خدمة ملؤها التكريم والإعزاز وذلك شكراً على نعم الله عليهم . وعليهم أن يعتبروا أيتام شهداء الإسلام أبناءهم بل أعز من أبنائهم وأعلى مرتبة ومقاماً . لأن آباءهم دافعوا عن الدين وعن كرامتهم دفاعاً بطولياً فخلدوا ذكراهم وأعزوا بتضحياتهم الإسلام والمسلمين ، جزاهم الله عن الإسلام خيراً . فعلينا تقديم كل ما بوسعنا إلى عوائلهم وأيتامهم بكل احترام وإكرام تقديراً لما قدموا لنا وللإسلام .

ولا شك أن للأمة الإسلامية عامة ، والشعب الإيراني بوجه خاص ـ أيدهم الله تعالى ـ قدرات تمكنهم من تعويض الخسائر المادية التي لحقت بإخواننا في لبنان والعمل على إيجاد حياة كريمة لعوائل الشهداء ، فإذا قاموا بواجبهم هذا فقد أصابوا المجد عند الله وعند الناس . فأرجو من أصدقائي المسلمين بكل تواضع القيام بهذه المهمة بأسرع وقت والتسابق فيها ليخففوا عن كواهل إخواننا ، وأدعوا لهم من الله الكريم العزة والكرامة .

أرجو من الله أن يقطع دابر الكافرين أعداء الإنسان وأذنابهم مُتمنياً لإخواننا التوفيق والصمود . والسلام علىٰ عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته[1]

روح الله الموسوي الخميني

صفر المظفر ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م

---

(١) الإمام الخميني ـ الإمام في مواجهة الصهيونية ـ ص ٦١ ـ ٦٢ ـ ترجمة الشيخ خضر نور الدين .

الإجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٧٨م

ذريعة إسرائيل للاجتياح :

سبق الاجتياح الإسرائيلي لجبل عامل عام ١٩٧٨ م عملية فدائية جريئة قامت بها مجموعة من الفدائيين في عمق الأراضي الإسرائيلية على شواطىء حيفا ، فما كان من حكّام إسرائيل إلاّ أن اتخذوا من هذه العملية ذريعة لاجتياح جبل عامل .

وفي الخامس عشر من آذار سنة ١٩٧٨ م بدأ اليهود هجومهم الواسع النطاق على طول الحدود مع لبنان من الناقورة غرباً حتى راشيا شرقاً ، على جبهة يبلغ طولها حوالي مئة كيلو متر . وقد بدأ الهجوم البري بعد التغطية بالقصف الجوي والمدفعي البعيد المدى ، المكثف ، ثم دفعوا بقواتهم المحمولة ، تدعمها الآليات الضخمة ، وقد قدّر مجمل المشتركين في هذه الهجمة بحوالي ٢٨ ألف جندي و٥٠ دبابة وأربعة ألوية مدرعة تساندها المدفعية الصاروخية والمدافع الثقيلة .

وقد تم الهجوم على خمسة محاور : ١ ـ محور مرجعيون ـ الخيام ـ

إبل السقي ـ بلاط ـ تلة زهير . ٢ ـ محور العديسة ـ الطيبة . ٣ ـ محور يارين ـ طير حرفا . ٤ ـ محور الناقورة ـ صور . ٥ ـ محور بنت جبيل ـ مارون الرأس .

وقد رافقت عملية الهجوم محاولات إنزال وقصف بحري على طول الشاطىء الجنوبي ومع بداية العدوان الإسرائيلي لاحتلال جبل عامل ، وضح أن القوى المسيحية في جبل لبنان وفي مناطق القتال تنسق عسكرياً وسياسياً مع الصهاينة وقد دللت إذاعة إسرائيل هذا الأمر بوضوح خلال الاعتداء ، وهذا ما جاء على لسان إذاعة إسرائيل : « بالنسبة للمسلّحين من المسيحيين فإن لهم قسطهم ودورهم ، وإن الأرض على كل حال هي أرضهم وقراهم وبيوتهم »[٢] .

أهداف الاجتياح :

قال مراسل الإذاعة الإسرائيلية : « قدمت القوات المسيحية في جنوب لبنان عوناً ذا شأن لقوات الجيش الإسرائيلي التي كانت تتقدم في الجنوب ، بالمعلومات والمشاركة الفعلية . وقد تبلورت في وزارة الدفاع ورئاسة الأركان خطة للتنفيذ الفوري بعد انتهاء الحملة العسكرية وذلك لإقامة شريط إقليمي واحد في جنوب لبنان ، وهذا الشريط الإقليمي سيربط علما الشعب عن طريق رميش وحتى مرجعيون . ولضمان هذا الحاجز الأمني سيعود (جيش الدفاع الإسرائيلي) إلى أسلوب تسيير الدوريات بشكل دائم داخل الأراضي اللبنانية وعلى امتداد خط الحدود . وأن الجيش الإسرائيلي سيبقى داخل لبنان حتى توجد قوة أخرى قادرة على منع المقاتلين المسلمين من قصف المستوطنات الإسرائيلية أو التسلل لضربها وإيذاء سكانها »[١] .

---

(١) مجلة القومي العربي ـ عدد ٣/ ٦٥ في ٢٤ آذار ١٩٧٨ ص ١١ ـ ١٥ .
(٢) مجلة القومي العربي ـ عدد ٣/ ٦٥ في ٢٤ آذار ١٩٧٨ م ص ١١ ـ ١٥ .

وقد تعاونت الميليشيات المسيحية والصهاينة على تدمير القرى وتشريد السكان ، ففي بلدة الطيبة لم يبق من أصل ثمانماية بيت ، بيتاً واحداً سالماً ، لقد دمرت البلدة كليّاً أو جزئياً وقامت الميليشيات بنهب أثاث البيوت وسائر الممتلكات بما فيها موجودات المحلات التجارية والسيارات والتراكتورات »[1] . كما دخلت الميليشيات إلى قرية يارين وباشرت عمليات النسف والتدمير الكلي للقرية بما في ذلك المسجد والحسينية ، حتى أن نسبة البيوت المدمرة بلغت ٩٠ بالمائة »[2] . واقتحم رجال سعد حداد بالتعاون مع الصهاينة بلدة الخيام فقتلوا أكثر من ثمانين مدنياً عاجزاً ، ودمروها تدميراً شاملاً . أما قرية العباسية فقد هاجمها الطيران الصهيوني وقصف المسجد الجامع وذلك عندما التجأ الأهالي للإحتماء به.لقد قُصف قصفاً عنيفاً فدُمر على رؤوس من كانوا فيه . ولم ينج منهم أحد ، وقتل أكثر من سبعين شخصاً أكثرهم من النساء والأطفال ، ومارسوا نفس المجازر في بلدات كونين والغندورية وفرون ، حيث تشرد السكان وهربوا نحو صيدا وبيروت ، وأقيمت لهم المخيمات في صيدا ، وافترشوا ملاعب المدارس ومداخل البنايات في بيروت ، واستقرت القوات الإسرائيلية على مقربة من نهر الليطانيَ ، بالقرب من برج رحال .

. . وقد سميت عملية الاجتياح هذه : « عملية الليطاني » ، لأن الليطاني هو الحلم الذي يراود اليهود منذ ما قبل مطلع هذا القرن ، واستقرت بالقرب من عين بعال على مقربة من مدينة صور وبالقرب من مخيم الرشيدية جنوب صور وعلى مقربة من جسر القعقعية الواقع على نهر الليطاني .

الانسحاب المشروط :

أمّنت إسرائيل وصولها إلى مجرى الليطاني بعد أن اجتاحت مناطق :

(١) جريدة السفير ـ ١٩٧٩/٢/١٧ ـ ص ٥ .
(٢) جريدة السفير ـ ١٩٧٩/٣/١ ـ ص ٥ .

حاصبيا ومرجعيون وراشيا والمناطق السابقة الذكر في أقضية بنت جبيل وصور والنبطية . « وكانت الحصيلة خلال سبعة أيام متواصلة من الاعتداءات المتواصلة ليلاً نهاراً ، برّاً وبحراً وجوّاً ، اجتياح ١٥٠ قرية جنوبية ، فدمرت ٦ قرى منها تدميراً كاملاً ، وألحقت أضراراً فادحة بـ ٨٢ قرية . واحتلت بذلك ٢٠٢٠ كلم٢ من أرض لبنان وتمركزت فيها مهجّرة بذلك ٢٠٠ ألف مواطن »[١] . وتنفيذاً لقرارات مجلس الأمن الدولي ، صنيعة الدول الاستكبارية العالمية ، فقد انسحبت القوات الإسرائيلية وحلّت « القوات الدولية » على الحدود الشمالية لدولة سعد حداد ، حيث شكّلت حاجزاً أمنياً يعرقل تحرّك المقاومة ضد الغزاة الصهاينة ويحفظ أمن إسرائيل وعملائها . وخلال هذه الفترة بدأ العدو الصهيوني بعمليات القضم والضم للأراضي اللبنانية المحتلة المحاذية حيث « تم نقل الشريط الشائك الذي كان يفصل بين الحدود إلى داخل الأراضي اللبنانية بأعماق مختلفة وذلك حسب طبيعة الأرض المحيطة .

وتركزت عمليات ضم الأراضي وقضمها من عقارات وقرى (علما الشعب ـ عيثا الشعب ـ رميش ـ رامية ـ مروحين ـ الظهيرة ـ عيثرون ـ مارون الرأس ـ حولا ـ تل النحاس ـ الخيام ـ مركبا ـ المجيدية ـ ميس الجبل والعديسة) . وشملت عمليات القضم والضم الصهيونية منطقة « نبع الوزاني » حيث اقتطعت قوات الاحتلال مساحة ٥ آلاف دونم حول النبع وحولتها إلى منطقة عسكرية ، ومنعت السكّان من الاقتراب منها ، وذلك بعد أن أنهت تمديد شبكة أنابيب تحت الأرض لجرّ مياه النبع إلى خزان كبير أقامته في منطقة الجليل . كما شقت قوات الاحتلال عدداً من الطرق . . . وهدف العدو من شق هذه الطرقات هو تسهيل تحركاته العسكرية . . .

---

(١) لبنان ١٩٤٩ ـ ١٩٨٥ ـ الاعتداءات الإسرائيلية ـ يوميات ـ المركز العربي للمعلومات ـ ص ١٣٧ .

وحفرت قوات الاحتلال خندقاً بطول ٧ كلم وبعمق ٥٠٠ متر داخل الأراضي اللبنانية يمتد من قرية مركبا وحتى ميس الجبل . . . كما سيّج العدو مئات الهكتارات حول المواقع العسكرية التي أقامها في مختلف أنحاء المنطقة الحدودية ومنع أصحابها من الاقتراب منها وحرمهم من زراعتها واستثمارها ، ثم تعمد قوات الاحتلال إلى تسييج هذه الأراضي بشريط شائك وتوصلها بالأراضي الفلسطينية وتقيم فيها شبكات مياه وكهرباء وطرق مما يؤكد وجود نوايا أكيدة لضمها نهائياً » [١] .

. . وفي ٢١ نيسان سنة ١٩٧٨ م نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية مقالاً تحليلياً طويلاً لشموئيل شيغيف ، كشف فيه النقاب عن أوجه التعاون بين إسرائيل والميليشيات المارونية وذلك على النحو التالي :

١ ـ فرض حصار بحري إسرائيلي على موانىء التموين التي لا تخضع لسلطة الموارنة في صيدا وصور ، وإغراق السفن المحملة بالأسلحة .

٢ ـ تأمين خط بحري دائم بين نصارى الشمال وبين مواقعهم في جنوب لبنان .

٣ ـ المساعدة في تأمين غطاء مدفعي إسرائيلي لتمكين الرائد سعد حداد من الحفاظ على مواقعه في المناطق الحدودية .

٤ ـ إقامة شبكات إتصال بين مواقع سعد حداد في قرى الحدود وبين المواقع الإسرائيلية بهدف تبادل المعلومات حول تحركات المسلمين في المنطقة .

٥ ـ تزويد النصارى بمساعدات عسكرية تتضمن أسلحة أوتوماتيكية

---

(١) قضية شعب وأرض ـ مصدر سابق ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ .

ودبابات من طراز (شيرمن) ونصف مجنزرات ومدافع وألبسة وعتاد طبي :

وتم ذلك استناداً إلى « أن المصلحة السياسية للمعسكر المسيحي هي مصلحتنا السياسية . ومن الحماقة عدم التعاون معه »[١] .

نداء الإمام الخميني (أعلى الله مقامه) :

على أثر الاجتياح اليهودي لجبل عامل وجّه الإمام الخميني نداءه إلى المسلمين عامة والشعب الإيراني خاصة ، لنجدة أبناء جبل عامل ، حيث قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الأوضاع اللبنانية المؤسفة والكوارث التي يتعرّض لها أخواننا في الإيمان في الجنوب اللبناني لها أبلغ الأثر المؤلم في نفوسنا . فقد هاجمتهم عشرات الآلاف من قوات الصهاينة الغاشمة . ـ التي عرفت باحتراف الجريمة والفساد في المنطقة ـ بمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة ، بالطائرات والدبابات مجتاحة أرض الجنوب (معقل إخواننا المؤمنين) حيث أخرجتهم من بيوتهم زارعة الخراب في المنازل والدمار في المزارع ، في الوقت الذي تنشط فيه أكثر دول البلدان الإسلامية بالتحركات والمفاوضات غير المجدية وأحياناً بمساعدة الصهاينة على جرائمهم ، تاركين المجاهدين من أبناء فلسطين ومقاتلي الجنوب الذين يقفون ببسالة ورجولة في مواجهة العدوان وحدهم في ساحات القتال ، ولعلّ هذه المواقف تعكس مواقف القوى

---

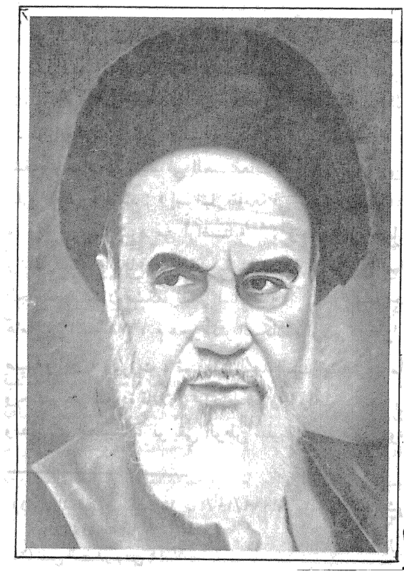
(١) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ـ ص ١٦ ـ نقلاً عن Jerusalem Post Inter- National- N:1969- 26 June 1981.

الكبرى وتواطُؤَها . . . ونرجو من الله تعالى أن يردّ كيد المعتدين الأجانب وعملاءهم إلى نحورهم ، كما نرجو حصول الاستقلال الكامل للبلدان الإسلامية والسلام على من اتبع الهدى .

روح الله الموسوي الخميني

١٢ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ

٢٣ آذار ١٩٧٨ م[1]



الإمام الخميني (رضوان الله عليه) مفجر ثورة الإسلام في القرن العشرين وملهم الثائرين في العالم

(١) الإمام في مواجهة الصهيونية ـ مصدر سابق ـ ص ٧٢ ـ ٧٣ .

نداءات السيد موسى الصدر :

كان السيد موسى الصدر ، الذي رعى قسماً كبيراً من النهضة الإسلامية الواعية في جبل عامل والبقاع وبيروت ، قد تنبه لكل المؤامرات التي تحاك ضد المسلمين في لبنان ، فبدأ حركته الجهادية ، داعياً الناس إلى مقاومة الحرمان ، بدون أي تمييز ، وعندما لاحظ أن الوضع في لبنان يسير نحو التصعيد ، وأن الفئات الطائفية ، راحت تدرّب عناصرها استعداداً للإنقضاض على المستضعفين والمحرومين في هذا الوطن ، حثّ السيد موسى الصدر الشباب المسلم على التدريب للدفاع عن النفس والمصير متى حان الوقت المناسب ، وعندما شعر السيد الصدر بأن جبل عامل هو محور التآمر ، وأن عيون الأعداء عليه نبّه إلى ذلك قائلاً : « الجنوب من أغنى مناطق العالم وإسرائيل تطمع به منذ أن وجدت . فإما أن نكون شعباً مؤهلاً للبقاء ، أو شعباً يسقط في المستنقعات »(١) . وقد نبّه إلى الخطر اليهودي على الأرض والمياه : « إسرائيل طامعة في مياهنا وأرضنا . واجبنا أن نكون مقاومة قبل أن نشرد من أراضينا »(٢) . وحثّ على حمل السلاح للدفاع والمقارعة : « الدفاع عن الجنوب يتم بالمقارعة وحمل السلاح . وإذا ابْتلي الجنوب فستكون مشكلة تفجر لبنان كلّه »(٣) . وعندما اجتاح اليهود جبل عامل في العام ١٩٧٨ م هجر أكثر السكان منازلهم وأقاموا في مخيمات في صيدا والغازية وبيروت ، ثم ذهب السيد الصدر يشاطرهم مأساتهم في صيدا ويحثهم على العودة قائلاً : « أخاطبكم وأنا واحد منكم ، وجرحكم جرحنا ومصيبتكم مصيبتنا ، لو بقي الوطن سليماً حريصاً على وحدته لما حصل

---

(١) مجلة الهدى ـ العدد ١٠ ـ ١/١٠/١٩٨٩ ـ ص ٢٩ (من منشورات مكتب العقيدة والثقافة لحركة أمل) .
(٢) نفس المصدر ـ ص ٤٤
(٣) نفس المصدر ـ ص ٣٩ .

الذي حصل . علينا العودة لكي نثبت أننا نستحق الأرض وأننا قادرون على حمايتها »[1] .

وقد جاء في ندائه الذي وجهه إلى العرب حول الاحتلال الإسرائيلي لجبل عامل سنة ١٩٧٨ م :

« ماذا فعلتم بجنوب لبنان أيها العرب ؟ . . . مؤامرة بدأت منذ ٤٨ بتهجير الشعب الفلسطيني من أرضه إلى جنوب لبنان بالإرهاب . . . ورفضت إسرائيل الاعتراف بحقوق هذا الشعب بأرضه وممتلكاته وحتى بوجوده ! .

وبعد اضطرار الفلسطينيين إلى حمل السلاح اعتبرت إسرائيل ثورتهم إرهاباً وتخريباً . . .

وبدأت إسرائيل بالانتقام من أبناء الجنوب وقرى الجنوب بحملات مسلّحة بالخطف والفتنة بين الناس ! .

وحوّلت نهر الأردن ، ومنعت تحويل الروافد وبخاصة مياه الوزاني والحاصباني ، كما حالت دون استثمار مياه الليطاني أيضاً من قبل لبنان بالدّس ، في الوقت الذي بدأت حفر القناة . . . تمهيداً لتنفيذ مشروع جونستون .

وفي محنة لبنان الأهلية استمرت في شنّ حرب نفسية وإثارات طائفية وإرسال عصابات وإغراء فئات ، كما استغلت الخوف والفقر فسلّحت جماعة ووضعت الجدار الطيب على الحدود . . . وحمّلت على طريقة القرون الوسطى وبأساليب الاستعمار القديم لبنان وجنوبه مسؤولية أعمال المقاومة واجتاحت الأرض ودنّست البحر والبرّ فقتلت وأحرقت ودمّرت من دون استحياء . . . وباركت الولايات المتحدة اعتداء إسرائيل . . .

---

(١) الإمام الصدر ـ والفكر المقاوم ـ المكتب الإعلامي لحركة أمل ـ ص ٤٨ ـ ٤٩ .

وها هي إسرائيل في نهاية المطاف تريد الأمن وتطلب اتفاقاً وتصرّح أن بقاءها العسكري يحدد بتوقيعه . . . تريد إسرائيل حزام الأمن ! وماذا تريد بعد ذلك ؟ الماء ، وإن لم تقله ، لأنها استعدت قبل أن تولد الثورة الفلسطينية فوضعت الخرائط وبدأت تنفيذها . وتريد أيضاً نقاطاً استراتيجية احتلتها خمس مرات قبل الآن وفي كل مناسبة .

سماحة السيد موسى الصدر : غيبوه لتخلوا لهم الساحة بالتآمر على جبل عامل .



إذاً . . . هناك احتلال إسرائيلي مكشوف للأرض اللبنانية .

والعرب . ماذا يريدون وماذا يفعلون ؟! بل ماذا أرادوا وماذا فعلوا بلبنان وبجنوب لبنان بالذات ؟! .

الجنوب . . . أرض الحضارات وينبوع الثقافات ومعلم الأبجديات ومكتشف المحاميات والعلاقات الدولية . . . إنه أرض الإنسان والإيمان .

والجنوب أيضاً قلاع شامخة ونقاط استراتيجية وأرض خصبة ومليارات ونصف مليار متر مكعب من المياه العذبة .

فالجنوب إذاً يعطي إسرائيل إمكاناً لهجرة ربع مليون مهاجر جديد وتأسيس وتجهيز مئة ألف عسكري جديد وإضافة ٢٠٪ إلى قواتها العسكرية والاقتصادية والبشرية ! والجنوب أيضاً وأيضاً لقاء التاريخ مع الجغرافيا ، أرض الحرب والسلام .

وبعد كل هذا فإن الجنوب بالنسبة إلى العرب هو أرض الوفاء والشعلة القومية وساحة الوقفات مع آمال العرب وآلامهم منذ بداياتها فهو تجسيد إذاً لوفاء العرب أو . . . ؟! .

وماذا يعني سقوط الجنوب ؟ وللعرب بالذات ؟! إنه يعني أيضاً سقوط لبنان وتقسيمه بل تشذي لبنان وانتشار شرارة التوتر في العالم العربي كله . .

بل في العالم كله حتى في الولايات المتحدة نفسها ! »[1] .

---

(١) النهار العربي والدولي ـ ١٩٧٨/٣/٢٤ م .

إقتطاع الشريط المحتل

تشكيل الميليشيات المسلحة :

تشكلت الميليشيات الحدودية التي كانت تسمى « جيش لبنان الحرّ » والتي سميت بعد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٨٢ « جيش لبنان الجنوبي » . تشكلت قبل الاجتياح الصهيوني الأول عام ١٩٧٨ م من مجموعات من عناصر الميليشيات من أبناء القرى التالية (رميش ـ عين إبل ـ دبل ـ القوزح ـ القليعة ـ الخربة ـ دير ميماس ـ مرجعيون) بالدرجة الأولى ، وقد تولى قيادتها العميل الرائد سعد حداد من سكّان القليعة المحاذية للحدود اللبنانية الفلسطينية وكان حداد ضابطاً في « الجيش اللبناني » بالإضافة إلى الرائد سامي الشدياق في القطاع الأوسط .

وقام العدو الصهيوني بتعزيز هذه الميليشيات عبر إرغام عدد من أبناء المنطقة الحدودية الذين ينتمون إلى « الجيش اللبناني » ، إلى دخول هذا « الجيش » وذلك باعتماد وسائل الترغيب والترهيب ، وتجنيد قسري لعدد كبير من شبّان المنطقة في صفوفه .

« وبعد وفاة الرائد حداد غير الطّبيعية ، أوفدت « المارونية السياسية »

العميد المتقاعد في الجيش اللبناني « أنطوان لحد » لتولي قيادة هذا الجيش الذي يتخذ من « ثكنة مرجعيون » التي كانت تابعة للجيش اللبناني مقراً لقيادته العامة . ومن ثكنة « صف الهوا » القائمة عند المدخل الشمالي لبنت جبيل مقرّاً لقيادة القطاع الأوسط والغربي . ويقدر عدد أفراد هذا الجيش العميل بحوالي ثلاثة آلاف عنصر تقريباً »[1] .

فكرة بناء الدولة :

. . . وفي مقابلة مع أحد رجال « الموساد » الإسرائيلي اقترح بشير الجميل أن يبني في الجنوب « دولة مسيحية على غرار دولة اليهود »[2] وفي أواخر سنة ١٩٧٦ م سارعت قوات التحالف الكتائبي إلى احتلال « منطقة الشريط الحدودي » المتاخمة لفلسطين المحتلة وإخضاعها بالحديد والنار ، فاستباحت القرى وأعملت فيها القتل والنهب ، ثم عمدت الميليشيات إلى احتواء المنطقة وضمها لإسرائيل وفرضت خوّات على الأهلين ، وكان الصهاينة يساعدونها عن طريق القصف المدفعي الكثيف وأحياناً بالتدخل المباشر .

تدمير قرية حانين :

حانين قرية إسلامية شيعية ، وادعة كقرى جبل عامل العريق ، تقع بين قريتي عين إبل ودبل ، وطريقها متصلة بقرية عين إبل المسيحية ، وتاريخها عريق ، ومنها « الشيخ حسن الحانيني الذي تولى منصب الإفتاء في « إمارة فخر الدين »[3] . . . وكان أفضل علماء زمانه .

هاجمها التحالف الكتائبي في ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٧٦ م انطلاقاً

---

(١) قضية شعب وأرض ـ مصدر سابق ـ ص ٧٣ ـ ٧٤ .
(٢) الحرب المضللة ـ مصدر سابق ـ ص ٣٠ .
(٣) خطط جبل عامل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٢ .

من قريتي عين إبل ودبل وأحدثوا فيها مذبحة بشعة . « وكانت قد حوصرت ليلاً ، وقامت المدفعية الإسرائيلية بقصفها ثم دخلتها قوات المشاة حيث جرى اشتباك مع أهالي القرية قتل فيه ، حسب المعلومات أكثر من عشرين مواطناً من البلدة وتم خطف رجال البلدة الباقين إلى الأراضي المحتلة . وفي الصباح قامت القوات الإسرائيلية بتسليم البلدة إلى الميليشيات الحدودية بعد أن دمرت معظم منازلها والتهمت النيران أراضيها الزراعية وهجرت حوالي ٢٠٠ عائلة »[١] . « وبعد ذلك دمرت البلدة تدميراً كاملاً ولم يبق من بيوتها أي أثر بما في ذلك مسجدها وحسينيتها ، ثم حولوا مكانها فيما بعد معسكراً للتدريب »[٢] .

مصير القرى الأخرى :

في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٧٧ اقتحم التحالف الكتائبي وبالتعاون مع الصهاينة بلدة الطيبة وهجّروا من أهلها أربعة آلاف نسمة أي ما يعادل نصف السكان بعد أن قتل منهم الكثير »[٣] .

« وبعد أن سيطرت الميليشيات على رامية شكلت لجنة عسكرية وسياسية لتنظيم عمليات السلب والنهب والتنكيل بمن لم ينزحوا ، وفرضوا خوّة شهرية على كل بيت وحولوا مخفر الدرك إلى حاجز ثابت يتقاضى مائة وخمسين ليرة عن كل سيارة شاحنة وخمس وعشرين ليرة على السيارة الصغيرة .

وعندما دخلت الميليشيات إلى بلدة الظهيرة وجوارها ، كان موسم

---

(١) لبنان ١٩٤٩ ـ ١٩٨٥ ـ يوميات الاعتداءات الإسرائيلية ـ ص ١٢٦ ـ المركز العربي للمعلومات ـ مصدر سابق .

(٢) أفاد معظم سكان حانين المشردين في قرى جبل عامل صحة هذه المعلومات .

(٣) جريدة السفير ـ ١٧/٢/١٩٧٩ ـ ص ٥ .

التبغ على أمّه ولم تمهل السكان لجنيه حين عاجلتهم بالاعتداء ، فأبادت المواسم وشرّدت أصحابها الذين طالبوا فيما بعد إدارة حصر التبغ والتنباك بتعويضات عن الخسائر لكنهم لم يلقوا آذاناً صاغية لأن الدولة الأم مشغولة عنهم بأمور الحكم « والتحرير والسيادة »[1] .

وأما سكان مروحين ويارين ، فأصبحوا كلهم مهجرون ، وأرزاقهم نهبتها الميليشيات كما عمدت هذه الميليشيات إلى إجبار الناس على حمل السلاح والحراسة بالعسف والقوة . وكانوا يضربون الأهلين بقسوة ويستبيحون أعراضهم ويسلبون ممتلكاتهم ، كما يأخذون من الدكاكين ما يشاؤون من المواد الغذائية دون أن يدفعوا الثمن . واعتدوا على الرعاة وسلبوا منهم مواشيهم ، وأقدموا على التصفية الجسدية لبعضهم في البراري والحقول ، وفرضوا على السكان خوّة تحت ضغط التهديد بنسف منازلهم إذا رفضوا .

وفي بلدة مركبا فرضوا ضريبة شهرية على كل بيت مقدارها عشر ليرات وكان على الأهالي أن يدفعوا على تصاريح الخروج والدخول عشر ليرات أيضاً والسيارات التي تدخل القرية أو تخرج منها تدفع خمس عشرة ليرة عن كل سيارة »[2] .

وفي بليدا فرضوا ضريبة شهرية على كل بيت مقدارها خمس عشرة ليرة من أجل تغطية النفقات . وقد وجه سعد حداد تهديداً لأهالي الطيبة قبل الهجوم الإسرائيلي في ١٥ آذار ١٩٧٨ وبعده « بأن مصير البلدة سيكون مثل مصير الخيام »[3] التي دمرت تدميراً كلياً وهُجِّر سكانها ومن بقي منهم أبيدوا في مجزرة جماعية . وزيادة في الإرهاب والابتزاز قامت الميليشيات بفرض

---

(١) جريدة السفير ـ ١٩٧٩/٣/١ ـ ص ٥ .
(٢) نفس المصدر ـ ١٩٧٩/٢/١٧ ـ ص ٥ .
(٣) نفس المصدر ونفس التاريخ ـ ص ٥ .

خوّة على المهجرين يدفعها أقاربهم ومقدارها خمسون ليرة شهرياً تحت طائلة التهديد بنسف البيوت ونهبها »[١] .

وفي برامج التدريس ، فرضوا تعليم اللغة العبرية[٢] . . وأصبحت الدكاكين تعرض المواد الاستهلاكية الإسرائيلية .

. . أكثرية الشباب غادروا القرى ولم يبق فيها إلاّ كبار السن »[٣] .

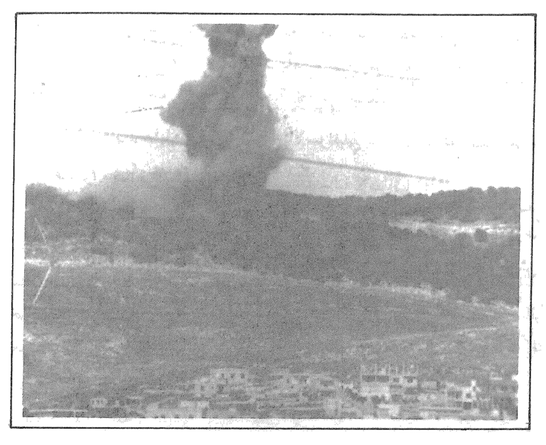
« وللمعلومات والتاريخ ذهب سعد حداد بأمر مباشر من رئيس لبنان عام ١٩٧٥ ، سليمان فرنجية . ذهب بأمر واضح يقول له : « روح دافع عن منطقتك » قال : كيف . . أجابه فرنجية : « دبّر حالك »[٤] .

وأكد عازار وايزمن وزير الدفاع الإسرائيلي : « أن الرائد سعد حداد يمثل عنصراً مهماً في حياة وأمن الحدود الشمالية لإسرائيل »[٥] .

وهكذا . . أصبح الشريط المحتل ، المقتطع من الوطن الأم ، درعاً وقائياً يذود عن العدو في قراه ومدنه « وكيوبيتزاته » ، وأصبح جنود « جيش لبنان الجنوبي » أكياس رمل يختبىء خلفها الصهاينة ، وصاروا خنجراً في خاصرة جبل عامل ، يطعنون به ساعة يشاؤون إرضاءً لأسيادهم ، وتفاخراً بعارهم وشنارهم .

---

(١) جريدة السفير ـ ٢٢/ ٢/ ١٩٧٩ ـ ص ٥ .
(٢) جريدة السفير ـ ٢٢/ ٢/ ١٩٧٩ ـ ص ٥ .
(٣) جريدة السفير ـ ١٧/ ٢/ ١٩٧٩ ـ ص ٥ .
(٤) مجلة الشراع ـ العدد ٥٥ ـ نهار الإثنين ٤ نيسان ١٩٨٣ م .
(٥) جريدة السفير ـ ٢٠/ ٢/ ١٩٧٩ م .



قرية عاملية تتعرض للقصف من مواقع مشتركة للميليشيات والعدو الصهيوني.

مؤثرات الثورة الإسلامية الإيرانية

الفجر الجديد :

في دياجير الظلمة الحالكة ، وفي خضم المفاسد العالمية ، التي راح الغرب والشرق والعالم الثالث الفقير ، الضعيف ، يسبح فيها ، وأمام واقع الانهزام والاستسلام للشرق والغرب معاً ، ومن بين ركام القرون المتعاقبة ، واستجابة لأنين المستضعفين وزفرات البائسين ، ومن خلال جهاد المؤمنين ، الصابرين ، الصادقين . أتى أمر الله ، الذي كنتم تستعجلون . ومن فوهة البركان الهادر في قم ، قامت الدنيا بأسرها وما قعدت وخرج المارد من القمقم ، وتألقت طهران ومشهد وشيراز وخوزستان وأصفهان وكل إيران . . تألقت بثوب جديد مزركش ، بدماء الشهداء ، يتهادى في سمائها نور روح الله الهابط من علياء السماء بطائرته القادمة من باريس ، فيلف الأمة المجاهدة بعباءته ، ويظللها بعمامته ، وينطلق الصوت الهادر المزمجر من « جنة الزهراء » فيهز أربع رياح الأرض ، وتنبت الأجساد المضرجة بالدماء « شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية » بل جمهورية إسلامية زيتها مضيىء ، ونورها شعاع هداية ، يهتدي به السائرون .

انتصار الحق :

. . ولما انتصرت الثورة الإسلامية ، اعتبر الكفر العالمي أنّ العلماء أشدُّ عدوٍّ له ، لذلك تصدّى لَهم بالاغتيالات ، لكن الإمام المقدس قاد الصراع معتمداً على القدرة الإلهية الأزلية ، فلم تستطع القوى الشيطانية الكبرى ، الوقوف في وجهه . « وبانتصار قيادية العالم المسلم على مخططات الكفر العاملي انبثق الأمل من جديد ببزوغ فجر الإسلام العالمي وتجددت روح الوحدة بين المسلمين الذين انتعشت آمالهم . فنهضوا نهضة أخرى قوية نقية مستلهمة المدد المعنوي من إيران الإسلام .

« وتحولت إيران إلى أكبر قلعة لزرع الوحدة بين المسلمين .

وهكذا أثبت الواقع أن تنحية القيادة العلمائية من الأمة أكبر عامل مَن عوامل فرقتها ، كما أثبت أن تعمق القيادية العلمائية في الأمة أكبر عامل من عوامل وحدتها »[1] .

تأثير الثورة الإسلامية على مسلمي لبنان :

. . وما أن انتصرت الثورة الإسلامية في إيران في مطلع العام ١٩٧٩ م ، حتى عمّت الفرحة كل القرى والمدن اللبنانية الإسلامية ، وأدخلت الثقة والسرور في نفوس جميع المسلمين ، وشعر المسلمون عموماً والعامليون خصوصاً أن الجمهورية الإسلامية في إيران هي القلب النابض الذي يوزع دقاته على الجسم الإسلامي العالمي ، وجبل عامل شريان حيوي في هذا الجسم المتكامل ، وقد عبّر المسلمون عن فرحتهم بهذا الانتصار العظيم من خلال الإحتفالات والندوات التي أقيمت في كل الأرجاء الإسلامية اللبنانية . وأمام واقع الأحداث التي كانت تعصف بلبنان ، لم يكن

---

(١) مجلة المنطلق ـ العدد ٣٣ ـ حزيران ١٩٨٧ ـ ص ٧٩ .



من مؤثرات الثورة الإسلامية في لبنان.

للمسلمين رابط قوي يجمع بينهم ، وكان معظم المسلمين قد توزعوا بين الأحزاب اليسارية . وكانت الثلة المؤمنة الواعية القليلة داخل المجتمع الإسلامي اللبناني تتعطش شوقاً لرؤية نظام إسلامي حرّ ، ينهج نهجاً إسلامياً متحرراً من التبعية للغرب والشرق ، يتمثل بتعبئة الجماهير المسلمة سياسياً وجهادياً وعسكرياً ، لذلك راح المؤمنون يرسخون دعائمهم ، معتمدين على الثورة الإسلامية ، كقوة داعمة . ثم تقاطرت الوفود إلى طهران تبارك للشعب المسلم ثورته وتستلهم روح الثورة وترشف من معينها الذي لا ينضب ، وأيقن المسلمون اللبنانيون أن الشعب الذي يملك السلاح بيده ، مقروناً بالإيمان ، قادرٌ على تحرير إرادته ، إذا ما تجاوز التوازنات الدولية والإقليمية والداخلية ، والألاعيب السياسية والمزايدات والمهاترات الجوفاء . وهذا ما يجعله بالتالي ماضياً نحو الاستبسال والاستشهاد .

التجربة الرائعة :

لقد أعطت الثورة الإسلامية في إيران تجربة رائعة في الاعتماد على الشعب في الثورة حتى الانتصار ، جاءت تجربة الشعب اللبناني المسلم الذي تصدى للغزو الصهيوني في عام ١٩٨٢ م واضطره للإنسحاب « بفعل المقاومة الشعبية الإسلامية ، في الوقت الذي هرب فيه الآخرون تاركين بيروت نهباً للقوات الإسرائيلية »[١] . إن مرحلة الوعي التي توصل إليها المسلمون اللبنانيون ، والتي قادتهم نحو الإسلام القادر على تعبئة الجماهير ، أكسبتهم ثقة الأمة في الداخل والخارج ، بعد أن أفلست كل الأطروحات الوطنية والقومية .

. . والاقتباس الناجح :

إن الشعوب معين لا ينضب من الطاقات والإمكانيات والقدرات

---

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠ .

الخلّاقة . والتجارب الثورية أثبتت أهمية الاعتماد على الشعوب في كل الأمور وخاصة ذات الطابع المتحدي والغزو العسكري . وبما أن الشعوب يصعب خداعها إذا كانت هي تتولى أمورها بأيديها . لذا ، فإننا نجد أن أول صوت للثورة الإسلامية في إيران انبعث في الأرجاء ، تردد صداه فوراً في لبنان ، وذلك نظراً للشعور بأن الإسلام دين شمولي وليس لأمة دون أخرى ، أو لفئة دون فئة . إن الإسلام الثوري في لبنان أصبح قدوة للحركات التحررية الثائرة في كل أرجاء العالم الإسلامي .

وما أن اجتاح اليهود لبنان عام ١٩٨٢ م حتى سارعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى إرسال مجموعات من حرس الثورة الإسلامية للمشاركة في الجهاد ضد الصهاينة ، فكان لهم الفضل الأسمى في تأسيس نواة المقاومة الإسلامية التي جرّعت اليهود كؤوساً أمرّ من الحنظل ، إضافة إلى تأهيل وتدريب الأخوة المجاهدين الذين أصبحوا قوة جبارة يحسب لها



.. وراح المجاهدون الاسلاميون يلاحقون العدو اليهودي في كل مكان في جبل عامل.

آلاف الحسابات ، وهذا ما دفع الإمام الخميني الراحل (قدس ثراه) أن يقول : « إن جهاد حزب الله في لبنان . هو حجّة على مسلمي كل العالم » .

تمكن المجاهدون وبسرعة فائقة اختراق جدار الرعب الصهيوني وهو في أوجه . لقد شكل هذا الاختراق ، نقلة نوعية في تحدّيه لجبروت المحتل وغطرسته . « وأعطت الثورة الإسلامية الصراع ضد الكيان اليهودي بعداً تاريخياً من خلال التأكيد على الصراع القائم حالياً ، هو صراع حضاري يقف فيه الإسلام والمسلمون في جانب والكفر والكافرون بضمنهم الصهاينة في جانب آخر »[1] .



إن جهاد حزب الله لبنان حجة على مسلمي كل العالم. (الإمام الخميني).

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ١٧ .

الإجتياح الكبير سنة ١٩٨٢م

يوم الكارثة :

بعد أن أُشبعت المشاريع درساً وحفظاً وهضماً ، وفي السادس من حزيران سنة ١٩٨٢ م . وبعد انقضاء خمس عشرة سنة علَى الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية وصحراء سيناء ومرتفعات الجولان ، بدأت العمليات العسكرية في جنوب لبنان على ستة محاور . ثمان فرق إسرائيلية قدرت بمئة ألف جندي دخلت إلى جبل عامل ، وبدأت حملة تدمير رهيبة لم يعرف العالم لها مثيلاً . كانت الطائرات تغير على المدن والقرى من الصباح حتى المساء لتلقي عليها قذائف الموت والدمار .

« انطلقت (٢٥٠) دبابة صهيونية تساندها أرتال الألوية المدرعة والمشاة لتخترق الحدود الدولية اللبنانية وتمرّ من أمام قوّات الطوارىء الدولية التي أرسلتها الأمم المتحدة للحفاظ على الأمن ! . وخلال ستة أيام وصلت القوات الصهيونية قلب بيروت وأحاطت بالقصر الجمهوري لتبدأ فرض حصار على المقاومة الفلسطينية في بيروت الغربية »[١] .

---

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ١٧١ .

الاجتيــاح :

« الجنـوب يقـاتـل ، الجنـوب يقـاوم ، الجنـوب يستشهـد . الغـزو الإسـرائيلـي يطـوّق صـور وصيـدا والنبطيـة مـن خمسـة محـاور . اجتـاحـت إسرائيل لبنان مخلفة الكثير من الدمار والضحايا في مدنه وقراه وسط مباركة أميركية كاملة واكتفاء عربي ودولي بالتنديد ، وكما حصل في آذار ٧٨ كان التبرير للاجتياح ضرب الفلسطينيين وأماكن تجمعاتهم . مع فارق وحيد هو إصرار إسرائيل على توسيع رقعة الاحتلال وقيامها بعمليات إنزال عنيفة استمرت حتى ساعات الفجر الأولى مستهدفة منطقة الأوّلي عند حدود مدينة صيدا وقبلها منطقة الزهراني وشواطىء صور وضواحيها »[١] .

الحرب المختلفــة :

وكان لا بد للجنوب حيال ذلك أن يأخذ قراره بالمواجهة الحاسمة دفاعاً عن الأرض وعن الحياة وعن كرامة كل العرب في العواصم الصامتة والمتضامنة بأنواع الكلام المختلف .

« وحرب الخامس من حزيران سنة ١٩٨٢ تختلف عن حرب الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ م بشيء واحد فقط ، هو الثمن الذي تدفعه إسرائيل على أبواب صور وعلى تخوم النبطية ، من دمار لدباباتها ، وقتلٍ لجنودها وأسر لهم ، ومن إسقاط لطائراتها وأسر لطياريها وهو ما لم يحدثْ مطلقاً في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ م »[٢] .

وقائع الاجتياح :

استهدفت غارات الطيران الإسرائيلي الطريق الساحلية بين بيروت

---

(١) جريدة السفير ـ ٧/ ٦/ ١٩٨٢ ـ ص ١ .
(٢) جريدة السفير ـ ٧/ ٦/ ١٩٨٢ ـ ص ١ .

وصيدا وأبادت مجموعات من المدنيين على « الأوتوستراد » بين خلدة والناعمة والسعديات ولاحقت قذائف الطائرات المغيرة ركاب السيارات الذين حاولوا الاحتماء بالأقنية على جانبي « الأوتوستراد » مما أدى إلى استشهاد وجرح عدد كبير منهم .

. . . وجرت محاولات إنزال إسرائيلية عدة عند معمل الجيّة الحراري والسعديات .

. . . وعلى صعيد الجنوب غطت الاعتداءات الإسرائيلية معظم المناطق وشملت تلال صيدا وامتدت إلى مرتفعات جباع وأحراش كفرفيلا وجرجوع والصرفند والسارلي ووادي النميرية .

وفي القطاع الأوسط استهدفت الغارات الإسرائيلية والقصف المدفعي مناطق : أرنون وقلعة الشقيف وحرش النبي طاهر والجرمق والعيشية وكفر تبنيت والوادي الأخضر وكفررمان وحبوش والكفور وشوكين وزوطر الشرقية ووادي زفتا .

وفي القطاع الغربي تعرض مخيم الرشيدية لقصف بحري فيما استهدف القصف المدفعي من الأراضي المحتلة رأس العين والسماعية والشواكير وليلاً قصف الطيران الإسرائيلي القاسمية وقصفت المدفعية الإسرائيلية ـ الحدودية القطاع الشرقي مستهدفة وادي الحاصباني وحاصبيا وشويا وعين قنيا وعين فجور والقاطع ووادي ميمس وأبو قمحة ومحيط كوكبا ومحيط البياضة وعين جرفا وقليا وسحمر ويحمر والدلافة ومحيط مرج الزهور » (١) .

المعالم الجديدة للمخطط الإسرائيلي :

كان المخطط الإسرائيلي يرمي إلى وضع معالم جديدة في

---

(١) جريدة السفير ـ ٦/٦/ ١٩٨٢ ـ ص٨ .

الاستراتيجية الصهيونية ، ولا يمكن أن تعطي نتائجها دون نزع الفتيل الفلسطيني من المنطقة ، فمنظمة التحرير الفلسطينية وجيشها المكوّن من آلاف المقاتلين تبقى تهديداً وسيفاً ذا حدين قد ينفلت في يوم ما من العقال والنفوذ الخليجي . ولا بدّ من طمس وجه الثورة الفلسطينية التي تمثلها البندقية والكوفيّة الفلسطينية .

« وبالفعل خرجت قوّات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت وغادرت ميناءها بحماية البنادق الصهيونية ، وركب المقاتلون الفلسطينيون سفينة الغربة والشتات وهم يلوّحون بأيديهم بعلامة النصر ! ، ولتبدأ مرحلة جديدة عندما التحقت منظمة التحرير بالركب الأميركي ، وسقط تصفيق حكّام العرب لهذه « المسرحية » الرائعة ، وبدأت معالم السقوط الفلسطيني في المستنقع الرجعي تتضح رويداً رويداً ، ويجتمع شمل الفرقاء والأعداء ليشكّلوا صفاً واحداً استعداداً لمواجهة (التهديد الجدي) الذي عناه وزير الدفاع الأميركي « كاسبر واينبرغر » ويقصد به المارد الإسلامي »[١] .

الإسلاميون والمواجهة الخالدة :

كان التيار الثوري الإسلامي قد ترسخ في لبنان بسبب وجود الأجواء الملائمة لذلك . فالسلطة غائبة ، والميليشيات في صراع دائم حول هذا الموقع وذلك الامتياز ، وكل يرتبط بطرف دولي يمده بالمال والسلاح والدعم السياسي والإعلامي ، « في هذه الأجواء نما التيار الإسلامي الذي شعر أبناؤه بأن عليهم مسؤولية شرعية في مواجهة الغزو الإسرائيلي »[٢] الذي امتدت أطماعه شمالاً لتدكّ شوارع بيروت وتقضي على البقية الباقية من الوجود الفلسطيني المسلح .

---

(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٧٥ .

وكانت الثورة الإسلامية الإيرانية قد أعطت تجربة رائعة في الاعتماد على الشعب في الثورة حتى الانتصار ، وكانت التجربة الأولى على مشارف بيروت في منطقة خلدة حيث تصدى الإسلاميون المؤمنون « على الطريق الساحلي بين الناعمة وخلدة وقد كررت القوات الإسرائيلية محاولات الإنزال في منطقة خلدة أكثر من مرّة طوال يوم التاسع من حزيران إلاّ أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل نتيجة المقاومة الشديدة التي جوبهت بها من قبل القوات المشتركة (اتحاد الطلبة المسلمين وشباب من حركة أمل وبعض الشباب المؤمن الملتزم) .

وقد أنزلت إحدى البوارج الإسرائيلية ما بين ١٢ و١٥ آلية ودبابة برمائية . . . ولدى وصول الآليات والدبابات إلى الطريق شنّت القوات المذكورة هجوماً صاعقاً عليها وواجهتها بقذائف الآر بي جي . والرشقات النارية الغزيرة فاندفعت الآليات والدبابات باتجاه مدينة الزهراء وهناك كانت مجموعة من عناصر حركة أمل تنتظر الغزاة فأمطرتهم بوابل من القذائف والرصاص ، فاندلعت النيران في ثلاث دبابات واحترقت مع من كان في داخلها من الجنود الإسرائيليين وامتدت المعركة إلى أحد المباني المجاورة الذي هرب إليه جنود إسرائيليون كانوا قد تركوا آلياتهم ولاحقتهم عناصر القوات المشتركة « المؤمنة » إلى داخل المبنى وقضت عليهم »[١] .

وفي هذه الأثناء استولى المجاهدون على إحدى المدرعات الصهيونية وأخرجوها من ميدان المعركة وجاؤوا بها إلى داخل بيروت ، فيما راح الطيران الحربي الصهيوني يدك أرض المعركة بالصواريخ الثقيلة ، فانهارت إحدى البنايات بكل طبقاتها بينما كان يتمترس بداخلها عدد من المجاهدين ، فانتقلوا إلى جوار ربّهم شهداء أبرار . وبينما كانت القوات اليهودية تحاصر بيروت كان التحالف الكتائبي يشارك جنباً إلى جنب مع

---

(١) جريدة السفير ـ ١٠/٦/١٩٨٢ ـ ص ٦ .

الجنود الصهاينة في الأعمال الحربية أثناء حصار بيروت ، وبينما كان عدد من الشباب المؤمن المضحي يرابط في كلية العلوم في الحدث للدفاع عن شرف الأمة وقعوا في أسر القوات الكتائبية ، وما زال مصيرهم مجهولاً حتى اليوم .

نداء الإمام الخميني (أعلى الله مقامه) بمناسبة الهجمة الإسرائيلية :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون .

كلمة الاسترجاع هذه لا أقولها بسبب الجنايات الإسرائيلية التي أدّت إلى شهادة وتضرر قسم كبير من المسلمين المظلومين في جنوب لبنان العزيز وإن كان ذلك مدعاة للاسترجاع ، ولا أقولها للخراب الذي حلّ بمدن وقرى ذلك البلد الإسلامي الذي وقع في قبضة العدو المجرم الكافر « إسرائيل » وإن كان ذلك مدعاة للاسترجاع أيضاً ، ولا أقولها للتشريد الذي حلّ بالآلاف من الأخوة والأخوات في تلك المنطقة المظلومة وإن كان ذلك مدعاة للاسترجاع ، ولا أقولها بسبب الوضع الذي يعيشه الفلسطينيون المظلومون في ظل التسلّط الإسرائيلي وإن كان ذلك مدعاة للاسترجاع ، ولا أقولها لشهادة أكثر من أربعين شخصاً من النساء والرجال والأطفال في مدينة إيلام التي تعرضت للقصف الصدامي الوحشي في الوقت الذي ترتفع فيه الشعارات المعادية لأميركا وإسرائيل مصاصة الدماء ، ويصاب أكثر من (٢٠٠) مسلم من العشائر البريئة ويهدم المسجد وتدمر المستشفيات وبيوت المظلومين وإن كانت هذه كلها مدعاة للاسترجاع . . وإنما سبب استرجاعي هو عدم مبالاة الدول الإسلامية بما يجري ، أسترجع للوضع الذي تعيشه حكومات هذه الدول . وليت المسألة تنحصر في اللامبالاة فقط ، أسترجع بسبب دعم الكثير من الحكومات لإسرائيل ولصدام هذين الولدين غير الشرعيين لأميركا ، ويجب عليّ وعلى كل مسلم أينما كان أن يسترجع لما تقدمه الدول

الإسلامية من مساعدات مادية ومعنوية لأمريكا المجرمة ولإسرائيل والبعث العفلقي العراقي عملاء أميركا والصهيونية المشؤومين . إن على كل مسلم غيور أن يسترجع لاقتراحهم إعلان حكم الجهاد ضد دولة مخالفة لإسرائيل بحجة اتهامات كاذبة باستيراد الأسلحة من إسرائيل في الوقت الذي يسعون فيه للإعتراف بإسرائيل رسمياً ، إسرائيل التي اعتدت على البلد الإسلامي لبنان وقتلت آلاف المسلمين الأبرياء .

هل يجب أن تدعم إسرائيل المعتدية الجانية وأمريكا زعيمة المعتدين بكل ما تملكه الدول الإسلامية المظلومة من ذخائر وثروات وتؤمن وسائل الإعلام في المنظمة الغطاء والدعم السياسي والمعنوي لهم في الوقت الذي تترك فيه فلسطين وسوريا وحيدتين ؟ .

هل يجب أن يؤيد صدام المعادي للإسلام مئة بالمئة في إهلاكه الحرث والنسل في منطقة المسلمين والعرب بكل ما يمكن من وسائل إعلامية ومادية وعسكرية وبنفس الوقت تترك إيران البلد الإسلامي الذي ثار لإحياء الإسلام والقرآن الكريم ؟ .

إن هذه المسائل وبالإضافة إلى الكثير من المصائب التي حلّت بالمسلمين تستدعي الاسترجاع بشكل جماعي ، وإني لأتقدم بالتعازي إلى المظلومين من أهالي جنوب لبنان الذين لا معين لهم لما حلّ بهم من مصائب عظيمة ، وكما وأعزي أهالي إيلام المظلومين أيضاً وسائر المدن المتضررة بالحرب المفروضة على إيران ، وأدعو للشهداء الذين سقطوا طيلة هذه الحرب الدفاعية على البلدين الإسلاميين كما وأسأل الله الصبر والاستقامة لأهاليهم وأدعوه سبحانه وتعالى في أن يوقظ هذه الدول الغافلة عن مصالح شعوبها وعن أحكام القرآن وفي أن يبيد أعداء الإسلام .

لا تواجه القضية بالكلام والحديث والمزاح .

إنني أدعو الله عزّ وجلّ أن ينصر القوى العاملة من أجل الإسلام .

أدعو الله أن يؤيدكم أنتم الشباب القائم في الساحة . والعامل من أجل الله ورسالته منذ انتصار الثورة وحتى الآن وفيما بعد .

إنني آمل أن يؤيد الله كل مسلمي العالم وأن يحررهم من وطأة ظلم القوى العظمى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٤/٦/١٩٨٢[1]

. . وأخيراً سقطت بيروت الإسلامية :

وفي منتصف حزيران سنة ١٩٨٢ م « أقرت الحكومة الإسرائيلية خطة تنص على أن تقوم القوات الكتائبية باحتلال بيروت الغربية (الإسلامية) بمساندة نيران المدفعية الإسرائيلية »[2] وكان دوري شمعون ابن كميل شمعون قد أعلن في مؤتمر صحفي في نيويورك « إن لبنان لن يحتج على الغزو الإسرائيلي لأنه يعتقد أن هذا الغزو سيحقق الحرية للبنان »[3] . وبعد عودة بشير الجميل من اجتماع في السعودية مع الحكام السعوديين والأمين العام للجامعة العربية في ١ تموز أدلى بتصريح قال فيه : « إن الكتائب تسعى لإقامة دولة مسيحية في لبنان يتمكن من خلالها جميع أبناء الطوائف المسيحية في المنطقة العربية من الإقامة فيها إذا كانوا لا يرغبون في الإقامة في الدول العربية والدول الإسلامية الأخرى ، وحدد الهدف الاستراتيجي للكتائب بشكل واضح لا يقبل الشَّك »[4] .

---

(١) الإمام في مواجهة الصهيونية ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
(٢) تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا ـ دار إقرأ ـ بيروت ١٩٨٣ ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣) مجلة صباح الخير ـ العدد ٤٢٣ ـ ٢٤ آذار ١٩٨٤ ـ ص ٢٦ .
(٤) مجلة الكفاح العربي ـ ١١/٧/١٩٨٢ .

وفي اجتماع ضم بشير الجميل والقادة السياسيين والعسكريين الإسرائيليين ، قال بيغن : لبشير الجميل : « إنها فرصة تاريخية لتحرير بلدكم واحتلال العاصمة وانتزاعها من أيدي الغرباء . ينبغي للمسيحيين البدء فقط بتحرير بيروت وسنساعدكم بكل ما لدينا ، سنساعدكم بكل قوتنا » . واقترح بشير الجميل أسلوباً آخر للعمل ، هو أن يبدأ الجيش الإسرائيلي باحتلال الأحياء المحيطة بالعاصمة في منطقة المطار وفي مناطق أخرى ، ثم يدخل الكتائب وسط المدينة وشطرها الغربي »[1] .

وطلب الجميل تزويده بألف كلاشنكوف مع مشطين من الذخيرة لكل واحد منها ووضع خمس شاحنات « ريو » تابعة للجيش الإسرائيلي في



إحدى الوحدات الإسرائيلية المدرعة تتمركز في منطقة برج أبي حيدر بعد احتلالها بيروت الإسلامية.

(١) كرة الثلج ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٦ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٠ .

تصرف رجاله ، إلى جانب مركبات أخرى وأجهزة لاسلكية وقد استجاب رئيس الأركان الإسرائيلي للمطلب »[1] .

وعندما عجز الجيش الإسرائيلي عن الدخول إلى بيروت الغربية بقوة السلاح لجأت دول الاستكبار العالمي إلى خدعة غادرة خبيثة وهي أن تقوم قوات دولية بالنزول في بيروت من أجل ترحيل المقاتلين مقابل تعهد خطي أميركي بعدم دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت بعد ذلك ، ثم أعلنت كل من فرنسا وأميركا وإيطاليا في ١٠ تموز عن استعدادها للإشتراك في القوة التي ستتولى عملية إجلاء المقاتلين . وكأن الهزيمة أصبحت قدر هذه الأمة .

وفي ٢١ آب بدأت مغادرة المقاتلين وبعد ثلاثة أيام وصلت القوات الأميركية ثم تلتها القوات الفرنسية والإيطالية وغادرت جميعها في ١٣ أيلول .

وفي ١٥ أيلول دخل الجيش الإسرائيلي بيروت الغربية وتبين أن التعهد الأميركي لم يكن أكثر من خدعة . واجتاح الإسرائيليون جميع الأحياء وقاموا بحملة مداهمات واعتقالات واسعة ذهب ضحيتها الآلاف . ثم تبعتها مجازر صبرا وشاتيلا المروّعة .

---

(١) كرة الثلج ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٥ .



.. وتبقى المقاومة الإسلامية في المواجهة

وبشّر الصابرين :

لقد منَّ الله على جبل عامل ، بأن ابتلاه باليهود ، وابتلي اليهود به . إنها إرادة الله ، الذي جعل هذا الجبل الأشم محطة تاريخية ، وقلعة إسلامية يتجدد فيها الجهاد ، تجدد النضارة في وجوه الشباب المضحي .

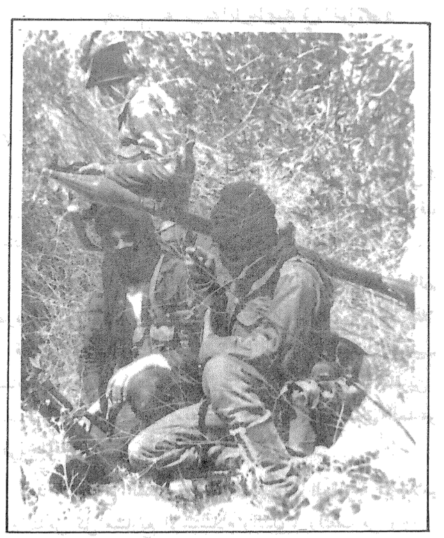
فمسلسل هذه الابتلاءات ممتد امتداد التاريخ من العهود الصليبية حتى العهود المعنية والشهابية إبان حكم الدولة العثمانية مروراً بالاحتلال الفرنسي الحاقد ، وأخيراً جاء دور اليهود ، الذين وعدنا الله بتتبير علوّهم وإفسادهم ، والنصر عليهم ، والدخول إلى المسجد ظافرين مؤزرين . ولينصرن الله من ينصره ، ولسوف ترفرف رايات الحق المدعومة بالمدد الإلهي خفّاقة على ربى هذه البطاح المباركة .

بعد الاجتياح الصهيوني الحاقد برزت المقاومة الإسلامية من بين الركام لتدفن كل مشاريع الاستسلام والذلّ ، ولتقف في وجه المخططات

الآيلة إلى الاستقواء بالأجنبي والبطش بأبناء جبل عامل . وما هي إلاّ فترة وجيزة حتى عصفت رياح المقاومة الإسلامية البطلة بهذه الاتفاقات والمعاهدات وذهبت أدراج الرياح وما قدّر لها أن تبصر النور أو أن تترعرع في أحضان الذين عقدوها وأبرموها .

الأحلام الصهيونية تتلاشى :

اعتقدت إسرائيل أن حلمها قد أصبح حقيقة عندما ابتلعت أكثر من نصف لبنان ، وأيقنت ـ حسب زعمها ـ أن جبل عامل قد أصبح ضمناً داخل



رجال المقاومة الإسلامية . . مستعدون لمواجهة العدو في كل مكان .

الدولة اليهودية ، لكن العمليات الجهادية المظفرة المتلاحقة التي قام بها الثائرون الإسلاميون ضد قوات ومراكز ودوريات الصهاينة ، قذفت في قلوبهم الرعب ، كما فعل الشهيد البطل المجاهد أحمد قصير في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٨٢ ، عندما قام بعمليته الاستشهادية الرائعة مقتحماً بسيارته الملغومة مركز القيادة العسكرية في صور فدمر المبنى تدميراً كاملاً ،



فاتح العمليات الإستشهادية الشهيد أحمد قصير ومركز القيادة.

واعترفت إسرائيل يومها بسقوط ٧٥ قتيلاً ومائة وخمسون جريحاً ، وفي شهر تشرين الثاني من العام ١٩٨٣ جرت عملية مماثلة في صور سقط فيها عدد كبير من القتلى والجرحى الصهاينة .

إضافة إلى مهاجمة الدوريات المحمولة والراجلة والقوافل العسكرية على الطرقات كعملية الشهيد حسن قصير في البرج الشمالي قرب صور والشهيد علي صفي الدين في دير قانون النهر وعملية الشهيد بلال فحص في العاقبية ومئات بل آلاف العمليات على الطرقات وفي المراكز الثابتة .

سقوط نظرية أمن الجليل :

وما أن وصل الحرس الثوري الإسلامي الإيراني إلى بعلبك بعد الغزو الإسرائيلي ، حتى باشر بتدريب الجماهير المؤمنة ، المسلّحة ، على فنون القتال والقيام بعمليات عسكرية واستشهادية جعلت مدن وقرى جبل عامل تتضامن مع هؤلاء المجاهدين ، فنشطت العمليات والكمائن والهجمات ضد الصهاينة .

« وكان وجود القوات الأميركية والفرنسية فرصة ثمينة للانتقام من القوى العظمى التي اعتقدت أنها تمكث في دارها ، فجاءت العمليات الاستشهادية الكبرى التي تم فيها تفجير مقرّ القوات الفرنسية في ٢٣/ ١٠/ ١٩٨٢ والتي نتج عنها مقتل (٢٨) شخصاً والأخرى التي تم فيها توجيه ضربة قوية للغزو الأميركي بتفجير مقرّ قيادة (المارينز) القوات البحرية الأميركية في بيروت والتي قضى فيها (٢٣٩) من الأميركيين بينهم موظفون كبار في المخابرات الأميركية ، وعسكريون ذوو رتب عالية . ولم تزد العمليات الانتقامية والقصف العشوائي ، المقاومة الإسلامية إلاّ إصراراً وثباتاً .

وأدى تصاعد المقاومة في المناطق التي يحتلها الجيش الإسرائيلي في الجنوب إلى أن تذهب أهداف الغزو أدراج الرياح ، فقد اضطرت أميركا إلى

الهرب هي وحلفاؤها من بيروت للنجاة من العمليات (الانتحارية) ! »[1] .

ومع تعاظم التيار الإسلامي المتصاعد ، فإن اليهود وقعوا في الفخ ، فأي تراجع يعني الهزيمة أمام الآخرين ، وأي إحباط ويأس فسوف ينعكس على القيادة العسكرية الإسرائيلية . ومع ارتفاع عدد القتلى والجرحى ، ازداد الضغط الداخلي محذراً من استمرار احتلال جنوب لبنان ، فما كان من القادة الصهاينة إلاّ أن أنشأوا (قوات الشريط الحدودي) من العملاء والمأجورين ليكونوا سدّاً دفاعياً تتمترس خلفه القوات الإسرائيلية لتصبح في منجاة من العمليات الاستشهادية ، وسقطت نظرية أمن الجليل .

مكان تفجير العملية الإستشهادية التي قام بها الشهيد أبو زينب قرب المطلة ضد قافلة عسكرية إسرائيلية .



(١) الإسلاميون والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

وتبقى المقاومة الإسلامية في المواجهة :

استطاعت المقاومة الإسلامية بإمكانياتها الذاتية المتواضعة أن تقهر الجيش (الذي لا يقهر) ، وأن تفشل المفاوضات ، وأن تربك النظام الطائفي الذي أبدى حرصه على إرضاء إسرائيل من مال غيره ، في وقت وجدت إسرائيل نفسها عاجزة عن إحراز أي تقدم على طاولة المفاوضات .

وأمام ملاحقة المجاهدين والعلماء العاملين ، ورداً على تصاعد عمليات المقاومة الإسلامية في جبل عامل ، قام عملاء الصهاينة باغتيال شيخ الشهداء ، الشيخ راغب حرب وهاجمت قوات أنطوان لحد بلدة سحمر في البقاع الغربي وقتلت اثني عشر مسلماً من أبنائها وجرحت العشرات ، وكذلك شهدت قرى ومدن جبل عامل مجازر رهيبة ومعارك دامية واعتقالات



الفتى نزيه القبرصلي يهاجم سيارة عسكرية إسرائيلية في أحد الشوارع الرئيسية في مدينة صيدا.

ومداهمات . وبالمقابل كانت العمليات الجهادية قائمة بالليل والنهار وفي كل مكان ، وبدون أي كلل أو ملل ، والمجاهدون غير آبهين بالأخطار ، وأمام صمود المقاتلين المسلمين وضراوة مقاومتهم وتصديهم ، اتخذت الحكومة الإسرائيلية في ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٨٥ م قراراً بالانسحاب على مراحل ، فكان ردّ المقاومين المسلمين تصعيد العمليات العسكرية في كل مكان يتواجد فيه الصهاينة ، فأصيبوا بما يشبه الهستيريا ، وفرضوا ما أسموه « بالقبضة الحديدية » وسرعان ما تحولت هذه القبضة الحديدية المزعومة إلى قبضة كرتونية أمام الخسائر الجسيمة التي كان الصهاينة قد منوا بها ، مما أفقدهم صوابهم وباؤوا بالفشل ، فانتقموا من حسينية معركة ، التي كان يعتبرها العدو معقلاً من معاقل المجاهدين ، وقد وضعوا عبوات ناسفة في أماكن مجهولة داخل الحسينية ووقتوها بالتنسيق مع عملائهم ، فاستشهد عدد من المجاهدين الأبرار أمثال : محمد سعد وخليل جرادي والحاج خليل



رجال المقاومة الإسلامية يقتحمون موقع برعشيت الحصين ويدمرون آلياته ويحطمون تحصيناته .

عطوي وحسين شعيتلي وغيرهم . ثم عاد الصهاينة واجتاحوا حومين الفوقا والزرارية وأرسلوا سيارة مفخخة إلى بئر العبد في بيروت ذهب ضحيتها أكثر من مئة شهيد وشهيدة وعدد كبير من الجرحى . وكان رد المقاومة الإسلامية سريعاً حيث اقتحم الشهيد أبو زينب قافلة عسكرية بسيارته المثقلة بالمواد الشديدة الإنفجار قرب المطلة على الحدود مع فلسطين فسقط فيها ثمانين صهيونياً بين قتيل وجريح .

لم يجد الصهاينة بدّاً من الهرب ، فهرعوا ينسحبون إلى ما يسمى « بالحزام الأمني » وتحررت أكثر مناطق جبل عامل ، وعادت البسمة إلى ثغور الأطفال ، والطمأنينة إلى قلوب الأهالي ، واستطاعت أمتنا المجاهدة أن تقضي على أسطورة الرعب بنهجها الحسيني ، فقوضت دعائم التفوق والجيش الذي لا يقهر . وأصبحت قوة لبنان بشبابه المجاهد المضحي وليست « قوة لبنان في ضعفه » . وحولت قبضته الحديدية المزعومة إلى قبضة ورقية رقيقة واهية .

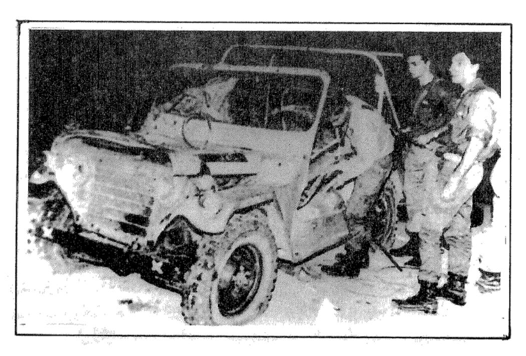
لقد أرهب شبابنا المضحي عدوه بإرادته الفولاذية رغم القمع والإرهاب واستطاعت أمهاتنا وأخواتنا أن يتصدين بالزيت المغلي لجنود العدو فأذاقوه حريق الدنيا قبل حريق الآخرة .

ولأول مرة يستخدم شبابنا الحسيني السيارات المفخخة الملغومة ويفجرون أجسادهم مؤثرين الاستشهاد على البقاء تحت حراب العدو وغطرسته ، فيذهل العالم لهذا الأسلوب المميّز في المقاومة التي لا تقهر .

وهكذا تستمر المقاومة الإسلامية تصنع نصراً بعد نصر ، عازمة على تحرير الأرض من دنس اليهود ، حتى يأذن الله لوليّه القائم المنتظر المهدي (أرواحنا له الفداء) بالخروج شاهراً سيف الحق ، رافعاً راية الهدى ، ساحقاً ماحقاً كل أشكال الجور والظلم والتعسّف والقهر .

والاستبداد .

وهكذا . . حتى يجيىء نصر الله والفتح ، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ، فيومئذٍ سيُذعنون صاغرين ، ويقرّون أن يد الله فوق أيديهم ، ولا ملاذ لهم ، ولا عاصم ، ولا مجير . وما النصر إلاّ من عند الله ، ينصر من يشاء ويعزّ من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . فعليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير . والله وليّ التوفيق .



سيارة جيب عسكرية إسرائيلية مدمرة بعد هجوم المجاهدين عليها .

نماذج من مذكرات
السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة

محنة العلماء

ولما صدر الامر بسوق الرجال الى ميادين القتال حيث السلطة الهاشمية الى تنفيذه بكل ما لديها من شدة وغلظة واعتساف، فساقت الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم بعصا واحدة كما سمعت، ولم تكن نظمة السوق تعفي من التجنيد سوى ائمة المساجد والقوامين على الطقوس (ه) الدينية في كنائس اهل الكتاب. لكن قسوة الحظ لم تكن لائمة مساجد الشيعة اسماء في دوائر الحكومة ولا في غيرها اذ لم تكن امامتهم بتوظيف من الحكومة او من طائفتهم وانما هي بمجرد اهليتهم وعدالتهم المحرزة في نفوس شيعتهم، بخلاف ائمة الجوامع من اهل المذاهب الاربعة الاسلامية فانهم كانوا من قبل موظفين من الحكومة برواتب معينة لهم في سجلاتها الرسمية يتقاضونها كل شهر كسائر الموظفين، وكذلك القوامون على كنائس اهل الكتاب من احبار اليهود واساقفة النصارى كانوا موظفين من رؤساء كهنتهم برواتب مسجلة لهم يتقاضونها من اوقافهم.

فالسلطة العسكرية كانت يومئذ على يقين من اعفاء هؤلاء واولئك جميعاً، ولذلك اعطتهم وثائق الاعفاء عملاً بقانونها العسكري في ذلك العهد فأمنوا واطمأنوا مرتاحين.

اما ائمة مساجد الشيعة - وهم علماء البلاد وابرارها - فلم تعترف سلطات السوق بامامتهم اذ لم يكن ثمة ما يثبتها رسمياً، ولذلك اجمعت على سوقهم مع سواد الناس بكل شدة وامعنت في طغيانها تتعقبهم لا تدخر في ذلك وسعاً فذعروا وتواروا مدة آمنين، وهال الطائفة امرهم. وسقط في يدها على انها كانت في عناء ولا ترى لهم مخلصاً

بلايا المؤمنين حولي

وكان المؤمنون حولي قد فوجئوا بأنواع من البلايا لا يرون إلى التخلص منها سبيلا، إذ كان الحكم فيها خاضعاً للشهوات الاستبداد الفردي، ولعل ضعف المشيخة الذي منيت به الدولة العثمانية في ذلك العهد كان من أسباب ذلك العنف والاستبداد وقد استطار الشر واحتدت حلقاته بخناق من حولي من عباد الله وعائله، فإذا الحياة منكرة، والعيش وبيل، فرأيتني غير معذور إلا ببذل الوسع في الاعتذار، وما كان الذي عاطفة إنسانية أن يمر على جثث الهلكى من جوعى تلك المحنة ثم يطمئن قبل أن يجاهد في سبيلها فلعله يفتدي الرمق المتلاشي من أولئك الفقراء ببعض ما لهم من الحق في ذمم الأغنياء، ولعله يمسك الأنفاس الزاهقة بشيء مما للضعفاء قبل الأقوياء. فطفقت يومئذ أستنجد الكرام الموسرين، وأستجدي ضمائرهم لأولئك الهلكى بمرأى منهم وسمع أتلو عليهم من محكمات الذكر الحكيم وصحاح السنة الرحيمة ما تأخذهم به أريحية السخاء، وتملكهم به الخفة للمعروف.

رفعت صوتي بذلك أستخرج به من أعماق الناس معانيهم الإنسانية. ولعلي أبليت في ذلك بلاء حسناً، فيسر الله لي بفضله وكرمه ما كنت ألتمس لأولئك الجوعى العراة.

وبرزت الأخماس تقفوها الزكوات، وتتلوها أثلاث الموتى إلى رصيد معلوم يوزع على الجوعى بنسب متكافئة، وقد جعلت لكل مخرج حق من هذه الحقوق أن يشرف بنفسه أو بنائب عنه على توزيعه في ذوي قرباه مع مندوب اعتمدته في تقدير نسب التوزيع العادلة من معرفة أهل الخبرة المحكمين في تقدير هذه الحاجات. وبهذا انتعش الله نفوساً وبرّد أكباداً، ونفّس كرباً، وبدأت الحياة تدب في كثير من المحتضرين.

ومن الحق أن نشكر الإنسانية المحسنين (١) في تلك اللأواء، وهم نفر مؤمن حقاً انتفع بروح الموعظة نفعاً مثّل الإيمان بأجلى مظاهره. وربما كان للموت الزؤام المنتشر في تلك الأيام أثر في إخراج تلك الحقوق، ذلك أن الموسرين خافوا أن تكون أسماؤهم في سجل المحتضرين فتداركوا أنفسهم بوفاء ذممهم المشغولة بحقوق أولئك الصرعى جوعاً وعرياً، وقد كان لذلك تأثيره في وصياتهم بالأثلاث أن تصرف إلى أهل المخمصة من أرحامهم وجيرانهم بإشراف منا، وكان لي بتوفيق الله خدمات أخر رفع الله بها عن بعض الأبرياء ما كان يلتزم بهم من كوارث ذلك العهد، وأنقذ الله نفسه من أشداق الموت نفراً (٢) وأخذ بأيدي آخرين فأخرجهم من ظلمات السجون (٣)

... هذه السبيل فما زارت من أبناء البلاد (١) بك وكانت الأمة العاملية أجمعت على أن يكون الممثل لها يومئذ أنا والعلامة المقدس الشيخ حسين مغنية فلما جاءت اللجنة ... ورأينا ثم تولينا الإدلاء بالحديث في حوار طويل [illegible] أفضينا خلاله بتصوير رغبات الأمة وأمانيها في الوحدة السورية المستقلة بحكومتها الدستورية [illegible] وأننا نكرر بأن رأسها الأمير فيصل ملكا [illegible] أن يكون لأية دولة أجنبية يد في حكم أو [illegible] وإذا كنا [illegible] الحكم [illegible] و[illegible] الوطن [illegible] بيننا وبين الوطنيين [illegible]

في فترة الاحتلال

في أعقاب تلك الحرب والجيوش تلقي أوزارها انتهت فلسطين إلى الاحتلال الانكليزي، وانتهت دمشق إلى الإمارة الهاشمية برئاسة فاتحها الأمير فيصل.

وكان نصيبنا من التقسيم يومئذ نصيباً لم تجر فيه الرياح كما كنا نشتهي، وكم كنا نقدر، ولكن ابتدأت آمالنا على [illegible] وفق آمالنا التي كنا نعلقها على ما بعد الحرب.

وبدأ العمل في هذه البلاد بإنشاء حكومات موقتة تحفظ الأمن باسم الملك حسين (١). فكان الحاكم في بيروت شكري الأيوبي وفي صيدا رياض الصلح، وأنشأنا في صور يومئذ حكومة على هذا الغرار تحتفظ بالزمام لتسليمه بعد إلى الأمير فيصل حين تفتح عيد بالنجح.

ولكن الانكليز أبطلت هذا التدبير الذي رجوناه لمستقبل عربي مستقل وإذ اجتاحت في مرورها ما بنيناه من هذا الكيان الناشئ، ولم نعترف بشيء من هذا الجهد المؤمل، وبذلت شططاً على الخطوة الأولى، ومهد لفرنسا أن تسيطر وتحتل بالاتفاق وتفاهم مع [illegible] [illegible] ولكن ما كان لنا ولسائر المخلصين للدين والقومية والوطنية أن نستكين للقوة مستخذين [illegible]

موقفنا مع فرنسا

استقبلنا الاحتلال الفرنسي من أجل ذلك استقبالاً [illegible] والقرار [illegible] صاخباً محتجاً يواجهها بالرفض والمصارحة والميل عنها ميلاً لا هوادة فيه ولا لين.

وأوكل إلينا أن نمثل الأمة العاملية في جماعة ممن يلابسون السياسة، ويعملون في حقولها. واجتمعت إلينا أختام العلماء والوجوه والمختارين من مختلف البلاد العاملية، تقرّ منهم بكل ما نقوله باسمهم، واعترافاً بصحة ما نعمله في سبيل مصلحتهم.

وطيرنا يومئذ برقيات وأرسلنا عرائض عبرت عن آمال البلاد وأمانيها في جلاء فرنسا عنها وإعزالها الحكم فينا. وكان الأمير فيصل يومئذ في جنيف وباريس يسعى سعيه الجميل ويتصل بذوي الأمر في شأن الحكومة العربية المستقلة التي كنا نظاهره على إنشائها، ولم نقتصر من السعي على العرائض والبرقيات في جهادنا السلمي يومئذ، بل كانت لنا أصوات عريضة أذعناها في صحف بيروت أولاً، ثم تولت إذاعتها صحف دمشق بعد أن كمّها الاستعمار الفرنسي في بيروت. ثم كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيين كبيكو، وغورو، وشربنتيه، ودلبستر، ونيجر. وقد حصر هؤلاء الحصور [illegible] وخاوصنا [illegible] أن تكون لنا الإرادة المطلقة في التعيينات وأسس الحكم المحلي وما إلى ذلك. ولكنا رفضنا هذه المساومة [illegible]

[illegible] الإسلامي الذي [illegible] بالرغم عن [illegible]

وقد شهد الكثير من هؤلاء وغيرهم في صور وشحور (٢) احتشادات الجماهير الهابطة من الجبل بأعلامها الخافقة، وهتافاتها الوطنية الصادقة، فكان لذلك وقع في نفوسهم، وعلموا أن الشكيمة التي يحاولونها شكيمة شديدة لا تروض.

سعايات من صفوفنا

والمؤسف أشد الأسف أن داءنا القديم داء الانقسام والحسد والنفاق بدت أعراضه في تلك الفترة، كما ظهر في الميدان نفر من هؤلاء والمدعين الذين أشهدناهم مجالسنا، وأطلعناهم على خطتنا الصريحة، وأشركناهم في عملنا، ظهر هذا النفر في الميدان مذبذباً ينقلب إلينا علناً، وينقلب عنا سراً. وليته كان يحمل إلى الفرنسيين حقائق ما نقوله

(١) وكان هذا باتفاق مع الأمير الفاتح فيصل

(٢) حيث كان مشتانا في مدينة صور ومصيفنا في شحور

وتنويه ليكون صادقاً في تجسسه ، بل ربما كان نافعاً في ذلك . ولكنه كان كذوباً ، يختلق الغريبة ، ويحرف الكلم ويشوه النية ، ويوقظ الفتنة المسلمين والأحرار من أهل البرية

حادثة ابن الحلاج

وكان من ذلك أن عزم الفرنسيون ، وعزمت ذيولهم أن يتخلصوا مني عن طريق الاغتيال لتنهار هذه الجبهة أو خلوت من الميدان .

وفي ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩ م — والدار خالية من الرجال ، أقبل فتى ... الذين أعلى لهم الفرنسيون أن يسطوا على المسلمين . وأقبل معه رجلان من الجنود الفرنسي ، وكانوا جميعاً مسلحين فاقتحموا الباب ثم أحكموا رتاجها . ودنا الفتى العربي ابن الحلاج شاهراً مسدسه وهو يطلب أن أعطيه الوثائق التي كنا أخذناها من وجوه البلاد ، وثائق تخول الأمير فيصل أن يتكلم باسمها في عصبة الأمم ، فركلته في صدره ركلة العتر على ظهره فسقط المسدس من يده . واتبعت الركلة بضربات عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه . وعلت صيحات النساء في الدار ... فملأت الطريق خلف الباب . فاذا الرهبة تتولى هزيمة الجندين وصاحبهما مخفقين . وقد كادت ... أن تقضي عليهم . ويسري النبأ في البلد فتتحرك الحماسة ويجتمع الناس ، ثم يتصل النبأ في الخارج فتتوافد الرايات تخفق فوق الألوف الكثيرة من وفود السواحل والجبل في مظاهرات وطنية تاريخية رائعة .

وجاء حاكم صور الفرنسي دلبستر منتصلاً مما حدث — ودارنا تغص بالجماهير حتى تضيق رحابها ، ويضيق الفضاء من حولها . وبعد انصرافه مدحوراً أشرفت على الجماهير وشكرت مساعيهم وحميتهم وصرفتهم الى أماكنهم مدخراً تجمعهم الى أن يحين الوقت .

أسباب الثورة

وعلى هذا الأثر أشيع أن أولياء الفرنسيين يتجاوزون الحدود الاسلامية المقدسة وربما تناولت أيديهم بعض الأعراض المصونة — وما أدري أكان ذلك واقعاً أم كان زوراً ؟ — ولكن الذي كان من أثر تلك الاشاعات أن فارت العصبية الدينية واستيقظت النخوة العربية فاضطرب حبل الأمن وانتشرت الفوضى في البلاد .

ووجدت سياسة الاستعمار — في هذه الشقة التي غذتها فكرياً — طريقها المؤدي الى مآربها من التفريق في هذه الفترة العصيبة ، ذلك أنها قصدت الى أن تجلو نقطة الضعف في هذا الشعب لئلا تتكرم وتستقلاله وتدفعه الى أن يعلن عن نفسه عدم الكفاية لما ينشده من التحرر والانعتاق ، فجهزت المسيحيين بالأسلحة بدعوى حمايتهم من حماية حوزتهم ، ثم تغافلت عن الثوار تغافلاً اضطر المصلحين من هذه الأمة أن يطالبوا الحكومة بايقاف الثوار عند حد فماذا فعلت الحكومة ؟؟

انها بذلت السلاح للمسلمين ايضاً بحجة انها تدع لهم تأديب العصاة ومطاردتهم — ولكن الحقيقة التي رمت اليها من وراء ذلك ان يثوروا بالنصارى لتتسع الفتنة وتثبت ما قصدت اليه من الدليل على عدم كفايتنا للاستقلال لتقيم عندئذ حكمها على قاعدة من هذا الدليل ، كما تقام أمثالها حكمهم على قاعدة من مثله .

وكان الناعقون النفعيون من أذناب الافرنسيين — أثناء ذلك — يثيرون حماسة الفتيان العرب من جهة أخرى ويطمعونهم ويغرونهم بمواطنيهم ليتلاقى طرفا الحيلة الاستعمارية ويبرم أمر التدبير .

وكان لهؤلاء الاقطاعيين المذبذبين شأن في هذا العصيان كما كان لهم شأن في السعاية بالمخلصين بلبسوس مرادحوها

مؤتمر الحجير

وكان هذا الطلب من الامور المهمة ذوات البال التي دعت الى عقد مؤتمر الحجير التاريخي ، فان المفكرين في عاملة اخذوا هذا الطلب على انه جد شائك من طرفين فهم ان اجابوه ففرنسا دولة قوية غنية مجهزة لا قبل لهم بها ، وان امتنعوا عنه فهذه جبهة وطنية تدعوهم الى جهاد وطني وذلك ما لا قبل لهم بالامتناع عنه ايضا .

اضف الى هذه الحيرة ان سياسة البلاد المضطربة كانت تدعوهم للاجتماع والنظر في تقرير مصيرهم على نحو تطمئن اليه الجماعة القلقة .

وفي اليوم الموعود كان وادي الحجير (١) يستقبل ضيوفه ، وكان ضيوفه الاكثرية من صفوة علماء الجبل واسوده ووجهائه واعيانه . وكان يضيق بالرايات . ويضج بالهتافات . ويدوي بالمفرقعات والصهيل . وكأنما عاملة نشرت فيه ببعث جديد

واقبلنا والجمع كامل مستتب . فما اشرفنا على الجمع حتى جلجل الوادي . وجرجر صداه (٢) وانطلقت الخناجر والاكف والبنادق

— ٦٥ —

تمد الصدى بموجات اثر موجات تتجلجل في عنق الجبل ثم تنطلق في الفضاء .

وانحزنا بعد تحية الجماهير الى صف العلماء والزعماء نداولهم الرأي ونبادلهم المشورة ، فتمخض الاجتماع عن تفويض الزعيمين العلامتين السيد محسن الامين والسيد عبد الحسين نور الدين بالبحث في مصير الجبل مع جلالة الملك فيصل في الشام وكتبت في هذا وثيقة ممضاة من العلماء والزعماء والوجوه وممثلي القرى جميعاً .

ثم وقفت في ذلك الجمع المشهود وتكلمت في الازمة ووسائل تفريجها . ووقفت وقفة خاصة عند هذه الفوضى التي تهدد الامن وأبنت أن الفوضى لن تكون الا من العراقيل التي تخذل قضيتنا وتدل على عدم كفايتنا لما نطلبه ثم اقسمت اليمين واخذتها على العلماء والزعماء والوجوه ان نتضامن على حفظ الامن واقرار الهدوء والحرص على سلامة النصارى بوجه خاص . واحضرت بعد ذلك رؤوس الثوار كصادق الحمزة وادهم ومحمود الاحمد ونصحت لهم وامرتهم ان يكفوا عما هم فيه ، بل هددتهم ان لم يكفوا بالعقوبة والمطاردة .

ثم انفض الجمع على يمين هذه النية ورجعنا نتأهب للسفر الى دمشق .

طلب الثورة

وقد تطورت في غيابنا الاحداث في جبل عامل وساءت الاحوال ، فذر الافرنسيون على الجرح ملحاً بأن سلحوا اهل عين ابل من جهة واظهرت عجزها ازاء العصيان المدني الشامل الذي تحصن به العامليون . وكان غرضها من ذلك ما كنا نخشاه من سوء المنقلب والظهور امام الدول بمظهر من لا يستطيع ادارة نفسه ادارة مستقلة .

وقد اغتر اهل «عين ابل» بحصانة موقعهم وبقوة اسلحتهم فاندفع من كان منهم متصلين بالعداوة والمجاهرة بالاعتداء وكانت هذه حركة استفزازية قابلها الفتيان العامليون بالاستياء والحفيظة ، ثم كان للذيول الافرنسيين مسعى في اثارتهم خبيث فزحفوا الى عين ابل تلة من الاشداء واقتحموها قادرين وانجلت المعركة عن مائة قتيل ونيف من اهل عين ابل وصبغ نهبا في حجرتها .

وشاء ذيول الفرنسيين من منافقي الافندية والمتزعمين ان يستغلوا هذا الحدث اسوأ استغلال فنسبوا الينا فتوى بجهاد النصارى ، قالوا انها كانت في مؤتمر الحجير . وكانت دعواهم هذه تحريفاً سيئاً لموقفنا المشهود في الحجير وذهبوا بهذا التحريف المزور يدخلونه في آذان الحاكمين المستولين في غير ذمة ولا دين . ولقد كانت استياءنا بهذه الكارثة عظيما اذ بحثنا مظهرها الفوضوي البربري بقسوته التي لا تبيحها شريعتنا المقدسة وانبعجنا انها اساءت الى خطتنا

تطور الاحداث

وحين رجعنا من دمشق رأينا الاحداث متطورة تطوراً تعسر بلا فاتر ، فقد كانت الحكومة المسيطرة مغلولة اليد لا يعتد بسلطانها متى وجدنا وراء المدن الى حلية ، والبلاد مضطربة ثائرة لا تتم معاملة ولا ترجع الى الدوائر الرسمية في امر من امورها .

وكنت على علم بالخطر المحدق بمقامنا في حنويه وهي معرض للحكم الفرنسي المستأثر : لذلك القيت الى اهلي ان يتركوا حنويه قبل ذهابي الى دمشق وينتقلوا الى دارنا في شحور فانها آمن لهم وابعد عن متناول الفرنسيين .

وقد علمت بعد رجوعي من دمشق أن تقديري كان على صواب . وكان القوم ينتظرون اوبتي التي جعلوها موعداً للغزو إذ لم أكد أرجع حتى جهزوا جيوشهم . ولما ارتحل عن مركبي ، دفعوها في أطراف الجبل موقرة بالاسلحة الثقيلة والعتاد وأمروا لها بالامعان في القسوة والارهاب والاهانة فمضت على غلوائها تخيف القرى الآمنة وتزعج الاسراب البريئة وتنهب المواشي بما تستنزف من ماشيتها وبيضها ودجاجها وألبانها وطرد رياتها الزهيدة حتى وهن الكاهل تحت الثقل . ولكن الاهلين في بلاد المنفى وبالاسر المستعان

وكان للملك فيصل وفي بوعده وجهز الى الجبل قوافل من العتاد والاسلحة والاطباء . ولكن الزعيم كاملاً ارجع ذلك كله تعويلاً على الحلول السلمية واخذاً بالاناة والتساهل .

ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرارة قدرت بالف فارس مجهزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرعات ، زحفت بقيادة الكولونيل « نيجر » الى شحور . وما كاد الفجر يتوضأ باضواء الندية حتى كانت المدافع الثقيلة منصوبة على جبلي « الطور » و« سلطان » المشرفين على القرية . وهبط الجيش يتدفق بين كروم التين ويلتف حول القرية في رهبة اوحشت سكينة الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى في مستهل شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨ وكنت أهوم بعد صلاة الفجر بنعاس بعد تعب السفر وتعب السهر . وكانت وصيفتنا الصالحة السعيدة تتهيأ لصلاتها فاشرفت على مدخل القرية - وهي تتبين الصبح - فراعها ان ترى الى آذان الخيل تنتشر بين اشجار التين في مثل هذا البكور فاجفلت مذعورة . ورجعت توقظني من منامي .

نهضت مسرعاً الى اردية وسلكت اتخطى الازقة والمضائق ، ثم خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون وتركتهم يتظنون وانسحبت اهبط الوادي الى غار على شاطئ الليطاني . كان لجأ اليه جدنا السيد صالح في محنة الجزار .

أما الجند فطفق يسأل عني ويستوقف الصغار من اخواني مع عمهم السيد محمد وخالهم السيد حسن يستنطقهم والسيف مصلت فوق رؤوسهم . ولكنهم اجمعوا على اني في دمشق .

ولما استيأسوا من العثور علي تفرقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون . ولم يغادروا شحوراً قبل ان يحرقوا الدار ويأسروا اخي السيد احمد وآخر من اشراف بني زهرة اسمه السيد احمد وساقوهما مع عدة من وجوه البلاد الى السجن والتنكيل .

وكان قد انسل من شحور ومن القرى المجاورة نفر من فتياننا عرفوا مكاني على الشاطئ فالتحقوا بي ومضيت في الغار ليلة استعدت فيها بعض الراحة والنشاط - ثم اخذت طريقي الى الشام - والتحق بي من التحق ممن حكم عليهم بالنفي او الاعدام - وكنا في دمشق موضع الحفاوة والنفوذ والاحترام وفي القمة من العز ومنعة الجانب .

وعاملة - ويحي لها - تنوء تحت ضربة بكر وتلفظ ابناءها هنا وهناك من الخشية والذعر .

أعلنت فيها الاحكام العرفية فحكم علي بالنفي المؤبد مع مصادرة ما أملك (١) وبهذا حكم على العلامة السيد عبد الحسين نور الدين وعلى الاحرار من زعماء البلاد وفي مقدمتهم كبيرهم كامل بك الاسعد ، أما فتيان الثورة فقد حكموا بالاعدام وانفذ هذا الحكم العام في كل من ظفرت به منهم .

ثم فرضت على الجبل غرامة فادحة لا تحتملها ثروة البلد وقدرها مائتا الف ليرة ذهبية (٢) ودفعتها البلاد من دمها واملاكها خمسمائة الف كان الزائد عن الغرامة من هذا المبلغ نصيب السماسرة الماديين من باعة الضمائر والاوطان .

وهكذا قدر لهذا الجبل ان يخفق فكان اخفاقه سبباً في اخفاق القضية السورية ، لانه كان المرحلة التجريبية التي جرأت فرنسا بعدئذ على سورية .

---

(١) وقد احتلوا داراً في صور بعد ان صبغ نهباً في حجراتها فعظمت المصيبة وجلت الرزية بذهاب المكتبة الحافلة بكثير من العتيقة وفيها من نفائس الكتب المخطوطة ما لا يكاد يوجد في غيرها ، وكان لي فيها كتب استفرغت في تأليفها زهرة حياتي واشرف اوقاتي فانا مفقود والينا راجعون .

(٢) وقال الريحاني ص ٣١٨ من الجزء الثاني من كتابه « ملوك العرب » ما هذا نصه : « ففرض « نيجر » على اهل جبل عامل مائة وخمسين الف ليرة ذهباً وعوض الى حاكم صيدا العسكري ورجاله وفيهم ثلاثة من الصوريين الجبايا فجمعوا ضعف المائة والخمسين الف ليرة بطرائق لا حاجة لذكرها [هنا] وقال العامليون المدققون ان الجباة الماهرين جمعوا اربعمائة وخمسة وثمانين الف ليرة » اهـ . اقول والصحيح ما قدمناه في اصل الغرامة وفيما جمعه الجباة .

خطابه الشديد في مؤتمر وادي الحجير السبت ٥ شعبان ١٣٣٨ هـ
٢٤ نيسان ١٩٢٠ م

اللهم احمده في السراء والضراء، استتماما لنعمته، والحمد فضله وإياه أشكر في الشدة والرخاء، استسلاما لعزته والشكر لطوله، احمده واشكره كما هو أهله، واسأله تسهيل ما يصعب حمله، وتعليم ما لا يطاق جهله، واستعينه على القيام بما يحسن في الدنيا ذكره، ويجزل في الآخرة أجره،

واشهد ان لا اله إلا الله، وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين اصطفاه بفضله، فصلى الله عليه وعلى آله الذين حملوا عنه ما حمله الله حمله، وعقلوا ما عنه عقله، ولذا قرنهم بمحكم الكتاب، وجعلهم قدوة لأولي الألباب، بهم نقتدي وان عزت القدوة، وطريقهم نسلك وان تكأدت العقبات.

صلوات الله عليهم ما هتفت قلوبنا اليهم، أئمة هدى، ومصابيح دجى، ينيرون بصائرنا كلما احلولكت الخطوب، ويفتحون ابصارنا، كلما ادلهمت الدروب،

«كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء، ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء».

اخواني أعلام الأمة: اننا اليوم في هذا المفترق الخطير، أشد حاجة منا في أي وقت، الى الاعتصام بحبلهم، والسير على منهجهم، فاما عزة لا تنضيم، او ذلة لا ترحم، اما حياة حرة، او هوان تهدر فيه كرامة الانسانية، اما استقلال دون وصاية، او استعباد نكون معه كالأيتام على مأدبة اللئام

إلى الفرسان المناجيد: إن لهذا المؤتمر ما بعده، وسيطبق نبؤه الآفاق السورية، وستجاوب صداه في الأقطار العربية، ويتجاوزها إلى عصبة الأمم. وقد امتدت إليكم الأعناق، وشخصت الأبصار، فانظروا ما أنتم اليوم فاعلون.

ألا إن جبل عامل بعد هذا المؤتمر بين أمرين: عز لا تنفصم عروته، ولا تقرع مرتبته، أو ذل تتهاوى معه كواكب السعد، وتتقوض به سرادق المجد. فإن نبذتم الأهواء الشخصية، وآثرتم شرف القضية، فلتكونن في حرز لا ينفصم، وتكون بلادكم في حمى لا يقتحم. أما إذا غلبكم الهوى فلتكونن مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان. أمام قوة العدو، وشدة الفتنة وتطاحن الزمان.

يا فتيان الحمية المغاوير! الدين النصيحة. ألا أدلكم على أمرين فعلتموه انتصرتم؟ فوّتوا على الدخيل الغاصب برباطة الجأش زحفه، واضربوا بالصبر الجميل فتنته، فإنه والله ما استعدى فريقاً على فريق إلا ليثير الفتنة الطائفية، ويشعل الحرب الأهلية، حتى إذا صدق زعمه وتحقق حلمه، استقر في البلاد تحت حماية الأقليات.

ألا وإن النصارى إخوانكم في الله وفي الوطن وفي المصير، فأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم، وحافظوا على أرواحهم وأموالهم، كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم، وبذلك تحبطون المؤامرة، وتخمدون الفتنة، وتطبقون تعاليم دينكم، وسنة نبيكم: «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون». هذا السلوك يا أبناء الأحرار دون غيره تردون كيد المفرنسين إلى

ثغورهم، وتعيدون حبائلهم الى نحورهم، وتنعمون بالحرية لا تطال
تعبث بها أيدي متطاول.

اخواني وابنائي: ان هذا المؤتمر يرفض الحماية والوصاية، ويأبى
إلا الاستقلال التام. ان هذا المؤتمر تاج (فيصل) العرب عاهلاً مؤملاً
وقائداً محبوباً، فنقيم حكومة شرعية، تجعل من الوطن جبهة منيعة، ينحدر
عنها السيل، ولا يرقى اليها الطير.

وهذا زعيم جبل عامل وبدره (الكامل) قد ارهف للحرب حد عزمه،
وهيأ للنزوع الى ميدان عدته، فاركبوا معه كل صعب وذلول، ملتقين
صادقي العزائم، مستصحبي الوفاء، وما التوفيق إلا بالله، يؤتي النصر
من يشاء، عليه توكلنا واليه أنبنا، واليه المصير.

خطاب السيد عبد الحسين شرف الدين في وادي الحجير في ٢٤ نيسان ١٩٢٠م.

نداء وجهه للمسلمين والعرب في شهر المحرم ١٣٦٧ على أثر صدور قرار تقسيم فلسطين

أيها المسلمون. أيها العرب!

هذا شهر المحرم الحرام الذي انتهكت فيه عقيدة وذبحت فيه مبادئ

الإسلام إذ قتل الحسين عليه السلام بكربلاء في القتلات. فلتكن فلسطيننا فيه كربلاء

في المقدسات، ولنكن نحن في فلسطين كما كان سيد الشهداء في وقعته بكربلاء

لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود.

أيها العرب. أيها المسلمون.

لقد حم الأجل وجد عدونا فلسطين علينا وفي غد نموت دون البلاد

كي يوم تموتون شهداء ويوم تعيشون أحياء

نداء السيد عبد الحسين شرف الدين إلى المسلمين والعرب على أثر صدور قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧م.

من قصيدة بعثت بها إلى العلامة الأكبر المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره

أتيتك يوماً عندما تبت نادماً
فحييتني طلقاً محياك باسماً

تعف عن الجاني يضل طريقه
وترحم مغروراً وتغفر آثماً

سجايا الكرام الغر من آل هاشم
فلا يصحبون الناس إلا أكارما

حنوت على تلك اليمين لثمتها
وألقيت عني ما حملت مآثما

بني هاشم نحو العروبة أنتم
ذراها صنعتم مجدها والملاحما

ففي كل ميدان تركتم ضحية
تظل لها الدنيا تضج مآتما

حملت لك الإخلاص من قلب عامل
يرف أزاهيراً ويهفو نسائما

بلاد لهذا البيت تاقت نفوسها
وشدت على حب الحسين العمائما

عبد الحسين العبد الله

١٩٤٥

هذه القصيدة من إملاء العم عبد الحسين العبد الله وبخط ابن أخيه عبد الرضى عبد الله

[توقيع]

القصيدة التي بعث بها الشاعر عبد الحسين عبد الله إلى السيد عبد الحسين شرف الدين معتذراً نادماً على قصيدة ذمَّ بها السيد على أثر وشاية كاذبة.

القصيدة التي بعث

المصادر والمراجع

- خطط جبل عامل — السيد محسن الأمين — مطبعة الإنصاف - بيروت ١٩٦١م
- تاريخ جبل عامل — محمد جابر آل صفا — دار النهار للنشر - الطبعة الثانية بيروت - ١٩٨١
- أمل الآمل — الحر العاملي - تحقيق أحمد الحسيني — مكتبة الأندلس - بغداد ١٩٦٥
- الاحتجاج — الشيخ الطبرسي — مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٩٨١
- لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني — محمد علي مكي — دار النهار للنشر
- المشروع الماروني في لبنان — محمد زعيتر — الوكالة العالمية للتوزيع ١٩٨٦
- بابوات من الحي اليهودي — يواكيم برنز - نقله إلى العربية - خالد عيسى — دار حسان للنشر - دمشق - ١٩٨٣
- من انفصال الغرب إلى حوار الحضارات — غارودي

- الكامل في التاريخ ابن الأثير دار بيروت للنشر - بيروت - ١٩٦٥

- ذيل تاريخ دمشق ابن القلانسي مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨

- الحركة الصليبية سعيد عاشور مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط. الأولى - ١٩٦٣

- فهرست جبل عامل ١٩٦٩ - ١٩٨٦ يوسف ديب المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والإعلام

- خطط الشام محمد كرد علي دمشق ١٩٢٥

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ابن واصل وزارة الثقافة والإرشاد - القاهرة - ١٩٦١

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين أبو شامة المؤسسة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٦٢ م

- كتاب السلوك لمعرفة دور الملوك المقريزي لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٩

- لبنان والفاتيكان لحد خاطر المخلصية - لبنان ١٩٦٦

- الدرر الكامنة ابن حجر

- تاريخ بيروت صالح بن يحيى - تحقيق هورسو الصليبي دار المشرق - ١٩٦٩

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي وزارة الثقافة والإرشاد - القاهرة - ١٩٦٣

- ابن تيمية محمد أبو زهرة
دار الفكر العربي ـ ١٩٥٨ ـ بيروت
- صليبية إلى الأبد عبد الفتاح عبد المقصود
- جامع التواريخ رشيدّ الدين الهمداني ـ نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد
القاهرة ١٩٦٠
- الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك
طبعة بيروت سنة ١٩٧٤
- روضات الجنات محمد باقر الخوانساري
إيران
- اللمعات البرقية في النكت التاريخية شمس الدين بن طولون
- الإدارة العثمانية في ولاية سورية : ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ عوض عبد العزيز محمد
القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩
- عودة النصارى إلى جرود كسروان الخوري جرجس زغيب
مؤسسة خليفة للطباعة بولفار الدورة ـ البوشرية ـ بيروت
- تاريخ لبنان الحديث/ الطبعة الرابعة كمال الصليبي
دار النهار للنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٨
- تكملة أمل الآمل السيد حسن الصدر ـ تحقيق السيد أحمد الحسيني
طبع قم ـ إيران ـ سنة ١٤٠٦ هـ
- فصول من تاريخ الشيعة في لبنان الشيخ علي الزين
- تاريخ الشيعة الشيخ محمد حسين المظفر
- المخفي من حياة لورانس العرب فيليب ناتيلي وكولن سمبسون
ترجمة إيلي لاوند وإبراهيم العابد
- المؤلفات الكاملة سلام الراسي
مؤسسة نوفل ـ بيروت ـ طبعة ثانية ـ ١٩٧٧

الكتاب	المؤلف	الناشر
- لئلّا تضيع	سلام الراسي	الجزء الأول - مؤسسة نوفل - بيروت
- التحدي الصهيوني	ترجمة نزيه الحكيم	دار العلم للملايين بيروت - ١٩٦٨
الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان	بدر الحاج - قراءة في مذكرات الياهو ساسون وإلياهو إيلات	بيروت - دار مصباح الفكر ١٩٨٢
- التقرير الإسلامي		المركز الإسلامي للتربية - بيروت - لبنان
- ذكريات رضا التامر	رضا التامر	
- صادق حمزة الفاعور	علي مرتضى الأمين	دار آسيا - الطبعة الأولى ١٩٨٥
- حقيقة الثورة اللبنانية	كمال جنبلاط	دار النشر العربية - بيروت ١٩٥٩
- النضال الوطني التحرري في لبنان ١٩٣٩-١٩٥٨	هوفهانسيان	دار الفارابي - بيروت
- تجارب محمد جواد مغنية	الشيخ محمد جواد مغنية - إعداد عبد الحسين مغنية	دار الجواد - الطبعة الأولى ١٩٨٠
سياسة لبنان الخارجية	فؤاد عمون	دار النشر ١٩٥٩ - بيروت
بغية الراغبين	الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين تحقيق العلامة السيد عبد الله شرف الدين	الدار الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٩١
الإسلاميون والقضية الفلسطينية	جعفر عبد الرزاق	
قضية شعب وأرض	محمد غانم	

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية حسن الأمين، دار التعـارف ـ بيـروت ـ ١٩٨١ الطبعة الثالثة

من دفتر الذكريات الجنوبية المجلس الثقافي للبنان دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٤

ولادة استقلال منير تقي الدين

الصهيونية على لسان زعمائها جمع وإعداد إسرائيل شاحاك ـ تقديم الدكتور توما منشورات جاليلو ـ القدس ١٩٧٩

قوافل العروبة ومواقفها خلال العصور محمد جميل بيهم الجزء الثاني بيروت ١٩٥٠

التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ ـ ١٩٧٠ سليمان تقي الدين دار ابن خلدون ـ بيروت ١٩٧٧

لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية ١٩٤٩ كميل شمعون بيروت

دفاعاً عن العلم، دفاعاً عن الوطن عمر فروخ دار الأحد ـ بيروت ١٩٧٧

لبنان ١٩٤٩ ـ ١٩٨٥ الاعتداءات الإسرائيلية يوميات ـ وثائق ـ مواقف المركز العربي للمعلومات الطبعة الأولى ـ حزيران ١٩٨٦

حروب التدخل الأميركية في العالم ريتشارد بارنت دار ابن خلدون ـ بيروت

حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي العهد للنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٤

ـ أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان جوناثال رندل ـ ترجمة بشار رضا

لعبة الأمم	مايلز كوبلاند تعريب مروان خير	الطبعة الأولى ١٩٧٠ مكتبة الزيتونة
الكتاب المقدس ـ العهد القديم	طبع في المطبعة الأميركانية في بيروت	طبعة ١٢ ـ ١٩٠٥
خطر إسرائيل على لبنان الجنوبي	المهندس عبد الله عاصي	منشورات المجلس الثقافي في لبنان الجنوبي
عوامل تكوين إسرائيل	انجلينا الحلو	
في الأدب الصهيوني	غسان كنفاني	
الحلف الثلاثي ولبنان	فؤاد كرم	
الحرب المضللة ـ حرب إسرائيل في لبنان	زئيف شيف ـ أهود يعاري ترجمة حسان يوسف	بيروت ـ دار المروج ١٩٨٥
كرة الثلج ـ أسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان	شيمون شيفر	١٩٨٤
تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا		توزيع دار إقرأ ـ بيروت ١٩٨٣
الإمام في مواجهة الصهيونية ـ كلمات ونداءات الإمام الخميني	ترجمة الشيخ خضر نور الدين	
الإمام الصدر والفكر المقاوم	المكتب الإعلامي لحركة أمل	
قصة الاستقلال في سوريا ولبنان	اللايدي سبيرز	بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٤٧ تعريب منير البعلبكي
الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠	د. وجيه كوثراني	معهد الإنماء العربي ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢

مجلة العرفان - المجلدات : ٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ - ١٥ - ٣١ - ٣٧ - ٣٢ - ٣٥ - ١٠

بغية الراغبين مخطوط للسيد عبد الحسين شرف الدين

مجلة العهد العدد ٢٥ - ٢٧٨

جريدة السفير ٣١/ تموز/ ١٩٩٠ - ١/ ٣/ ١٩٧٩ - ٢٨/ ١٢/ ١٩٨١ العدد/ ٤٩٠٩ - ١٧/ ٢/ ١٩٧٩ - ٢٢/ ٢/ ١٩٧٩ - ٢٠/ ٢/ ١٩٧٩ - ٧ حزيران ١٩٨٢ - ٦ حزيران ١٩٨٢ - ١٠ حزيران ١٩٨٢

جريدة العروبة العدد / ٢٠/ ٢٢/ كانون أول ١٩٣٤

جريدة البشير عدد ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠

مجلة الحرية العدد ٨٤٥

جريدة المشرق المجلد ١٨ - العدد ١٠

جريدة لسان الحال عدد ١٧ آب سنة ١٩٢٠

مجلة المنطلق العدد ١٥/ ٢١/ ٣٣

مجلة الشراع العدد ١١٣/ ١٤ أيار ١٩٨٤ - العدد ٥٥/ ٤ نيسان ١٩٨٣

جريدة النهار عدد ٣٦٩٥ / ٢٣ أيلول ١٩٤٧ - ١٨/ ٣/ ١٩٧٤

مجلة بيروت المساء ٢١ حزيران ١٩٤٨

جريدة المحرر ٢٨/ ٧/ ١٩٧٥ - ١٦/ ١١/ ١٩٥٣

جريدة اللواء العدد ٣١١١

جريدة نداء الوطن الناطقة باسم بكركي ١٧/ ٨/ ١٩٦٧

الطليعة الإسلامية العدد ٨

مجلة القومي العربي العدد ٣/ ٦٥ - ٢٤/ ٣/ ١٩٧٨

مجلة الهدى الأعداد (١٠ - ١١ - ١٢) من منشورات مكتب العقيدة والثقافة لحركة أمل

النهار العربي والدولي ٢٤/ ٣/ ١٩٧٨

مجلة صباح الخير العدد ٤٢٣
مجلة الكفاح العربي ١١/ ٧/ ١٩٨٢

1 - Deux Missions en moyen- orient (1919- 1920) catroux.

2 - The Armed prophet a biographey of ben Gurion.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٨٢٣٥٨٠/١ - ص.ب.: ٢٥/٢٧٥ - حارة حريك - بيروت